

الطبعة الثامنة (مَزيدة ومُنقّحة)



تأليف

صاحب السمو الملكي الأمير

غازي بن محمد بن طلال الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب في الأصل رسالة الدكتوراه الثانية التي قدّمها الأستاذ الدكتور الأمير غازي بن محمد بن طلال لدرجة العالِمية (الدكتوراه) في قسم الفلسفة في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة عام ٢٠٠٩م.

هذه الرسالة هي: «**رسالة متميزة، جديرة بالثناء والتقدير: منهجاً ومضموناً ولغة**».
مشرف الرسالة في جامعة الأزهر الشريف،
فضيلة الإمام الأكبر أ. د. أحمد محمد الطيب، شيخ الأزهر

«**هي رسالة ذات طابع ... فلسفي، فَوَجَدْتُ فيها معاني ذوقية جميلة استنبطها المؤلف حفظه الله من الجمع بين الآيات في المواضيع التي طرقها لعله لم يُسبق إليها، ولكنها لم تُخالف ثوابت العقيدة الإسلامية**».
المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية، سماحة الشيخ أ. د. نوح علي سلمان القضاة

«**رحلة في أعماق النفس، ميدانها بستان الحب، سقيت أصوله بماء الحكمة، امتدت فروعه في سماء المعرفة، أزهاره معطرة بأنفاس الشريعة، ثماره الجنية السعادة. عمل نافع، ترتيب رائع**».
رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورئيس ومؤسس المركز العالمي للتجديد والإرشاد،
معالي الشيخ أ.د. عبدالله بن محفوظ بن بيّه

لا سعادة من غير حب، لا في الدنيا ولا في الآخرة. فمن أراد أن يعرف أسرار الحب فعليه أن يغوص في هذا الكتاب، فإن مضمونه أهم موضوع في الكون من أعظم مصدر في الوجود، ألا وهو كتاب الله تعالى الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾

يُعالج الكاتب بأسلوب بسيط سهل الفهم حُبّ الله والحُبّ الإنساني، إضافة إلى مواضيع أخرى كثيرة منها الحُبّ العائلي، والصداقة، ومراحل الوقوع في الحُبّ، والحُبّ الجنسي، والجمال، والذوق؛ كل ذلك يستعرضه الكاتب بوسائل ومزايا سهلة للقارئ والمعلم. وهذه الدراسة مبنية بشكل كامل على القرآن الكريم وتستشهد بآية على الأقل من كل سورة ؛ فأكثر من خُمس مادة القرآن الكريم مُقتبسة في الكتاب. و«الحُبّ في القرآن الكريم» مكتوب ومنظم بحيث يمكن قراءة فصوله بالترتيب أو قراءة كل فصل على حدة حسب رغبة القارئ. فهذا عمل يجب قراءته ليس فقط من قِبَل المسلمين والمهتمين بالإسلام والقرآن الكريم فحسب بل هو متطلّب لكل من لديه اهتمام بخفايا وأسرار الحب.

(تكملة سيرة المؤلف داخل الغلاف)



المؤلف في سطور:

ولد صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال في عمان في ١٥/١٠/١٩٦٦م، وهو ابن أخ المرحوم بإذن الله تعالى الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه. وقد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون في أمريكا عام ١٩٨٨م بمرتبة أعلى الشرف، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج في إنجلترا سنة ١٩٩٣م، ثم حصل على شهادة الدكتوراه الثانية (العالمية) من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف في القاهرة سنة ٢٠١٠م.

وقد شغل سموه عدة مناصب منها: السكرتير الثقافي لجلالة الملك الحسين ابن طلال طيب الله ثراه؛ والمستشار لشؤون العشائر لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم؛ وكبير المستشارين لجلالة الملك للشؤون الدينية والثقافية والمبعوث الشخصي.

وأسس الأمير غازي جامعة البلقاء التطبيقية سنة ١٩٩٦م؛ وكذلك أسس جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة ٢٠٠٧م؛ وأنشأ سموه مشروع التفسير الكبير (com . Altafsir . www) وهو أكبر مشروع لتفسير القرآن الكريم على الإنترنت، عام ٢٠٠١م. والأمير أيضا رئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي؛ وهو صاحب الرسالة التاريخية «كلمة سواء بيننا وبينكم» في عام ٢٠٠٧م؛ وهو كاتب قرار «أسبوع الوئام العالمي بين الأديان» الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠١٠م

وقد تقلّد عدة جوائز وأوسمة من الأردن ومن دول أخرى. وله عدة مؤلفات قيّمة منها كتاب «إجماع المسلمين على احترام مذاهب الدين»، الذي قال عنه الإمام الأكبر شيخ الأزهر الراحل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي: «إن هذا السفر الجليل لهو خير مرجع لمن يريد أن يسير على الصراط المستقيم في قوله وفعله وفي سلوكه ونهجه» .

الأمير غازي متزوج من د. الأميرة أريج (بنت معالي د. السيد عمر بن عبد المنعم الزواوي)، ولهما ثلاثة من الأولاد وهم: الأميرة تسنيم، والأمير عبد الله، والأميرة جنة، حفظهم الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحبُّ في القرآن الكريم

تأليف

أ. د. د. صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي

المملكة الأردنية الهاشمية

١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

٢٠٠٩/١١/٤٤٨٨

غازي بن محمد بن طلال (الأمير)

الحب في القرآن الكريم / غازي بن محمد بن طلال.ـ

عمان: المؤلف، ٢٠٠٩.

(٥٤٦ ص).

ر.أ.:٢٠٠٩/١١/٤٤٨٨.

الواصفات: / إعجاز القرآن/ / القرآن/ / العلاقات بين الأفراد/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة أخرى حكومية

ISBN: 978-9957-8533-7-2

الطبعة الثامنة

(مَزِيْدَة ومُنَقَّحَة)

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

عدد النسخ:

الطبعة الأولى: ٣٠٠٠ نسخة (غلاف عادي) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الثانية (مزيدة): ١٢٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الثالثة (مزيدة ومنقحة): ٨٨٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الرابعة (ب) (مزيدة ومنقحة): ١٠٠٠ نسخة (غلاف مجلد) (١٤٣٢هـ / ٢٠١٠م)

الطبعة الخامسة (مزيدة ومنقحة): نشرت على الإنترنت (١٤٣٣هـ / ٢٠١١م)

الطبعة السادسة (مزيدة ومنقحة) (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)

الطبعة السابعة (مزيدة ومنقحة) (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م)

الطبعة الثامنة (مزيدة ومنقحة) (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م)



See: www.LoveintheQuran.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

(آمــين)

... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ...

(البقرة، ٢: ١٦٥)



المؤلف في سطور:

ولد صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال في عمان في ١٥/ ١٠/ ١٩٦٦م، وهو ابن أخ المرحوم بإذن الله تعالى الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه. وقد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون في أمريكا عام ١٩٨٨م بمرتبة أعلى الشرف، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج في إنجلترا سنة ١٩٩٣م، ثم حصل على شهادة الدكتوراه الثانية (العالمية) من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف في القاهرة سنة ٢٠١٠م.

وقد شغل سموه عدة مناصب منها: السكرتير الثقافي لجلالة الملك الحسين ابن طلال طيب الله ثراه؛ والمستشار لشؤون العشائر لجلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه؛ والمبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم؛ وكبير المستشارين لجلالة الملك للشؤون الدينية والثقافية والمبعوث الشخصي.

وأسس الأمير غازي جامعة البلقاء التطبيقية سنة ١٩٩٦م؛ وكذلك أسس جامعة العلوم الإسلامية العالمية سنة ٢٠٠٧م؛ وأنشأ سموه مشروع التفسير الكبير (www.Altafsir.com) وهو أكبر مشروع لتفسير القرآن الكريم على الإنترنت، عام ٢٠٠١م. والأمير أيضاً رئيس مجلس أمناء مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي؛ وهو صاحب الرسالة التاريخية "كلمة سواء بيننا وبينكم" في عام ٢٠٠٧م؛ وهو كاتب قرار "أسبوع الوئام العالمي بين الأديان" الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠١٠م

وقد تقلّد عدة جوائز وأوسمة من الأردن ومن دول أخرى. وله عدة مؤلفات قيّمة منها كتاب "إجماع المسلمين على احترام مذاهب الدين"، الذي قال عنه الإمام الأكبر شيخ الأزهر الراحل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي:

"إن هذا السفر الجليل لهو خير مرجع لمن يريد أن يسير على الصراط المستقيم في قوله وفعله وفي سلوكه ونهجه".

الأمير غازي متزوج من د. الأميرة أريج (بنت معالي د. السيد عمر بن عبد المنعم الزواوي)، ولهما ثلاثة من الأولاد وهم: الأميرة تسنيم، والأمير عبد الله، والأميرة جنة، حفظهم الله تعالى.

الحبّ في القرآن الكريم

المحتويات

الباب الثاني :حب الرسول ﷺ

الباب الثالث: حب الإنسان

الباب الرابع: الحب

الباب الخامس: المحبوب (الجمال واللِّقاء والرضوان)

باب خاتمة الرسالة

ملاحظات على الطبعة الثامنة المزيدة المنقحة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

هذه الطبعة "الثامنة" من الحب في القرآن الكريم تحتوي على عدد من التغييرات التي اتضحت على مدى العامَين اللذَين فصلا ما بين الطبعتين الأخيرتين : (١) عدد من التصحيحات على النصّ والمراجع والهوامش؛ (٢) عدد من الآيات القرآنية التي أضيفَت من أجل الاكتمال؛ (٣) الإسهاب في بعض القضايا المهمة وذلك إلى درجة كبيرة بسبب النقاشات التي تلت محاضراتي عن الكتاب في جامعات مختلفة على مدى العامَين الماضيَين، ومن هذه النقاشات معنى "شيء" (الهامش رقم ١٢ في باب المقدّمات؛ الفصل الأول)؛ والفرق بين الحب والرحمة (الفصل الثالث)؛ والإشارات في القرآن الكريم إلى وجه الله ونفس الله ﷻ (الهامش رقم ٢٤ في الباب الأول؛ الفصل الأول)؛ ومسألة أن يحب المرء أعدائه (الهامش رقم ٦٨ في الباب الثاني؛ الفصل الثاني)؛ والتماثل الكوني (الكون الأكبر والكون الأصغر) (الهامش رقم ٨١ في الباب الثالث؛ الفصل الأول)؛ التفسيرات المختلفة للكلمتين القرآنيتين المهمتين "عَلَىٰ حُبِّهِۦ" (البقرة،٢: ١٧٧) (الهامش رقم ٧٠ في الباب الثالث؛ الفصل الأول)؛ والغيرة (الباب الرابع؛ الفصل الثاني)؛ ومَلَكات الإنسان (الباب الرابع؛ الفصل الثالث)؛ و(٤) زِدنا "الألفة" كنوع من أنواع الحب المذكورة في القرآن الكريم ليصبح مجموعها ٣٨ نوعاً (انظر الباب الرابع؛ الفصل الأول) – وقد كانت "الألفة" موجودة في مسوداتي الأصلية للكتاب ولكن تمّ حذفها أثناء عملية تأليف الكتاب؛ (٥) أضفنا عناوين فرعية لبعض الفصول لتوضيح موضوعها؛ (٦) أضفنا مطلباً جديداً تماماً في نهاية فصل "الحب الزوجي" (الباب الثالث؛ الفصل السابع)؛ (٧) وأهمّ إضافة في الطَّبعة الثامنة هي أننا أضفنا إلى بداية الكتاب ملخصاً تنفيذياً يستند بشكل

قاطع على كتاب "*الحبّ في القرآن الكريم*". والانتقادان اللذان كانا الأكثر شيوعاً للكتاب هما اتساع نطاقه والحاجة إلى تبسيطه أو تقديم موضوع الكتاب بطريقة أفضل. أملي أن تُلَبِّي هـذه الطبعة هاتين الحاجتين، إن شاء الله ﷻ.

غازي بن محمد، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

ملخص تنفيذي لـ الحبّ في القرآن الكريم

تمهيد

يقول الله ﷻ حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام: ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ (يوسف،١٢ :٥٠). أي بمعنى آخر: ما بال النساء اللاتي شَغَفهُن الحب؟ وبالتالي ما حال المُحبين، بالخير أو بالشر؟ ومن ثم، ما هو الحب؟

ولا نعلم أحداً من المسلمين أو من العلماء أجاب على هذا السؤال الرَّباني في القرآن الكريم بتمامه، مع أن الجواب في القرآن الكريم يقيناً. يقول الله ﷻ: لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ (يوسف،١٢ :٧) .

فما الجواب على هذا السؤال؟ زليخة نفسها وسيدنا يوسف عليه السلام هما اللذان يجيبان على هذا السؤال ولو باختصار. فاختصار زليخة في الرد على السؤال إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ (يوسف،١٢ :٥٣)، أي بمعنى آخر، إن حال المحبين بالسوء هو مِنَ النفس الأمَّارة بالسوء، أما بالنسبة لـ " إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ " ففيها الإشارة إلى سيدنا يوسف نفسه إذ قال: رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ (يوسف،١٢ :٣٣). وبمعنى آخر: "أُحِبُّ أن أكون في السجن، ولا أحب أهواء وشهوات النفس الأمَّارة بالسوء. ففي السجن أختلي مع الله وأعبده من غير انقطاع، وهذا هو الذي أحبه، فلذلك قلت: "ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ" ولم أقل: "السجن أفضل إليَّ" . "

وهذا حال "النفس المطمئنة" — ومَنْ مُطمئن أكثر من سيدنا يوسف عليه السلام؟ ويقول الله سبحانه: يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠ (الفجر،٨٩ :٢٧-٣٠).

فيما يلي نسعى أن نجيب على هذا السؤال في القرآن العظيم عن الحب بالتفصيل، ونغوص في البحر الذي لا ينفد من كلمات الله عن أهم حاجة للإنسان وهي الحب، بدايةً من حب الله. ونسأل الله تعالى التوفيق.

✵

الحب في القرآن الكريم ينطلق من التوكيد الموجود في القرآن الكريم نفسه أن الله ﷻ **صرّف** و**ضرَب** في القرآن "مِن كُلِّ مَثَلٍ" (الإسراء، ١٧: ٨٩؛ الكهف، ١٨: ٥٤؛ الروم، ٣٠: ٥٨؛ الزمر، ٣٩: ٢٧-٢٨)؛ وأن القرآن "تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ" (النحل،١٦ :٨٩)؛ ويحتوي على "تَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ" (يوسف،١٢ :١١١). ويُفهَم هذا على أنه يشير ليس فقط إلى العلوم الدينية الأساسية للعقيدة الإسلامية، وعلم الكلام والشريعة والشعائر والأخلاق، بل يشير أيضاً إلى جميع الموضوعات الرئيسية للفلسفة مثل :الحب، واللغة، والوقت، والمنطق، والإدراك، والأخلاق، وعلم النفس، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم المعرفة، ودراسة نظريات تفسير النصوص (الهرمنيوطيقا)، وعلم الكون، وما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، وعلم الأحلام وهلم جرّاً.

ولغايات هذا الموجَز سنُقسّم الموضوع إلى أربعة أجزاء: (١) الحبّ الإلهي؛ (٢) حبّ الإنسان؛ (٣) الحبّ و(٤) الجمال.

(١): الحب الإلهي

في القرآن الكريم إن الحب ليس فقط من أعمال أو أفعال الله ﷻ، بل من صفاته ﷻ ومن أسمائه الحسنى. فاسم الله "الودود" جاء في القرآن الكريم مرتين:

وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ (هود،١١ :٩٠)

وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ (البروج،٨٥ :١٤)

والكثير من أسماء الله الحسنى تدل على صفات الله ﷻ التي لها علاقة بالحب، مثل اسمه ﷻ: "اللطيف"، و"الرؤوف"، و"الكريم"، و"الحليم"، و"الوكيل"، و"الولي" و"البر"، و"الغفور"، و"الغفار"، و"التواب"، و"العفو" وغيرها. ونرى حقيقة هذا بشكل خاص من خلال اسمَي الله ﷻ "الرحمن" و"الرحيم"، فجذرهما هو "ر-ح-م" مما يوحي بالرحمة والحب سوياً. وهكذا فإن الحب الإلهي لا يمكن فصله عن الرحمة الإلهية وفعلاً فإن الحب يأتي مع الرحمة، والرحمة تأتي مع الحب عادة مع أنه من الواضح أنهما لا يعنيان نفس الشيء.

وهذا يعني أيضاً أن الحب الإلهي مفهوم ضمناً مرتين - بالإضافة إلى ذِكر الرحمة الإلهية مرتين - في بداية القرآن الكريم نفسه وفي بداية كل سورة من سوره المائة والأربع عشرة باستثناء سورة التوبة.

وبما أن الله ﷻ يقول في القرآن الكريم "... كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ..." (الأنعام،٦:١٢)، فهذا يعني أن الرحمة ومعها الحب من صفات الله ﷻ ومن أسماء الذات الإلهية.

والله ﷻ هو "ٱلرَّحۡمَٰنُ"، وخلق العالم والإنسان **من** الرحمة. يقول ﷻ:

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ (الرحمن،٥٥ :١-٤)

هذا يعني أن الله ﷻ خلق العالم والإنسان **من** الحب أيضاً. والله ﷻ يحب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين، كما سنناقشه إن شاء الله) *قبل* وأكثر مما تحبه مخلوقاته.

كما أن الله ﷻ خلق الإنسان *من أجل* الرحمة. يقول ﷻ:

... إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ... (هود،١١ : ١١٩)

فهذا يعني أن الله خلق العالم والإنسان *من أجل* الحب أيضاً. أي أن الله ﷻ خلق العالم والإنسان من الحب ومن *أجل* الحب.

ولهذا فإن كل الخلق، وبين جميع المخلوقات، فقط الإنسان العاصي لا يحب الله ﷻ في نفسه العاصية لكن كل أجزائه المُسَبِّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه. يقول ﷻ في القرآن الكريم:

تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ (الإسراء،١٧ :٤٤)

كل ما في السماوات وما في الأرض يسبّح بحمد الله تسبيحاً وحمداً فطرياً. وحتى الإنسان العاصي الذي لا يحب الله ﷻ في نفسه العاصية يحب الله في أجزائه المُسَبِّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه.

أما بالنسبة للإنسان بالتحديد، فيمكننا أن نرى حب الله ﷻ للإنسان أولاً من خلال أفضال ونِعَم الله ﷻ التي لا تحصى على الإنسان في خلقه ومَلَكاتِه وذكائه وخاصة في إمكانية معرفة الإنسان لله ﷻ وذلك من خلال هداية الله له. يقول الله ﷻ:

وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ (النحل،١٦ :١٨)

الله ﷻ يحبُ بشكل خاص الذين يتحَلَّون بأجمل النفوس، ابتداءً بأفضل هؤلاء وأكثرهم فضيلة وهم الرسل والأنبياء والذين يقول عنهم الله ﷻ:

وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ (الأنعام،٦ :٨٥)

أما بالنسبة لخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، فيقول الله ﷻ إنه أرسله رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (الأنبياء،٢١ :١٠٧) وإن الله يُحِبُّ (يُحْبِبْكُمُ) الذين يتبعونه ﷺ (آل عمران،٣ :٣١)، وهذا يدل على أن سيدنا محمد ﷺ هو "حبيب الله" كما هو مذكور بشكل صريح في الحديث الشريف[1].

ويذكر الله ﷻ ثمانية أصناف من الناس يحبهم:

١) "المتوكلين" (آل عمران،٣ :١٥٩)؛

٢) "المتطهرين" أو "المطهرين" (البقرة،٢ :٢٢٢؛ التوبة،٩ :١٠٩)؛

٣) "التوابين" (البقرة،٢ :٢٢٢)؛

٤) "المقسطين" (المائدة،٥ :٤٢؛ الحجرات،٤٩ :٩؛ الممتحنة،٦٠: ٨)؛

٥) "الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص" (الصف،٦١: ٤)؛

٦) "الصابرين" (آل عمران،٣: ١٤٦)؛

٧) "المتقين" (آل عمران،٣: ٧٦)؛

٨) "المحسنين" (البقرة،٢: ١٩٥؛ آل عمران،٣: ١٣٤؛ آل عمران،٣: ١٤٨؛ المائدة،٥: ١٣؛ المائدة،٥: ٩٣).

وفي الخلاصة، مع أن عطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بغض النظر عن هل يستحق ذلك أم لا، فإن الله يحبُ بشكل خاص المحسنين والذين يتحَلَّون بالنفوس الجميلة بدرجات معينة حسب درجة إحسانهم وجمال نفوسهم. يقول ﷻ:

---

١ قال رسول الله ﷺ: **((أنا حبيب الله ولا فخر))**. رواه الدارمي في سننه رقم ٤٧ في المقدمة، والترمذي في سننه رقم ٣٦١٦ في كتاب المناقب.

... إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ (الحجرات،٤٩ :١٣)

ويذكر الله ﷻ في القرآن الكريم اثنا عشر صنفاً من الناس لا يحبهم الله ﷻ:

١) "الكافرين" (آل عمران،٣: ٣٢؛ الروم،٣٠: ٤٥)؛
٢) "كل كفّار أثيم" (البقرة،٢: ٢٧٦)؛
٣) "المعتدين" (البقرة،٢: ١٩٠؛ المائدة،٥: ٨٧؛ الأعراف،٧: ٥٥)
٤) "المختال الفخور" أو "كل مختال فخور" (النساء،٤: ٣٦؛ لقمان،٣١: ١٨؛ الحديد،٥٧: ٢٣)؛
٥) "الخوّان الأثيم" (الحج،٢٢: ٣٨)؛
٦) "كل خوّان كفور" (النساء،٤: ١٠٧)؛
٧) "الخائنين" (الأنفال،٨: ٥٨)؛
٨) "المفسدين" (المائدة،٥: ٦٤؛ القصص،٢٨: ٧٧)؛
٩) "المسرفين" (الأنعام،٦: ١٤١؛ الأعراف،٧: ٣١)؛
١٠) "الفرحين" (القصص،٢٨: ٧٦)؛
١١) "الظالمين" (آل عمران،٣: ٥٧؛ آل عمران،٣: ١٤٠؛ الشورى،٤٢: ٤٠)؛
١٢) "المستكبرين" (النحل،١٦: ٢٣).

وإضافة إلى ذلك لا يحب الله ﷻ العمل السيء، أو شرَّهُ مثل الجهر بالسوء من القول (النساء،٤: ١٤٨) والفساد (البقرة،٢: ٢٠٥).

والله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً، أو حتى أنه يكره أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يقول فقط إنه "لا يحبهم": وانعدام

الحب شيء محايد، ونقيض الحب هو الكره. والله ﷻ لا يقول أبداً إنه لا يحب هؤلاء كأشخاص بحد ذاتهم، وإنما لا يحبهم كأشخاص يتمثّلون بخصال سيئة. وكذلك ذَكر الله ﷻ أن "سيئة" بعض الأعمال هي "مكروهة" عنده[2] وإنه يوجد في كل هذا لعن إلهي، وغضب إلهي، وعذاب شديد، وعدم حُب لهم من قِبل الله ﷻ، ولكن هذا لا يستوي مع الكره لأنه يمكن لهذه الأمور أن تأخذ مجراها يداً بيد مع الرحمة والحب – وهذا أمر يستطيع أن يشهد عليه الكثير من الآباء والأمهات – والله ﷻ قال إن سيئات المعاصي عنده مكروهة وليس العاصي بعينه.

والله ﷻ لم يأمر بمعاقبة الارتداد عن الدين، بل يقول إنه إذا ارتد أحد عن دينه، فإن الله ﷻ سوف يأتي بقوم يحبهم ﷻ ويحبونه:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...

(المائدة،٥ :٥٤)

ومما سبق يمكننا الاستنتاج أن حب الله ﷻ هو: أولاً، هبة الوجود وأفضال ونِعَم الله ﷻ التي لا تعد ولا تحصى لكل شيء في الوجود بلا مقابل، وثانياً، حب الجمال. فكما جاء في الحديث الشريف:

«**إن الله جميل يحب الجمال**»[3].

(٢): حب الإنسان

في هذا الباب سنلخص عدداً من الموضوعات التي لها علاقة بحب

---

٢ يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ (التوبة،٩ :٤٦)

وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

(الإسراء،١٧ :٣٧ – ٣٨) ؛ انظر أيضاً (الإسراء،١٧: ٢٢-٣٦).

٣ صحيح مسلم، رقم ٩٩، كتاب الإيمان.

الإنسان، ومنها: (أ) تعريف حب الإنسان؛ (ب) حب الإنسان لله ﷻ (ومن ضمن ذلك مسألة *الحب الأشد*؛ (ج) حب المؤمن للرسول ﷺ وحب الأشياء المقدسة؛ (هـ) الحب العائلي؛ (و) حب الآخرين؛ (ز) الحب الزوجي والحب الجنسي؛ و(ح) الحب والزنا.

(أ) تعريف حب الإنسان

يمكن تعريف حب الإنسان ببساطة على أنه "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن". وهذا التعريف استنبطناه من آيتين كريمتين في القرآن الكريم يقول فيهما الله عن الحب الزوجي:

... فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ (النساء،٤ :١٢٩)

و :

... وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ... (الأحزاب،٣٣ :٥٢)

تصف الآية الكريمة الأولى الحب بعد أن ينضج ويتطور. أمّا الآية الكريمة الثانية فتصف بداية الحب. وسوياً، تصف الآيتان بداية وتطور ونضوج الحب. ووصف بداية وتطور ونضوج أمر ما يعني وصفه بالكامل. فمن خلال وضع هاتين الآيتين الكريمتين سوياً، يمكننا وصف الحب. ولكن هاتان الآيتان كلمات الله ﷻ وليست كلمات بشر، وبما أن الله ﷻ يعلم كلّ شيء، فيمكننا أخذ هذا الوصف للحب على أنه تعريف. إذاً فيمكننا أن نعرّف الحب على أنّه: "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن".. واختلف العلماء فيما إذا يمكن تعريف ومعرفة الحب حقاً من خلال الكلمات، فنقول إن هذا التعريف لا يُعطي الشعور بتجربة الحب بل يعطي فقط كيف يمكن تمييز ومعرفة الحب وطبيعته.

الحب يستدعي محبوباً، والكثير من المحبوبين مذكورين في القرآن الكريم. وهناك مراتب ودرجات للمحبوبين وأرفعها وأعلاها مرتبة (بالترتيب

التنازلي): حب الله ﷻ؛ حب رسول الله ﷺ وكل ما هو مقدس بما في ذلك الجنّة؛ الحب الزوجي والحب الجنسي؛ الحب العائلي؛ حب الآخرين؛ حب الخير والجمال (من الطبيعة إلى الكلمات والشِعر إلى العالَم بشكل عام).

وهناك أنواع سفلى من الحب. وهذه تتضمن (بالترتيب التنازلي): حب الدنيا والمال؛ حب الشهوات؛ حب النفس؛ وحب الأفعال الشريرة، إلى حدّ أن أنواع الحب هذه تبدو أنها من الخير.

وهكذا يتبيَّن لنا أن هناك مراتب وتسلسل هرمي روحي وكوني للحب، وهذا الترتيب يعتمد على التسلسل الهرمي لجمال المحبوب. فإن أعلى درجات الجمال هو الجمال الإلهي؛ ثم الجمال المقدّس (ابتداءً بجمال رسول الله ﷺ)؛ ثم الجمال الداخلي؛ ثم الجمال الخارجي (الجمال الجسدي)؛ ثم زينة الشهوات الداخلية؛ ثم زينة الشهوات الخارجية. فمن خلال ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لهذه الأنواع من الحب والجمال، فقد تَبينت مراتبهم وتسلسلهم الهرمي. فليس كل حب هو محمود وليس كل جميل يستحق الحب، كما رأينا. يقول الله ﷻ:

وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة،٢: ٢١٦)

(ب)(١) حب الإنسان لله ﷻ

في حين أن حب الإنسان يبدأ كعاطفة – يقول الله ﷻ: "وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب" (الشرح،٩٤: ٨) – يجب أن يرتبط ذلك بكون النفس فاضلة. يقول الله ﷻ للرسول ﷺ:

إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾

(آل عمران،٣: ٣١)

واتّباع الرسول ﷺ يعني أولاً، أن يكون المرء فاضلاً وحَسَن الخُلُق وأن يقوم بالأعمال الصالحة. يقول الله ﷻ عن الرسول ﷺ:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم، ٦٨ :٤)

ثم يعني اتّباع الرسول اتّباعه ﷺ بـ"رجاء الله" و"الذكر الكثير":

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢١)

فقط حينها يصبح حب المؤمن لله ﷻ مثل حب الرسول ﷺ لله؛ فحبه ﷺ لله هو وراء كل شيء. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ (الأنعام، ٦ :١٦٢)

فإن النقطة الأساسية بالنسبة لحب المؤمن لله ﷻ هي أنه ليس مجرد عاطفة، بل ميل وجدان وكيان الإنسان إلى الفضيلة وعمل الخير وعبادة الله. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مريم، ١٩ :٩٦)

(ب)(٢) حب الإنسان لله ﷻ "الحب الأشد"

يمكن لحب المؤمن لله ﷻ أن يصير أقوى وأشدّ من أي حب دنيوي آخر في العالم، وأشد وأقوى من أي حب يمكن لغير المؤمن أن يتذوّقه أو حتى يتخيّله، وهذا بسبب قدرة جمال المحبوب الإلهي. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ... (البقرة، ٢ :١٦٥)

وهكذا، مع أنه من الممكن أن يحب الإنسان أشياء أخرى (كما يحدث

في الحب الدنيوي) وإلى درجة يجب أن تكون محفوظة لحب الله، إلاّ أن المؤمنين يستطيعون أن يذوقوا حباً "أشد" من أي حب آخر وهو حبّ الله ﷻ.

(ج) حب المؤمن للرسول ﷺ وللأشياء المقدسة

حب العبد لله ﷻ يتطلب – ويؤدي بالضرورة – إلى حب ما يُذكِّر بالله ﷻ، وهذا يعني حب القرآن، والأماكن المقدسة، والجنّة، وحب أنبياء ورسل الله ﷻ وآلهم وغيرهم من أولياء الله ﷻ. والرسول ﷺ نفسه كان رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (التوبة،٩ :١٢٨) على المؤمنين ويجب على المؤمنين أن يبادلوا الرسول ﷺ هذا الحب. يقول الله:

ٱلنَّبِىُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ... (الأحزاب، ٣٣: ٦)

(د) الحب العائلي

وصَفَ الله ﷻ وحدّد ونظّم العلاقات والحقوق العائلية والحب العائلي بين الأقارب في آيات كثيرة من القرآن الكريم. وكل هذه العلاقات والحقوق والحب يمكن أن توصف بمبدءٍ عام واحد وهو "ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ" (الشورى،٤٢: ٢٣). يقول الله ﷻ: "... وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِۗ ... " (الأنفال،٦: ٧٥؛ انظر أيضاً الأحزاب،٣٣: ٦).

لقد جعل الله ﷻ حباً طبيعياً مشروعاً ومحموداً بين الإنسان وعائلته – وجعل هذا الحب حسب درجة القُرب – ولكنه ﷻ أكّد على أنه يجب أن يبقى حب الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحب العائلي[٤].

---

[٤] يقول الله ﷻ:

(هـ) حب الآخرين

ينبغي للحب والمحبة بين الناس ألا يقتصرا على الأقارب فقط بل يجب أن يمتدا ليشملا المحبة بين الناس جميعاً، لأنّه في نهاية المطاف كل إنسان قريب من كل إنسان آخر. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ... (النساء، ٤: ١)

والله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض الاحترام، وعدم الاعتداء، والقسط، والرحمة، والتعاطف والشعور مع الآخرين، والمغفرة، والصفح، وعدم البُغض، وحتى أن نحسِن لمن أساء إلينا وأن ندفع بالتي هي أحسن لكل إنسان مهما كان ومهما كانت ديانته (وحتى إن لم يكن له دين)، طالما لم يحارب المسلمين. يقول ﷻ:

وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ (النساء، ٤: ٣٦)

(و) الحب الزوجي والحب الجنسي

الحب الزوجي يختلف عن أنواع الحب الأخرى بين الناس لكونه يشمل الجسم. والقرآن الكريم واضح بالنسبة للعلاقة الزوجية ويشير إلى أسرار العلاقة الزوجية بشكل رمزي في آيات مختلفة. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ (التوبة، ٩: ٢٤)

... هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ... (البقرة، ٢: ١٨٧)

فالذَكر يحتاج إلى الأنثى والأنثى تحتاج إلى الذَكر، وعموماً نبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض في النسل؛ (ب) في الحب الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحب الزوجي والجنسي بين الزوجين. يقول الله ﷻ:

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو (كـ "جَعْل" إلهي) خاص فيما بعد الخَلْق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا - أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً. يقول الله ﷻ:

... خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ... (الروم،٣٠: ٢١)

... جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ... (الشورى،٤٢: ١١)

لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة – وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس"– (كـ "خلق" إلهي)، أو كـ"جَعْل" إلهي خاص فيما بعد الخَلْق، (وفي هذا الحال يكون، "الخلق" الإلهي أتم من "الجَعْل" الإلهي، والله أعلم).

يوجد بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يُكمل بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة – وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس" – بينما نجد بين بعض الأزواج سكوناً ومودّة ورحمة من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين

زوج وزوجة متزوّجين منذ فترة طويلة، والله أعلم. وبعض الناس لا يتعرَّفون على "أزواج النفس" أبداً في الحياة الدنيا.

ومهما كانت طبيعة الحب بين الزوج والزوجة، فإنه أمر مؤسف أن يمتنع الزوج لزوجه أو أن يُسمَح لهذا الحب أن يذوي. يقول الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ (النساء،٤ :٢١)

والله ﷻ يبيّن أن العلاقة الجنسية تولد صلة لا يمكن إبطالها حتى بعد انتهاء العلاقة نفسها أو الزواج وأن هذه الصلة تستوجب المعروف والاحترام للأبد.

ويوجد في القرآن الكريم إشارات إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة،٢: ٢٢٣)

هناك إشارة إلى احتمال وجود حالة روحية في الجماع، حيث هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ؛ ففي آية تصف العلاقة الزوجية يقول ﷻ: وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ. وهكذا فإن أي جانب من جوانب الحياة الزوجية يمكنها أن تكون متوافقة مع الحياة الروحية في الإسلام. بل يجب أن يكون هذا هو الحال، يقول الله لسيدنا محمد ﷺ:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (الأنعام،٦: ١٦٢ – ١٦٣)

(ز) الحب والزنا

القرآن الكريم لا ينكر أنه قد يوجد حب في الشهوة والرغبات الدنيوية. يقول ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣: ١٤)

ولكن الله ﷻ حذّر من الخطورة العظيمة في الزنا، فالزنا ليس فاحشة فحسب بل ساء سبيلاً. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ (الإسراء،١٧: ٣٢)

أي أن الزنا يَسحَبُ صاحبه بكل شدة الحب إلى دائرة عواطف وأفعال تُبعد الزاني عن حب الله ﷻ والهدى والصراط المستقيم بشكل دائم ومستمر. يقول الله ﷻ:

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ... (الأحزاب،٣٣: ٤)

إذاً فإن الزنا يُبعد المرء عن حب الله ﷻ وليس مجرد خطيئة بل يصاحبه انقلاباً لحياة المرء الروحية.

(٣): الحب

في هذا الباب سنناقش عدداً من المواضيع التي لها علاقة بالحب ومنها: (أ) أنواع الحب؛ (ب) مراحل الحب؛ (ج) الوقوع في الحب؛ (د) الحب والسعادة؛ (هـ) الحب والموت.

(أ) أنواع الحب

يذكر الله ﷻ ثمانية وثلاثين نوعاً من الحب[٥] في القرآن الكريم. وكل نوع من أنواع الحب يختلف قليلاً عن الأنواع الأخرى، فلا ترادف في اللغة العربية، ولكل كلمة معنى فريد ومحدد مع اختلاف بسيط في المعنى. وسنذكر هنا بعضاً من أنواع الحب، مثل: المحبة؛ الاستحباب؛ الود؛ المودة؛ الوداد؛ الشغف؛ الهوى؛ الاستهواء، إلخ. فالقرآن الكريم يذكر أن الحب يمكن اختباره بطرق تختلف قليلاً عن بعضها بعضاً وذلك حسب اختلاف نفوس الذين يُحبون.

(ب) مراحل الحب

من ناحية أخرى، فإن كل البشر يختبرون نفس مراحل الحب. والقرآن الكريم يذكر مائة[٦] مرحلة للحب. يكفينا أن نقول هنا إنها تتضمن مراحل

[٥] وأنواع الحب المختلفة المذكورة في القرآن الكريم هي: (١) الحب؛ (٢) المحبة؛ (٣) الاستحباب؛ (٤) الرحمة؛ (٥) الرأفة؛ (٦) الوُد؛ (٧) المودّة؛ (٨) الوداد؛ (٩) الإرادة؛ (١٠) الشغف؛ (١١) الهوى؛ (١٢) الاستهواء؛ (١٣) الغوى؛ (١٤) الهَم؛ (١٥) الرَغَب؛ (١٦) التقارب، المقاربة، القرب؛ (١٧) الغرام؛ (١٨) الهيام؛ (١٩) الخُلّة؛ (٢٠) الصداقة؛ (٢١) الصحبة؛ (٢٢) الإيثار؛ (٢٣) الضلال؛ (٢٤) الرضى؛ (٢٥) الحنان؛ (٢٦) الإعجاب؛ (٢٧) الميل؛ (٢٨) الشهوة؛ (٢٩) الصَبَا؛ (٣٠) الابتغاء؛ (٣١) التفضيل؛ (٣٢) الزنا؛ (٣٣) الحفاوة؛ (٣٤) الشفقة؛ (٣٥) الولاية؛ (٣٦) الصغى؛ (٣٧) الوليجة؛ (٣٨) الألفة.

[٦] يمكن أن نقسم مراحل الحب إلى مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس؛ ومراحل تتعلّق بحب الناس لله ﷻ وقد تتعلّق أحياناً بحب الناس؛ ومراحل تتعلّق بحب الناس للناس وقد تتعلّق أحياناً بحب الناس لله ﷻ.

(أ) المراحل التي تتعلّق بحب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس، وهي: (١) الفراغ؛ (٢) الفقر؛ (٣) التزيين؛ (٤) الإعجاب؛ (٥) الحب والإحباب؛ (٦) الرّضا؛ (٧) التقرّب؛ (٨) الإرادة؛ (٩) الابتغاء؛ (١٠) الرّغَب؛ (١١) الولاية؛ (١٢) الخُلّة؛ (١٣) الفرح؛ (١٤) السكن؛ (١٥) الرّجاء؛ (١٦) العمل؛ (١٧) الذِكر؛ (١٨) النجوى؛ (١٩) الابتلاء؛ (٢٠)

مثل: الفراغ؛ الفقر؛ التزيّن؛ الإعجاب؛ الإرادة؛ الفرح؛ الرّجاء؛ العمل؛ الذِكر؛ النجوى؛ الابتلاء؛ العلم؛ المعرفة؛ الخوف؛ الحزن؛ الألم، إلخ.

(ج) الوقوع في الحب

لفهم ما هو الوقوع في الحب، يجب علينا أولاً أن نفهم القاسم المشترك بين مراحل الحب. ولفهم ذلك، يجب علينا أن نعرف من هو الإنسان ومما يتكون.

الاطمئنان؛ (٢١) العلم؛ (٢٢) المعرفة؛ (٢٣) المشيئة؛ (٢٤) الخوف؛ (٢٥) الحزن؛ (٢٦) الألم؛ (٢٧) البكاء؛ (٢٨) التغيير؛ (٢٩) القبض؛(٣٠) البَسط؛ (٣١) الحاجة إلى الخلوة؛ (٣٢) الصبر؛ (٣٣) الأمل؛ (٣٤) الغيرة؛ (٣٥) اللقاء؛ (٣٦) المعية؛ (٣٧) قرّة العين.

(ب) المراحل التي تتعلّق بحب الناس لله ﷻ وقد تتعلّق بحب الناس للناس؛ وهي: (٣٨) الود؛ (٣٩) الشفقة؛ (٤٠) الاستئناس، الأنس؛ (٤١) السلام؛ (٤٢) الاكتفاء؛ (٤٣) الشكر؛ (٤٤) التوكل؛ (٤٥) انشراح الصدر؛ (٤٦) لين الجلد؛ (٤٧) لين القلب؛ (٤٨) قشعريرة الجلد؛ (٤٩) وجل القلب؛ (٥٠) التبتّل؛ (٥١) الإخبات؛ (٥٢) الإنابة؛ (٥٣) التضرّع؛ (٥٤) التوبة؛ (٥٥) الاستغفار؛ (٥٦) العَجَل للترضية؛ (٥٧) الدعاء؛ (٥٨) التذكّر؛ (٥٩) الاتباع؛ (٦٠) تمحيص القلب؛ (٦١) الشكّ؛ (٦٢) الريب؛ (٦٣) الظن؛ (٦٤) النظر؛ (٦٥) التفكّر؛ (٦٦) التدبّر؛ (٦٧) استعمال العقل؛ (٦٨) التبصر؛ (٦٩) اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين)؛ (٧٠) الطمع؛ (٧١) الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة؛ (٧٢) التأوّه؛ (٧٣) الأوب؛ (٧٤) القنوت؛ (٧٥) القهر؛ (٧٦) الإسلام؛ (٧٧) الإيمان؛ (٧٨) الإحسان؛ (٧٩) الإخلاص.

(ج) المراحل التي تتعلّق بحب الناس للناس وقد تتعلّق بحب الناس لله ﷻ؛ وهي: (٨٠) المحبة؛ (٨١) وجود الجمال؛ (٨٢) التعارف؛ (٨٣) الميل؛ (٨٤) المودة؛ (٨٥) الرأفة؛ (٨٦) الشهوة؛ (٨٧) الهوى؛ (٨٨) الهمّ؛ (٨٩) المتعة؛ (٩٠) الاستمتاع؛ (٩١) الكرم؛ (٩٢) الرحمة؛ (٩٣) اللطف؛ (٩٤) المغفرة، الغفران؛ (٩٥) العفو؛ (٩٦) الصفح؛ (٩٧) المعروف؛ (٩٨) المراودة؛ (٩٩) الاستحياء؛ (١٠٠) عدم الإحساس بالحال.

والقرآن الكريم يحدد عناصر ومَلَكات الإنسان المختلفة، وهي: الجسم، النفس؛ "النفس الأمارة بالسوء"؛ "النفس اللوامة"؛ "النفس المطمئنة"؛ العقل؛ قُدرة الإنسان على التعلُّم؛ قُدرة الإنسان على الكلام؛ إرادة الإنسان؛ العاطفة؛ الذاكرة؛ الخَيال؛ الإحساس؛ شعور الإنسان؛ إيناس الإنسان؛ البَصِيرة؛ الصدر؛ القلب؛ الفؤاد؛ اللُبّ؛ والروح. ولا يسعنا أن نشرح كل هذه العناصر والملكات والفروقات بينها بالتفصيل هنا، وسنكتفي بالقول إن للإنسان ثلاثة أبعاد أساسية يرتبط بعضها ببعض: (١) جسم فردي ومادي وله حواس؛ (٢) نفس فردية ولكن لطيفه ولها ملكات مثل الإرادة والعقل والعاطفة، وثلاثة "أنواع" أو "أجزاء" من النفس، وهي: "النفس الأمارة بالسوء"، "النفس اللوامة"، "النفس المطمئنة"؛ (٣) والروح أسمى من النفس الفردية ولكن يشتمل على درجات من "النزول للوصول" إلى "القلب اللطيف". ولكن النفس هي الشاهد الداخلي الفردي للجسم؛ والروح هي الشاهد الداخلي الغير فردي للنفس والجسم سوياً.

ومن هنا يتضح نمط معين: كل مراحل الحب ترجع إلى مكونات ومَلَكات الإنسان بأكملها؛ وكل مكونات ومَلَكات الإنسان تنخرط – كل بطريقتها الخاصة وحسب طبيعتها – في الحب. بعبارة أخرى، فإن كل شيء يحدث أثناء الوقوع في الحب – من الرجاء إلى الخوف؛ ومن الفرح إلى الغيرة؛ ومن القبض والحاجة إلى الخلوة إلى البسط والحاجة إلى الناس والحاجة إلى الجلوة؛ ومن الاستهواء والهمّ والرغب إلى الحزن والألم والبكاء – كلها نتائج مباشرة لعملية قيام جسد ونفس أو روح المُحِب بالتعلّق والارتباط بالمحبوب. ومن هنا يمكن لنا أن نرى بسهولة ما هو الوقوع في الحب: الوقوع في الحب هو "مَيل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسن، من بعد الإعجاب به". أي أن الوقوع في الحب هو ميْل كل ما في الإنسان إلى المحبوب. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ (مريم،١٩ :٩٦)

ومن هذه الآية الكريمة لا نفهم بالضرورة أن الله ﷻ يكافئ العبد فقط بعد أن يحقق كمّاً أساسياً من الإيمان والأعمال الصالحة (وهذا ممكن أن يحصل، بالتأكيد)، بل نفهم من ذلك أن الإيمان بالله ﷻ (وبالتالي تفعيل العقل بتوجيهه إلى الله ﷻ) والأعمال الصالحة (وبالتالي الإرادة التي تمّ توجيهها أيضاً إلى الله ﷻ) تؤدي بشكل طبيعي إلى ازدياد عاطفة الحب إلى الله ﷻ. فالحب يزداد من خلال مَيل المَلَكَات الأخرى.

وتوضيحاً لهذا: فإن كل الكتب التي تتناول كيف يمكن تقوية الذاكرة تنصح بالأمر نفسه المتضمن: بناء هياكل منطقية من المعلومات التي يريد أن يتذكّرها المرء؛ وشحنها بالعواطف؛ والتأمل بأهمية تذكّرها؛ وذِكرها كثيراً؛ وتصور قصة من المعلومات؛ وتناول الطعام والشراب أثناء دراستها، ثم أكل أو شرب نفس الشيء قبل الامتحان. أي أن الذاكرة تنمو حين يتم تسخير العقل والعاطفة والإرادة وقدرة الإنسان على الكلام والخيال و/أو الحواس البشرية الأخرى من أجلها. وعلى نقيض ذلك، فإن الذاكرة تضعف إن لم يتم السماح لباقي المَلَكات أن تميل إلى هدف معين. فهذه طبيعة الحب، ومن المثير للدهشة كم من الناس – ومنهم الفلاسفة وعلماء النفس والعلماء – لا يفهمون هذا مع أنه أمر يسهل ملاحظته في كل نفس في العالم كل يوم.

(د) الحب والسعادة

يوضح لنا القرآن الكريم أنه لا يوجد فرح ولا رضى ولا سلام ولا متعة من غير حب بطريقة أو بأخرى. وسبب ذلك أن الفرح والرضى والمتعة هي من أنواع أو مراحل الحب. فكيف يكون فرح بشيء من غير حبه؟ أو رضى بشيء من غير حبه؟ أو يجد السلام في شيء من دون أن يحبه؟ أو متعة

بشيء من غير حبه؟

بالإضافة إلى ذلك، فإنه لا توجد سعادة حقيقة بدون حب الله ﷻ تحديداً. فكلمة "السعادة" أتت مرتين فقط في القرآن الكريم (في سورة هود)، وكلتاهما تشير إلى الجنة. وهذا يشير إلى أن الحب الدنيوي لا يكفي لكي يؤدّي إلى درجة السعادة الكاملة، ولا سعادة حقيقة بدون حب الله ﷻ. فالحب الدنيوي لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ وبالتالي لا يكفيه ولا يملؤه بشكل كامل إلا حب الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ (يونس،١٠ :٥٨)

(هـ) الحب والموت

عندما تميل مَلَكات النفس، الواحدة تلو الأخرى، إلى المحبوب، فإنها تصبح أقل ارتباطاً بأنانيتها لدرجة أن الذي يُحِب يتوقف عن الاهتمام والتفكير بنفسه، بل يهتم بمحبوبه فقط. إذا استمر هذا، فإن أنانية النفس تموت "في" المحبوب وفي سبيل المحبوب. فنهاية الحب هي الموت. والحب يؤدي في النهاية إلى موت (جزء) من المُحِب. وفي معظم اللغات توجد علاقة جذرية بين كلمة "الحب" وكلمة "الموت". ففي اللغة العربية مثلاً هناك علاقة بين كلمة "موت" وكلمة "سَكْرَة" وكلمة "عِشْق" (التي تأخذ اسمها من نبتة صحراوية من جنس اللبلاب تنمو حول نباتات أخرى حتى تصبح جزءاً منها). فالنهج الذي يأخذه هذا الموت يعتمد على ماهية المحبوب. فالله ﷻ يقول:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

فـ"العذاب الشديد" المذكور في نهاية هذه الآية الكريمة إشارة إلى الذي يحب غير الله ﷻ إلى درجة العبادة (والحب الدنيوي غير المنضبط من ضمن ذلك). فطالما تجاهلت هذه النفس حبّ الله ﷻ، فلا يمكن لها أن تكون بمعية حقيقية مع محبوبها ﷻ، فهي ومحبوبها سيتغيران ويفترقان ويموتان لا محالة. وهنا يكمن صراع كل الذين ذاقوا الحب الدنيوي في التاريخ والذين انتحروا من الحب؛ فهم ينتحرون لأنهم توقفوا عن الحياة في أنفسهم وحُرِموا من محبوبيهم: فهم لا يستطيعون تحمّل الألم و"العذاب الشديد"، فلا يستطيعون الاستمرار بالحياة. الكثير من الناس لديهم نزعة فطرية أن يجدوا مثل هذا الحب جميلاً لأنها قد تكون المرة الوحيدة التي يرون فيها شخصاً يسمو فوق أنانيته بسبب الحب، ولكن إن لم يُعاد دمج هذا الحب في حبّ الله ﷻ، فسيبقى هذا الحب سراباً عقيماً وليس نعيماً أبدياً.

وعلى نقيض ذلك، فإن الذين تموت أنانيتهم من حبهم لله ﷻ، فيدخلون جنة حبّ الله. يقول الله ﷻ:

يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ (الفجر،٨٩: ٢٧ – ٣٠)

فموت "النفس الأمّارة بالسوء" أو الأنانية من خلال حبّ الله ﷻ هو غاية الحياة الروحية. يقول الله ﷻ:

ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (التوبة،٩: ٤١)[٧]

[٧] يمكننا أن نفهم أن كلمتَي "أَمْوَٰلِكُم" و"أَنفُسِكُم" في الآية الكريمة أعلاه تشيران إلى أهواء الناس وأنانيتهم، فالقرآن الكريم يوضح لنا أن هناك نوع من التماثل (كالمرآة) بين عالَمَي

(٤): الجمال

في هذا الباب سنناقش (أ) طبيعة الجمال، (ب) الذوق، (ج) قدرة الجمال، (د) الحب والجمال في الجنة.

(أ) طبيعة الجمال

يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ ... (السجدة،٣٢: ٧)

هذه الآية الكريمة تعني أن الجمال موجود بشكل موضوعي في كل شيء طبيعي، حتى وإن كان ذلك فقط في حقيقة أنه حيّ، وبعض الأشياء أجمل من غيرها.

ولكن ما هو الجمال؟ وما هي مكوناته؟

إن صفات المخلوقات تأتي في الأساس من صفات أو أسماء الخالق ﷻ، وإن كان ذلك من بعيد أو بشكل غير مباشر. ويمكن تصنيف أسماء الله الحُسنى إلى صنفين: أسماء الذات الإلهية (مثل:الأحد)، وأسماء الصفات. وقد صنّفت أسماء الصفات إلى ثلاثة أصناف، وهي: أسماء جمال (مثل: الرحيم والجميل)، وأسماء جلال (مثل: العزيز والجبار)، وأسماء كمال (مثل:الملك والرَّب). وقال سيدنا محمد ﷺ عن آخر آية في سورة الرحمن: **((لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن)).**

الإنسان الداخلي والخارجي (انظر: سورة فُصّلَت، ٤١: ٥٣ وسورة الذاريات، ٥١: ٢٠ - ٢١).

تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ (الرحمن،٥٥ :٧٨)

فنرى في هذا الاسم من أسماء الله الحسنى الذي يلخّص أسماء الله الجميلة (وبالتالي جذور الجمال) أن مكوّنات الجمال هي: وجود الجلال والإكرام والتوفيق بينهما، وبالتالي الكَمال.

(ب) الذوق

إن كان الجمال هو حقيقة موضوعية، فكيف تختلف آراء الناس حول ما يجدونه جميلاً؟ الجواب هو إن النفوس تختلف قليلاً من شخص لآخر وبالتالي يتمتعون بحالات روحية مختلفة، فينظرون إلى نفس الشيء بطرق تختلف قليلاً عن بعضهم البعض. فالجمال موضوعي، ولكن معظم الناس غير موضوعيين قليلاً، وبالتالي فإن الذوق غير موضوعي. فليس الجمال هو الذي في عين الناظر، بل الذوق في عين الناظر. يقول الله ﷻ:

قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ (الإسراء،١٧ :٨٤)

(ج) قدرة الجمال

للجمال قدرة كبيرة جداً. فالجمال الفتّان يستطيع أن يلهي من يشهده عن كل ما هو فيه، وحتى عن نفسه، وحتى عن حواسه وعن الألم وحتى الموت. يقول الله ﷻ (بالإشارة إلى زوجة العزيز ونساء المدينة وسيدنا يوسف عليه السلام):

فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ (يوسف،١٢ :٣١)

فنسوة المدينة انجذبن وانسَحرن بمجرد رؤية سيدنا يوسف ﷺ، وقطّعن أيديهن من غير شُعورهن بحالهن. وهكذا الجمال يوقف من يُدركه، ويقطع عمله (والأيدي رمز للعمل) ويُلهيه عن أي شيء غيره، حتى الألم. هكذا هي قدرة الجمال.

ويمكن للجمال أن يؤثّر على من يُدركه بطريقتين مختلفتَين: الطريقة الأولى هي: سَحب من يُدركه خارج ذاته، وبالتالي جَذبه إلى حُب الشيء الجميل، وإلى حب امتلاكه – وذلك ربما حتى بقوة وبعنف، أو الطريقة الثانية هي: رجوع من يُدركه إلى ذاته الداخلية الحقيقية، بعيداً عن الدنيا وعن الشهوات، وبذلك يحوّل العالَم الخارجي نفسه إلى تذكيرٍ و"بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ". ونرى هاتين الطريقتين في زوجة العزيز وفي سيدنا يوسف ﷺ. يقول ﷻ:

وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف،١٢ :٢٤)

فجمال سيدنا يوسف ﷺ أثّر على زوجة العزيز بحيث جعلها تُريد أن تزني معه، وحتى تُريد أن تُجبره على الزنى معها. أمّا بالنسبة لسيدنا يوسف ﷺ، فقد استبطن جمال زوجة العزيز بشكل كامل فأصبح جمالها "بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ"، و"صرف" عنه "ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ". أي أن الجمال – حتى الجمال الخارجي – هو سيف ذو حَدّين: يمكنه دفع من يجذبه إلى داخل نفسه (أي روحه) أو جذب من يُدركه إلى خارج نفسه؛ يمكنه تشتيت النفس أو جمعها؛ يمكنه التسبب بالفحشاء أو بالسكينة؛ ويمكنه أن يكون جسدي أو روحي. ولذلك فإن الجمال نفيس ولذلك يُصرّ الإسلام على حراسة الجمال من خلال الاحتشام في اللِباس.

(د) الحب والجمال والرضوان في الجنة

يوجد في الجنة كل مَا يُحبه أهل الجنة، وكل مَنْ يحبونهم – بدون أي حرمان أو حدود – ولكن غير المسلمين يبالغون بالجوانب المادية لهذه المُتَع في الجنة. والقرآن الكريم لا يتجاهل العلاقة الزوجية في الحياة الدنيا – كما ناقشنا –ولكن لا ذِكر للعلاقات الجسدية في الجنة. وكذلك لا ذِكر للاستمتاع الجسدي بالنوم والأكل والشرب، بل أن الإشارات إليها تصف العرفان والشكر والحمد الذي يشعر به أهل الجنة لله ﷻ. باختصار، إن الجمال والحب في الجنة يختلفان عن الحب في الدنيا، ففي الجنة هما مصدر للسعادة والسكون والتأمل بدون شائبة أو حاجة أو عذاب أو قبض كالحب في الدنيا.

يقول الله ﷻ:

لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ (الواقعة،٥٦: ٢٥-٢٦)

وأكبر نِعَمَتين في الجنة هي نعمة النظر إلى الله ﷻ ونعمة رضوانه. يقول الله ﷻ:

وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ (القيامة،٧٥: ٢٢-٢٣)

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ (التوبة،٩ :٧٢)

فـ"الرضوان" من "الرضا" – وبالتالي من الحب – ولكنه أعظم من الرضا. والله ﷻ يُحِلُّ على عبده "الرضوان"، فهو نهاية الآخرة التي لا نهاية لها، وهو نهاية الحب الذي لا ينتهي.

يقول الله ﷻ:

سَلَـٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ (يس،٣٦ :٥٨)

خاتمة واستنتاج

الله ﷻ هو الرحمن، الرحيم، الودود. خَلقَ العالَم من الرحمة ومن الحب. وبالحب يعود الإنسان بالصراط المستقيم إلى الله ﷻ بأجمل وأيسر طريقة.

الحبّ في القرآن الكريم

باب المقدّمات

١. باب المقدّمات؛ الفصل الأول:

تمهيد: أهداف ومنهج هذه الرسالة

المطلب الأول: الأهـداف

لنا في هذه الرسالة إن شاء الله ﷻ خمسة أهداف، والله المستعان.

(أ) الهدف الأول:

القرآن الكريم حق. يقول الله ﷻ:

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ (البقرة،٢ :١٤٧)

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ... (الكهف،١٨ :٢٩)

والذي أنزل القرآن الكريم أنزله بالحق:

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ (البقرة ،٢ :١٧٦)

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ (الإسراء ،١٧ :١٠٥)

وبكونه الحق فهو الحق الكامل:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ (الإسراء،١٧ :٨٩)

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ

جَدَلاً ﴿٥٤﴾ (الكهف، ١٨ :٥٤)

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ (الروم،٣٠ :٥٨)

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ (الزمر،٣٩ :٢٧-٢٨)

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ (النحل ١٦، :٨٩)

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ (يونس،١٠ :٣٧)

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ (الأعراف، ٧ :٥٢)

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ (يوسف،١٢ :١١١)

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلاً ﴿١٢﴾ (الإسراء،١٧ :١٢)

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ (الأنعام،٦ :٣٨)

وهكذا يوضح الله ﷻ لنا أن القرآن الكريم هو الحق الكامل. بل أكثر من ذلك، إذ يُخبرنا الله ﷻ أنه ضرب في القرآن الكريم " مِن كُلِّ مَثَلٍ "، وأنه قال ﷻ " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ "، وقال ﷻ إن

القرآن الكريم هو "تِبۡيَـٰنا لِّكُلِّ شَيۡءٖ"، "وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ"، وأن الله ﷻ قال: "مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ". وقد اختلف العلماء والمفسرون في معنى هذه الآيات. فيفهم الطبري من "وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ" التالي:

"تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته"[٨].

ويفهم الفخر الرازي من "تِبۡيَـٰنا لِّكُلِّ شَيۡءٖ" أن المقصود جميع أصول علوم الدين:

"من الناس من قال: القرآن تبيان لكل شيء وذلك لأن العلوم إما دينية أو غير دينية، أما العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية، لأن من المعلوم بالضرورة أن الله تعالى إنما مدح القرآن بكونه مشتملاً على علوم الدين فأما ما لا يكون من علوم الدين فلا التفات إليه، وأما علوم الدين فإما الأصول، وإما الفروع، أما علم الأصول فهو بتمامه موجود في القرآن، وأما علم الفروع فالأصل براءة الذمة إلا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب، وذلك يدل على أنه لا تكليف من الله تعالى إلا ما ورد في هذا القرآن، وإذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلاً، وكان القرآن وافياً ببيان كل الأحكام، وأما الفقهاء فإنهم قالوا: القرآن إنما كان تبياناً لكل شيء، لأنه

---

[٨] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ٧/ ٣٢٥.

وربما يكون هنالك فرق لطيف بين معنى العبارة الكريمة "وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ" كما جاء في القرآن الكريم في سورة يوسف (١٢ :١١١) عن القرآن الكريم والعبارة الكريمة "وَتَفۡصِيلاً لِّكُلِّ شَيۡءٖ" كما جاء في القرآن الكريم عن ألواح سيدنا موسى عليه السلام في سورة الأنعام (٦ :١٥٤) وفي سورة الأعراف (٧ :١٤٥). وربما قوله ﷻ: "وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ" يعني أن الله ﷻ جعل صورة كاملة للأشياء في القرآن الكريم، بينما قوله ﷻ: "وَتَفۡصِيلاً لِّكُلِّ شَيۡءٖ" يعني أن الله ﷻ جعل وصف الأشياء بأكملها في ألواح سيدنا موسى عليه السلام، والله أعلم.

يدل على أن الإجماع وخبر الواحد والقياس حجة، فإذا حكم بحكم من الأحكام بأحد هذه الأصول كان ذلك الحكم ثابتاً بالقرآن"[9].

ويَفهم الزمخشري في الكشاف من قوله ﷻ "تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ" أن المقصود جميع العلوم الدينية حيث يقول:

"المعنى أنّه بين كل شيء من أمور الدين، حيث كان نصاً على بعضها وإحالة على السنة في البعض الآخر، حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ وطاعته"[10].

ولكنّنا نقول إن في كتاب الله جميع علوم ومبادئ الفلسفة[11] أيضاً[12].

---

٩ الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٧/ ٢٥٨. ويقول الفخر الرازي أيضاً:

"قال تعالى: ... مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ... (الأنعام،٦ :٣٨) وفي المراد بالكتاب قولان: القول الأول: المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش وعالم السماوات المشتمل على جميع أحوال المخلوقات على التفصيل التام، كما قال عليه السلام: «**جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة**». والقول الثاني: أن المراد منه القرآن، وهذا أظهر لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن". (الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٤/ ٥٢٦).

ويقول الفخر الرازي كذلك:

"وفيه قولان: الأول: المراد وتفصيل كل شيء من واقعة يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته، والثاني: أنه عائد إلى القرآن، كقوله: ... مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ... فإن جعل هذا الوصف وصفاً لكل القرآن أليق من جعله وصفاً لقصّة يوسف وحدها، ويكون المراد: ما يتضمن من الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين". (الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٦/ ٥٢٣).

١٠ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف، ص ٥٨٦.

١١ كلمة "فلسفة" أصلها من اللغة اليونانية، وهي مركبة من كلمتين: "فايلو"، وهي تعني "الحب"؛ و"سوفيا"، وسوفيا تعني "الحكمة". فـ"الفلسفة" حسب أصلها اللغوي تعني "حب الحكمة". وعلماء المسلمين عرَّفوا الفلسفة بعدة تعاريف. ولكننا نقصد نحن هنا من كلمة "الفلسفة" التالي: "الحكمة التي هي دون العقيدة ودون التشريع"، وبمعنى آخر كل

حكمة ومعرفة باستثناء العقيدة (والكلام) والفقه. فعلى سبيل المثال الحب موضوع فلسفي، وعلم المنطق موضوع فلسفي، وعلم النفس موضوع فلسفي إلى آخره. وربما يكون جانب تشريعي في هذه المواضيع أو جانب عقائدي، ولكن الفَهم الذي هو محايد بالنسبة للعقيدة أو الشريعة يعتبر علماً فلسفياً، شريطة أن يكون مفيداً فكرياً أو روحياً ولا يُدخل الإنسان في الكفر أو في المعصية. ولذلك عُرِّفت الفلسفة قديماً بتعريف في اللاتيني "انسلا ثيولوجيا"، وتعني هذه "خادمة العقيدة أو علم الكلام". والحكمة – ولعلها ليست مرادفاً للفلسفة ولكنها يجب أن تتضمن الفلسفة – تتمتع بمكانة مرموقة في القرآن الكريم. يقول ﷻ:

يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾ (البقرة،٢ :٢٦٩)

[١٢] من غير الخوض في النقاشات اللاهوتية والأشعرية المعقدة عن الوضع الفلسفي للـ"شيئية" وعن إن كان "لا شيء" هو "شيء"، سنكتفي بالقول إنه يمكن حلّ هذه المسألة بسهولة من خلال فهم الاشتقاق اللغوي – وبالتالي معنى – كلمة "شيء": فالـ"شيء" ليس مجرد حقيقة، أو تفصيل، أو فكرة، أو معلومة: بل هو:

> هو الذي يصح أن يعلم ويخبر عنه، وعند كثير من المتكلمين هو اسم مشترك المعنى إذا استعمل في الله وفي غيره، ويقع على الموجود والمعدوم. وعند بعضهم: الشيء عبارة عن الموجود وأصله: مصدر شاء ... وإذا وصف به غيره فمعناه المشيء، وعلى الثاني قوله تعالى: ... قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ... (الرعد،١٣ :١٦) (الراغب الأصفهاني، المفردات في غرائب القرآن، ص ٤٧١)

إذاً فإن الـ"شيء" هو شيء أشاءه الله ﷻ وبالتالي قد خلقه ﷻ أو أمر البشر أن يصنعوه أو أوصاهم أن يعلموه. وآخر هذه الأشياء تتضمّن الحكمة في القرآن الكريم حيث يذكرها الكتاب الكريم كأحد الأسباب الأربعة التي نزل من أجلها القرآن الكريم نفسه (بالإضافة إلى تلاوة وفهم آياته والتزكية). يقول الله ﷻ:

لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ (آل عمران،٣ :١٦٤)

هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ (الجمعة،٦٢ :٢)

فلهذا السبب نقول إنه بما أن القرآن الكريم "... تِبۡيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىۡءٍ ..." (النحل،١٦ :٨٩)، إذاً فلا بدّ أنه يحتوي على كل شيء من أمور الدين وجميع علوم ومبادئ الفلسفة أيضاً.

وقد يعترض البعض (وقد اعترض فعلاً بعض علماء الإسلام) على فهم قوله ﷻ "... لِّكُلِّ شَىۡءٍ ..." بشكل حرفي، وهم يرون أنه يجب فهمها بشكل غير حرفي (أي بشكل بلاغي كاستعارة أو مجاز) كما في الآية الكريمة:

فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضًا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ (الأحقاف،٤٦: ٢٤ – ٢٥)

وجواب هذا هو: أولاً، هناك فرق بين الاستعارة والمجاز (التبديل الرمزي، مثلاً "العرش" بدلاً من "الملك وحكومته") من جهة والمجاز المرسل الكُلّي أو الجزئي (استبدال جزء بالكل، أواستبدال الكل بالجزء، مثلاً: "وجه" بدلاً من "شخص") من جهة أخرى. وثانياً، في الآيات الكريمة المذكورة، لا داعي لافتراض أي مجاز إطلاقاً لأن القرآن الكريم في غاية الدقة والتحديد ويعطينا الاستثناء نفسه ("مَسَـٰكِنُهُمۡ" وكل ما هو متعلق بها). بالإضافة إلى ذلك، وكما ذكرنا سابقاً بالنسبة لكل شيء من أمور الدين، فإن القرآن "تَفۡصِيلَ كُلِّ شَىۡءٍ" (يوسف،١٢: ١١١) وانظر أيضاً الإسراء، ١٧: ١٢) ولا تَذْكُرُ هذه الآيات الكريمة أيّ استثناءات وبالتالي لا يمكن أن نفهمها مجازياً. وعلى سبيل المثال قول الله ﷻ : وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلۡأَخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٧٢﴾ (الاسراء،١٧ :٧٢) لا يعني أن الكفيفين لا يدخلون الجنة لكن يعني أن القلب له رؤية حقيقية (ولو روحية)

وهذا من إعجاز القرآن الكريم؛ فلا يمكن لأي كتاب بشري أن يحتوي على جميع العلوم الفلسفية في كتاب واحد مثل ما هو الحال مع القرآن الكريم. فكما يوجد في القرآن الكريم إعجاز لغوي وبلاغي وربما أيضاً إعجاز علمي، فإنه يوجد في القرآن الكريم إعجاز فلسفي كذلك:

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾
(الطور،٥٢ :٣٣-٣٤)

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ (الإسراء،١٧: ٨٨)

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ (هود،١١ :١٣-١٤)

وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ (البقرة،٢ :٢٣-٢٤)

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ

كما للرأس له أعين، كما أوضحه الله ﷻ في قوله: أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ (الحج،٢٢ :٤٦)، والله أعلم.

وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ (يونس،١٠ :٣٦-٣٩)

أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾

(الطور،٥٢ :٣٣-٣٤)

ولذلك هدفنا الأول في هذه الرسالة أن نبيّن أن كل ما يمكن أن يقال بالنسبة للحب هو في كتاب الله، وأنه مفصل وليس مجملاً، ولذلك تقتصر هذه الرسالة فقط على الحب في القرآن وليس الحب في الحديث الشريف، أو في السنة، أو عند العلماء، والعارفين بالله، والفلاسفة.

(ب) الهدف الثاني:

إن الهدف الثاني هو الاستفادة مما قيل قبلنا عن الحب في القرآن الكريم في كتاب واحد – بقدر الاستطاعه – مع إضافة ما يَهِبهُ الله ﷻ لكشف بعض الأسرار التي عُرِفَتْ من قبل ولكن لم تكتب – حسب علمنا – في مرجعٍ واحد عن موضوع الحب في القرآن الكريم. ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الفلاسفة عندما ناقشوا الحب لم يستشهدوا بآية واحدة من القرآن الكريم ومنهم – مع الأسف – ابن سينا في رسالته (رسالة في العشق). وبعض علماء المسلمين الآخرين كالإمام الغزالي في كتابه: (إحياء علوم الدين/ كتاب المحبة، والشوق، والأنس، والرضا) الباب رقم ٣٦، ومحيي الدين بن عربي في كتابه: (الفتوحات المكية) الفصل ١٧٨ (رسالة في الحب)، وابن حزم في (طوق الحمامة)، فإنهم أحياناً كانوا يستدلون من القرآن والحديث معاً، وأحياناً من القرآن وحده، وأحياناً من الحديث وحده. ونحن في هذه الرسالة الفلسفية الحيَّة بمشيئة الله ﷻ نأمل أن نعطي شرحاً كافياً عن الحب ومنهجنا هنا

الاستدلال بالقرآن وحده دائماً، حيث نجعله الأساس في بناء النقاط. وأما الأحاديث فإذا أوردناها فإنما هي لتعزيز المعنى وزيادة الإيضاح.

(ج) الهدف الثالث:

الهدف الثالث هو الشرح الكافي والوافي للحب وأسراره من القرآن الكريم فقط. ولا يمكن لنا أو لغيرنا أن نقول كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع وهو: الحب في القرآن الكريم. فكيف نستنفد كلام الله الذي يقول:

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ (الكهف،١٨ :١٠٩)

والذي يقول جَلَّ جَلَالُهُ:

وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ (لقمان،٣١ :٢٧)

(د) الهدف الرابع:

إن الهدف الرابع في هذه الرسالة هو أن نفيد – بإذن الله تعالى – القارئ في بعض أسرار وعجائب الحب، لأن الحب ربما يكون أكبر سرٍّ في عالمنا المعاصر، فمعظم أفعال الناس وأمانيهم من أجل الحب والسعادة. والسعادة هي وليدة الحب – كما سنرى إن شاء الله تعالى – ولكن معظم الناس لا يعلمون شيئاً عن الحب وبالتالي لا يعلمون شيئاً عمَّا يعملون. لكن الذي يعلم عن الحب بإمكانه أن يُنَمِّي حباً معيناً، أو يوقفه. ولذلك يمكن لهذه الرسالة إن شاء الله أن تعود بالفائدة الكبيرة على الناس في مساعدة أنفسهم في حب الخير، والابتعاد عن حب الشهوات. وقد سعينا أن نَبسُط هذا الموضوع في فصول قصيرة ومستقلة، عسى أن تنفع هذه الفصول لتكون مواد

صالحة للتعليم في الجامعات أو دونها، ... وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ (هود،١١ :٨٨)

(هـ) الهدف الخامس:

يوجد عند كثير من غير المسلمين لَبس شائع عن موضوع الحب في الإسلام وفي القرآن الكريم: فكثير من غير المسلمين – مفكريهم وعامتهم – يظنون أنه لا يوجد ذِكرٌ للحب أو اعتناء به في القرآن الكريم، وإن وُجد اهتمام في الإسلام بالحب، فهذا الاهتمام إنما يأتي من المتصوفين أو أحياناً من بعض الأحاديث الشريفة (التي يُشككون أصلاً في صحتها)، وليس من القرآن الكريم. فالهدف الخامس في هذه الرسالة هو أن نبيّن أن القرآن الكريم ذَكَر وأوضَحَ كل ما يمكن للإنسان أن يعرفه أو يفهَمه عن الحب فهو موجود في كتاب الله ﷻ – القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المنهج في هذه الرسالة

إن المنهج في هذه الرسـالة استدلالي يستند إلى قاعدتين في تفسير كتاب الله ﷻ.

القاعدة الأولى هي: القرآن يفسر بعضه بعضاً،

والقاعدة الثانية هي: لا ترادف في القرآن.

وفي القاعدة الأولى جاء في الدر المنثور للسيوطي ما يلي:

" أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (مثاني) قال: القرآن يشبه بعضه بعضاً، ويُرد بعضه إلى بعض. واخرج عن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جُبير ﷺ في قوله: (متشابهاً) قال: يفسر بعضه بعضاً،

ويدل بعضه على بعض"[13].

والقاعدة الثانية وهي أن لا ترادف في القرآن مُستنبطة من قول الله ﷻ:

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ (النساء،٤ :٨٢)

كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ (هود،١١ :١)

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ (الكهف،١٨ :١)

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ (الزمر،٣٩ :٢٨)

---

١٣ السيوطي، الدر المنثور، مجلد ٥، ص٦١٠.

٢. باب المقدّمات؛ الفصل الثاني:

مقدمة: سِرّ الحبّ

يقول الحق ﷻ:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

إن معظم ما يتعلق بحياة الإنسان مذكور في هذه الآية الكريمة، فالناس العاديون يقضون حياتهم إما طالبين للجنس، أو الذرية، أو العز، أو المال، أو الأملاك، وإما طالبين لحب اللهِ، والآخرة. فمعظم الموسيقى والأفلام الحديثة موضوعها الحب الجنسي، ومعظم عمل الإنسان هو لكسب المال، وسد حاجة أسرته، ومعظم العلاقات الاجتماعية هدفها طلب العِز. وكل العبادة هدفها الجنة ووجه الله ﷻ. يُضاف إلى هذا أن معظم الذي نقوله أو نفكر فيه هو من أجل شيء نريده، وبالتالي من أجل شيء نحبه، وهذا ينطبق حتى على الطعام والشراب، وينطبق على طلب الانبساط، والراحة، وعلى السعي في الفلاح في العمل، وعلى التعبير عن أحوالنا وعواطفنا. والمقصود في معظم ما نقوله ونفعله شيء نريده، وبالتالي نحبه، أو شيء لا نريده فنفر منه وبالتالي لا نحبه. فكم منا يدرك أن وراء كل نية يقصدها الإنسان إما حب النفس وإما حب الجسم وإما حب الشهوة وإما حب الآخر وإما حب الله ﷻ. حتى السعادة التي نبحث عنها ما هي إلا الرضا بامتلاك شيء نحبه – كما سنرى إن شاء الله تعالى– فالحب هو القصد وراء معظم الأشياء إن لم يكن وراءها كلها. ولكن ما هو الحب؟ ولماذا نحن كبشر ملزمون، بل محكومون، بالحب؟ ومن أين يأتي الحب؟ وإلى أين يذهب؟ وما هو هدفه؟

وكيف يصل إلى هذا الهدف؟ كم من شاب بكى، أو انتحر نتيجة الحب؟ كم من مُسن بكى أو تألم نتيجة الخوف من مفارقة من يُحب؟ وكم من إنسان قادر على أن يرى ويصف ماذا يحدث له في الحب؟ وكم من إنسان يمتلك أو يسيطر بعقله على الذي يحب أن يحبه؟ لا مبالغة إن قُلنا إنّ معظم نشاط وجهود الحياة هو طلب للحب من غير أن ندرك ماذا نعمل ولِمَ؟ فاليوم ليس على وجه الأرض – حسب علمنا – مدرسة أو جامعة تقدم مادة في الحب، وبالتالي تُعلّم الناس بماذا سيقضون حياتهم مما يجعلهم:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ (البقرة،٢ :١٧-١٨)

وبمشيئة الله ﷻ من خلال هذه الرسالة سننقل ما جاء في كلام الله ﷻ عن الحب وهو أكبر سر في الحياة، التي تشغل الكل فيها والقليل هم الذين يعلمون عنها شيئاً:

يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ (الروم،٣٠ :٧)

٣. باب المقدّمات؛ الفصل الثالث:

تعريف الحب

بطبيعة الحال لا يمكن تعريف الحب بشكل قطعي، لأن الحب مثل الألم فيه شيء لا يُحدد ولا يُعرف من خلال وصفه، فالحب يختلف عن الشيء الملموس، فمن الممكن أن أعرفَ كرسياً، أو أسداً من خلال اسمه، ولكن لا يمكن أن أعرف حقيقة الحب عن طريق وصفه، ولهذا قال البعض إن الحب لا يُعَرَّف. ومع هذا يمكن لنا أن نستنبط تعريفاً معيناً يصف الحب وصفاً قريباً من الحقيقة من كلام الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ... (النساء،٤ :١٢٩)

ويقول الله ﷻ:

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ... (الأحزاب،٣٣ :٥٢)

تصف الآية الكريمة الأولى الحب بعد أن ينضج ويتطور. أمّا الآية الكريمة الثانية فتصف بداية الحب. وسوياً، تصف الآيتان بداية وتطور ونضوج الحب. ووصف بداية وتطور ونضوج أمر ما يعني وصفه بالكامل. فمن خلال وضع هاتين الآيتين الكريمتين سوياً، يمكننا وصف الحب. ولكن هاتان الآيتان كلمات الله ﷻ وليست كلمات بشر، وبالطبع بما أن الله ﷻ يعلم كلّ شيء، فيمكننا أخذ هذا الوصف للحب على أنه تعريف. إذاً فيمكننا أن نعرّف الحب على أنّه: "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن".

وهذا التعريف الذي استنبطناه من كلام الله ﷻ مباشرة لا يختلف في جوهره

عما قاله كثيرٌ من العلماء في تعريف الحب[١٤].

---

١٤ **تعريف العلماء للحب والمحبة**

أقوال علماء المسلمين في الحب عموماً على قسمين. فأما القسم الأول فهم الذين يقولون إنه ليس للحب تعريف دقيق لكونه لا يوصف ولكن توصف آثاره فقط. أما القسم الثاني من العلماء فهم يصفون الحب كنوع من أنواع الميل إلى شيء جميل أو مُراد، علماً بأن الميل مُحال على الله ﷻ فالحب عند الله ﷻ هو نوع من تفضيله لبعض عباده. وأحياناً يخلط بعض العلماء بين هذين النوعين من التعريف.

قال **الجاحظ** (توفي سنة ٢٥٥هـ) منشداً قول أحد الشعراء:

"العين تُبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغضٍ إذا كانا

والعين تنطق والأفواه صامتةٌ ... حتى ترى من ضمير القلب تِبيانا"

(الجاحظ، كتاب البيان والتبيين، مجلد١، ص٦٢).

قال الإمام **الكلاباذي** (توفي سنة ٣٨٠هـ): "قال **الجنيد**: المحبة ميل القلوب. معناه: أن يميل قلبه إلى الله وإلى ما لله من غير تكلف. وقال غيره: المحبة: هي الموافقة، معناه: الطاعة له فيما أمر، والانتهاء عما زجر، والرضا بما حكم وقدّر. قال محمد بن علي الكتاني: المحبة: الإيثار للمحبوب. قال غيره: المحبة: إيثار لمن تحبّ .... فمحبة العبد لله تعظيم يحل الأسرار، فلا يستجيز تعظيم سواه، ومحبة الله للعبد: هو أن يُبليه به فلا يصلح لغيره. وهو معنى قوله تعالى: وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ (طه،٢٠ :٤١). ومعنى لا يصلح لغيره: أن لا يكون فيه فضل لمراقبة الأغيار ومراعاة الأحوال .... إن للقوم عبارات تفرّدوا بها، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم، نخبر ببعض ما يحضر، ونكشف معانيها بقول وجيز. وإنما نقصد في ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة، فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف، وأمّا كنه أحوالهم فإن العبارة عنها مقصورة وهي لأربابها مشهورة". (الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١٠٩-١١١)

وقال **ابن سينا** (توفي سنة ٤٢٨هـ): "لأن العشق ليس في الحقيقة إلا استحسان الحسن والملائم جداً". (ابن سينا، رسالة في العشق، ص٥٢).

وقال **ابن حزم** (توفي سنة ٤٥٦هـ) في تعريف الحب: "الذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع". (ابن حزم، طوق

الحمامة، ص٧). وقال ابن حزم في تعريفه أيضاً: "الحب اتصال بين النفوس في أصل عالَمها العُلوي". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص٢٧).

وقال **القشيري** (توفي سنة ٤٦٥هـ): "المحبة حالة شريفة، شَهِد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق سبحانه يُوصف بأنه يُحب العبد، والعبد يُوصف بأنه يحب الحق سبحانه، والمحبة على لسان العلماء هي الإرادة، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة، فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم، اللهم إلا أن يُحمل على إرادة التقرُّب إليه والتعظيم له، ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفين إن شاء الله تعالى، فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعامٍ مخصوص عليه، كما أن رحمته له إرادة الإنعام، فالرحمة خاص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام، وتسمى رحمة، وإرادته لأن يخصَّهُ بالقربة والأحوال العَليَّة وتسمى محبة، فإرادته سبحانه صِفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضباً، وإذا تعلقت بعموم النِّعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة .... وقال قوم من السلف: محبته من الصفات الخبريَّة فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير، فأما ماعدا هذه الجملة مما هو في المعقول من صفات محبة الخلق كالميل إلى الشيء والاستئناس بالشيء، وكحالة يجدها المُحبُّ مع محبوبه من المخلوقين، فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك، وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلطُفُ عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على تعظيمه، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذِكرِه له بقلبه .... وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وقد تكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة .... وأما أقاويل الشيوخ فيه: فقال بعضهم: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل: المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب. وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل: محو المحب لصفاته، وإثبات المحبوب بذاته. وقيل: مواطأة القلب لمرادات الرَّب. وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة. وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك. وقال سهل بن عبد الله: الحب معانقة الطاعة، ومُباينة المخالفة. وسئل **الجنيد** عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البدَلِ من صفات المحب. أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذِكر صفات المحبوب، والتَّغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها. وقال أبو علي أحمد الروذباري: المحبة الموافقة. وقال أبو عبد الله القرشي: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت،

فلا يبقى لك منك شيء. وقال دلف **الشبلي**: سُميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب ..." إلى آخره. (أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص٣١٧-٣٢٧).

وقال **الغزالي** (توفي سنة ٥٠٥هـ): "بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى .... لم يُتَصَّور أن يتصف بالحب جماد بل هو خاصية الحي المدرك .... فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المُلَذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سُمي عشقاً .... والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم، وهذا إنما يُتَصَّور في نفس ناقصة فإنها تميل إلى ما لا يوافقها فتستفيد بنيله كمالاً فتلتذ بنيله وهذا مُحال على الله تعالى .... فإذاً محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جَرَم يشتاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذُّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى". (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد٤، ص٣٧٨-٤٥٤).

وقال **ابن العريف** (توفي سنة ٥٣٦هـ): "وأما المحبة فهي أول أودية الفناء، والعقبة التي يُتَحدَّر منها على منازل المحو، وهو آخر منزل تلتقي فيه مقدمة العامة بساقة الخاصة". (ابن العريف، النفائس ومحاسن المجالس، ص٦٩٥).

وقال **ابن الجوزي** (توفي سنة ٥٩٧هـ): "اعلم أن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خُلِقَ في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أَكَل، وإلى المشرب ما شَرِب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب يدفع عنه ما يؤذي، فلا يصلح ذمُّ الهوى على الإطلاق، وإنما يُذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار". (ابن الجوزي، ذم الهوى، ص١٨).

وقال الشيخ الأكبر **محيي الدين ابن عربي** (توفي سنة ٦٣٨هـ) في الباب الثامن والسبعين ومئة في معرفة مقام المحبة: "إعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهيّ فإنه وصَف به نفسه وتسمّى بالودود .... ولهذا المقام أربعة ألقاب: منها الحب وهو خلوصه إلى القلب وصفاؤه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه. واللقب الثاني: الودّ وله اسم إلهيّ وهو الودود، والودّ من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمّي الودّ ودّاً لثبوته في الأرض. واللقب الثالث: العشق وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله: (... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...) (البقرة،٢ :١٦٥) وهو قوله: (... قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا ...) (يوسف،١٢ :٣٠)

وهذا الوصف ينطبق على الإنسان لأنه ينطبق على رسول الله ﷺ.

أي صار حبها يوسف على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطة، وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشق التفاف الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة. واللقب الرابع: الهوى وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلّق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولحصوله سبب، نظرة أو خبر أو إحسان، وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع، وهذا منزلته فينا مسمّى الهوى .... واختلف الناس في حدّه فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي بل لا يتصوّر ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بنتائجه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا: سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى إلاّ الستر فلا تحدّ. واعلم أن الأمور المعلومات على قسمين: منها ما يحد، ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها، المتكلمين فيها، من الأمور التي لا تحد، فَيَعرفِهُا من قامت به ومن كانت صفته ولا يَعرفُ ما هي ولا ينكر وجودها .... إن الحب تعلقّ خاص من تعلّقات الإرادة". (الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد٢، ص٣١٧-٣٢٢).

وقال **ابن قيم الجوزية** (توفي سنة ٧٥١هـ): "فصلٌ: لا تُحدُّ المحبة بحدٍ أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهر من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، ومُلكهِ للعبارة. وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء: أحدها: الصفاء والبياض .... الثاني: العلو والظهور .... الثالث: اللزوم والثبات .... الرابع: اللُّب .... وهو أصل الشيء ومادته وقوامه. الخامس: الحفظ والإمساك .... ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة". (ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، مجلد٣، ص١٠).

ولكن لا نعلم هل يجوز لفظ "الإعجاب" ولفظ "المَيل" على حب الله ﷻ. يقول الإمام الغزالي – كما ذكرنا بعضه في الحاشية السابقة – :

" والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم ، وهذا إنما يُتَصوَّر في نفس ناقصة فإنها تميل إلى ما لا يوافقها فتستفيد بنيله كمالاً فتلتذُّ بنيله، وهذا مُحال على الله تعالى .... فإذاً محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جَرَم يشتاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذُّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى"[١٥].

فالإمام الغزالي يصف محبة الله للعبد بأنها "تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه ....". والغزالي هنا يستعمل كلمة "المحبة"، وقد يكون هنالك فرق بين كلِمَتَي "المحبة" و"الحب" كما سنرى لاحقاً إن شاء الله. ولكن كيف نصل إلى فهم لحب الله ﷻ من القرآن الكريم؟

كما سنرى لاحقاً (في فصل "حب الله ﷻ للناس") فإن الله ﷻ يحب – وبالتالي يعطي – كل الناس بل كل الخَلْق أفضالاً لا حصر لها وذلك من رحمة الله وحبه. ولكن الله ﷻ يحدد ثمانية أو تسعة أصناف من الناس يحبهم بشكل خاص (منهم "الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين"، إلخ). والقاسم المشترك بين هؤلاء الناس هو الجمال الخلقي وحلية النفس. ولهذا يمكن القول أنه في حين أن الله ﷻ يحب كل شيء خلقه بشكل عام، إلا أنه يحب الجمال الخلقي وحلية النفس بشكل خاص. والله ﷻ وضع الجمال في كل ما خَلقه، يقول الله ﷻ:

---

١٥ الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد٤، ص٣٧٨-٤٥٤.

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة،٣٢ :٧)

إذاً، يمكن القول إن الله ﷻ يحب الجمال الخلقي وحلية النفس بشكل خاص ويحب الجمال العام بشكل عام. أي أن الله ﷻ يحب الجمال أو الجمال بحسب درجته.

ولكن بما أن الله ﷻ خلق كل شيء – بما في ذلك كل الجمال الذي في الوجود – فإن ذلك يعني أنه أعطى كل شيء خَلْقه كهدية منه ﷻ. وحين سأِل فرعونُ سيدنا موسى ﵇ عن الله ﷻ، حدث النقاش التالي:

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(طه،٢٠ : ٤٩–٥٠)

إذاً فالله ﷻ هو الذي يعطي كل شيء خَلْقه ثم يهدي كل شيء (وفي حالة الإنسان فهي هدية الجمال الخلقي وحلية النفس). إذاً فإن حب الله ﷻ بالنسبة للناس هو أولاً أنه أعطى الوجود لكل مخلوق وأفضال كثيرة أخرى (من بينها الجمال بأنواعه المختلفة)، وثانياً حب الجمال. ويمكن اختصار كل هذا في الحديث الشريف التالي:

«**إن الله جميل يحب الجمال**»[١٦].

إن الله **جميل** – أو بالأحرى: هو "الجميل" في حديث شريف آخر[١٧] –

---

١٦ رواه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، رقم ٩١.

١٧ عن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: "**إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاّ واحداً إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة، وهي: الله، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصور، الملك، الحق، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، العليم، العظيم، البار، المتعال، الجليل، الجميل، الحي، القيوم، القادر، القاهر، العلي، الحكيم، القريب، المجيب، الغني، الوهاب، الودود، الشكور، الماجد، الواجد، الوالي، الراشد، العفو، الغفور، الحليم، الكريم، التواب، الرب، المجيد، الولي، الشهيد، المبين، البرهان، الرؤوف، الرحيم، المبدئ، المعيد، الباعث، الوارث، القوي، الشديد، الضار، النافع، الباقي، الواقي، الخافض، الرافع،**

يعني أن الجمال كله هدية من عند الله ﷻ وبالتالي فإن الله ﷻ هو معطي[18] الوجود ومعطي أفضالاً لا تحصى لكل مخلوق. أن الله "**يحب الجمال**" يعني أن حب الله ﷻ هو حب الجمال (دون أن ننسى أن كل الجمال المخلوق من عنده ﷻ). وهذا يؤكد وصفنا السابق لحب الله ﷻ. ويمكن أن نستنتج تعريفاً مشابهاً لرحمة الله[19] ﷻ.

القابض، الباسط، المعز، المذل، المقسط، الرزاق، ذو القوة، المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الوكيل، الفاطر، السامع، المعطي، المحيي، المميت، المانع، الجامع، الهادي، الكافي، الأبد، العالم، الصادق، النور، المنير، التام، القديم، الوتر، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد". رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب اسماء الله عز وجل،رقم ٣٨٦١؛ وهناك حديث مشابه – ولعله معروف بشكل أوسع – يذكر فيه سيدنا محمد ﷺ مجموعة مختلفة قليلاً من أسماء الله الحسنى، رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب أسماء الله الحسنى، رقم ٣٥٠٧؛ ولكن هذه المجموعة لا تتضمن اسم "الجميل".

١٨ "المعطي" من أسماء الله الحسنى.

١٩ خلق الله ﷻ البشرية والكون من رحمته، فكما سنرى في تفصيل أكبر في فصل "الحب أصل الخلق" يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ (الرحمن،٥٥ :١-٤)، ويقول ﷻ:

وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ... (هود،١١ :١١٨-١١٩).

ولكن يجب الالتفات إلى أنه في حين أن رحمة الله ﷻ "وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ"، إلا أنها "مكتوبة" فقط "لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ":

وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٦ (الأعراف،٧ :١٥٦)

وهكذا فإن رحمة الله ﷻ تتجلى أولاً في خلق كل شيء وإعطاء كل شيء خَلقه (وأفضال أخرى لا تحصى)، وثانياً، نرى رحمة الله ﷻ تجاه الذين يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

تعريف الحب الإلهي على أنه: "أولاً، أنه أعطى الوجود وأفضال أخرى لا تحصى (من ضمنها الجمال بأنواعه المختلفة) إلى كل مخلوق، وثانياً، حب الجمال، وهو تعريف لا يتعارض في معناه مع تعريف الحب البشري على أنه "الميل إلى الحسن" أو الجمال، إلاّ أنه يجب ان نتذكر أن الله ﷻ خلق كل شيء وأن كل الجمال هو هدية من الله ﷻ ولا يمكن القول إن الله ﷻ "يميل" والله أعلم.

❋

ويؤكد وصفنا السابق للحب الأصلُ اللغوي للكلمة فالحُب من الحَب، والحَب هو الذي يقع في الأرض، ثم ينمو، ثم يأتي بنبتة جميلة جديدة. فقد أوضح الله ﷻ في كتابه الكريم هذا الأمر في قوله ﷻ:

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ (البقرة،٢ :٢٦١)

فالحُب مثل الحَب، يأتي بنبتة يضاعفها الله كيف يشاء، لمن يشاء. وقد أكد العلماء هذا الأصل اللغوي لكلمة "الحب"، وذكروا أصولاً أخرى

وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ. فيمكننا القول إن رحمة الله ﷻ هي أولاً أنه أعطى الوجود لكل شيء في الخَلْق ومن ثم رحمة الله ﷻ التي يكتبها للبشر الذين يقبلون رحمة الله ويهتدون اليه ﷻ.

وهكذا يمكن تعريف رحمة الله ﷻ – أو على الأقل معرفتها – بشكل مشابه لحب الله ﷻ (كما ناقشناه أعلاه). وبالطبع فإن هذا أمر متوقع لأن الحب الإلهي هو صفة إلهية لا يمكن فصلها عن الرحمة الإلهية، كما سنرى لاحقاً في فصل "الله ﷻ والحب". يقول الله ﷻ:

وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود،١١ :٩٠)

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ (البروج،٨٥ :١٤)

لكلمة الحب قد تكون مشتقة منها أيضاً[20].

سؤال: ما الفرق بين الحبّ والرحمة؟

كما سنرى لاحقاً، فإن الرحمة نوع من أنواع الحب (انظر: الباب الرابع، الفصل الأول: أنواع الحبّ) وأيضاً مرحلة من مراحل الحب بين البشر (انظر: الباب الرابع، الفصل الثاني: مراحل الحبّ). ولكن هناك عدد من اختلافات مهمة – أو لعلها فروقات – بين الحبّ والرحمة في القرآن الكريم.

أولاً، إن الرحمة تجاه ما هو مرتبط بالمحبوب من أجل المحبوب هي نتيجة حتمية للحب. ولكن الحب ليس نتيجة حتمية للرحمة، يقول الله ﷻ:

---

٢٠ قال القشيري: "وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وقد تكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان. وقيل الحُباب ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذه المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش، والاهتياج إلى لقاء المحبوب. وقيل: إنه مشتق من حَباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه، فسمي بذلك: لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المُهمات. وقيل: اشتقاقه من اللزوم والثبات، يقال: أحب البعير وهو أن يبرك فلا يقوم، فكأن المُحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه. وقيل: الحب مأخوذ من الحَب وهو القَرط، قال الشاعر:

تبيت الحية النضناض منه مكان الحَب يستمع السرارا

وسمي القَرط حَباً: إما للزومه للأذن أو لَقَلَقِه، وكلا المعنيين صحيح في الحُب. وقيل: هو مأخوذ من الحَب، والحَب جمع حَبَّة، وحَبة القلب ما به قوامه، فسمي الحُب حُباً باسم محله. وقيل: هو مأخوذ من الحِبَّة بكسر الحاء، وهي بزور الصحراء، فسمي الحُب حباً لأنه لباب الحياة، كما أن الحب لباب النبات. وقيل: الحب هي الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة، فسميت المحبة حباً لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذل. وقيل: هو من الحب الذي فيه الماء، لأنه يمسك ما فيه فلا يسع فيه غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه". (القشيري، الرسالة القشيرية، ص٣٢٠).

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... (الفتح، ٤٨: ٢٩). فـ "الذين مع" رسول الله ﷺ هم الذين يحبّون الله ﷻ بالدرجة الأولى. وحبّهم لله ﷻ مرتبط بالرحمة تجاه بعضهم بعضاً لأنهم يدركون أنّهم جميعاً يحبّون الله ﷻ وإن الله ﷻ يحبّهم. إذاً فالحبّ أكمل من الرحمة وهو يشملها.

ثانياً، يستطيع البشر أن يشعروا بالحبّ تجاه أشياء كثيرة (انظر: آل عمران، ٣: ١٤) وبالرحمة تجاه كل المخلوقات. فرحمة الله ﷻ "وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ..." (الأعراف، ٧: ١٥٦)، ويذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أنه يحبّ أصنافاً معينة من البشر بشكل خاص. ومع ذلك فإن "الودود" من أسماء الله الحسنى واستعمل في القرآن الكريم بالإشارة إلى كل الخَلْق (أي عرشه تحديداً): وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ (البروج، ٨٥: ١٤ - ١٥). إذاً فإن حبّ الله ﷻ ينطبق على الأمور الكليّة وليس على الجزئيات: فالإنسان هو كليّة (وكما سنناقش لاحقاً في الهامش رقم ٨١ في الباب الثالث: حب الإنسان، المطلب الرابع: حب ما يذكّر بالله ﷻ)، فإنّ الإنسان قد يحمل في مكنونه أن يكون انعكاساً للخَلْق كله – ومن الواضح أن "الخلق كله" - كليّة. وبالمقابل، فإن الحبّ البشري الموجه كلياً إلى غير الله ﷻ هو حبّ في غير محله. يقول الله ﷻ: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ... (البقرة، ٢: ١٦٥). فرحمة الله ﷻ، كما نرى في هذه الآية الكريمة، تنطبق على أمور معينة – وعلى كل الأمور المعينة – وحتى على أمور غير مكتملة. إذاً فالحبّ يتطلّب محبوباً "كلّياً"، أما الرحمة فلا تتطلّب ذلك.

ثالثاً، في حين أن الله ﷻ قد يحبّ ويرحم البشر في الوقت ذاته فإن البشر يمكنهم أن يحبّوا الله ﷻ – كما في قوله ﷻ: ... بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ... (المائدة، ٥: ٥٤). – ولكن لا يمكنهم أن يشعروا بالرحمة تجاهه ﷻ. وطبعاً فإن الله ﷻ لا يحتاج إلى رحمة البشر أو حبهم – بل على العكس، وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُۚ ... (محمد، ٤٧:

٣٨) – والسبب في هذا هو أنّ الحبّ الحقيقي نفسه يشمل كليّة المحبوب أو المُحِبّ، بينما لا تشمل الرحمة ذلك. فالله ﷻ يقول: مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ... (الأحزاب، ٣٣: ٤).

سبق وأن عرّفنا الحبّ البشري على أنه "ميل من بعد الإعجاب بالحُسن"، وعرّفنا حبّ الله ﷻ بأنّه: "أولاً، أنه أعطى الوجود لكل مخلوق وأفضال كثيرة أخرى (من بينها الجمال بأنواعه المختلفة)، وثانياً حب الجمال". وبما أننا قد رأينا أنّ: (١) الحبّ أكثر اكتمالاً من الرحمة ويشملها و(٢) الحبّ يتطلّب محبوباً "كليّاً"، في حين أنّ الرحمة لا تتطلّب ذلك و(٣) الحبّ يشمل كليّة المحبوب أو المحِب، أما الرحمة فلا تشمل ذلك، إذاً يمكننا الاستنتاج أنّ الاختلاف بين الحبّ والرحمة هي أن الحب يشمل هبة كليّة بينما تشمل الرحمة هبة جزئية. إذاً قد يمكننا القول بأنّ الحبّ يشمل هبة النفس، بينما تشمل الرحمة هبة شيء آخر. والله أعلم.

الباب الأول: الحب الإلهي

٤. الباب الأول؛ الفصل الأول:

الله ﷻ والحب

الحب كصفة إلهية

من الواضح أن الحب حقيقة، لأن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أنه يحب بعض الأنواع من الناس ومنهم المتوكلون: فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران،٣ :١٥٩)

ويؤكد أيضاً أن الحب من صفات الله ﷻ وليس فقط من أفعاله كثير من أسمائه الحسنى (مثل اسمه ﷻ: "اللطيف"، و"الرؤوف"، و"الكريم"، و"الحليم"، و"الوكيل"، و"الولي" و"البر"، و"الغفور"، و"الغفار"، و"التواب"، و"العفو") وبالذات اسمه "الودود" الذي جاء في القرآن الكريم مرتين:

وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود،١١ :٩٠)

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ (البروج،٨٥ :١٤)

فاسم الله ﷻ الودود يدل على علاقة الحب بالرحمة لأن معنى[٢١] اسم

---

٢١ قال الإمام **الغزالي** (توفي سنة ٥٠٥هـ) في اسم الله الودود: "الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم. وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطر. وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود". (الإمام الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص١٢٢).

"الودود" يحتوي على فكرتين: الحب والرحمة – كما نرى في اقتران اسم "الودود" باسم "الرحيم" واسم "الغفور" في الآيتين الكريمتين أعلاه – وبالتالي فإن الحب يأتي مع الرحمة، وإن الرحمة تأتي مع الحب.

وأيضاً يمكننا أن نقول إنّ أسماء الله الحسنى الأخرى التي تدل على "الإكرام" أو "الجمال" – مثل "الرؤوف" الذي أتى في القرآن الكريم عشر مرات[٢٢] وغيره من الأسماء – تشير إلى حب ورحمة الله ﷻ معاً. بل أكثر من ذلك فبالإمكان أن نقول: إن الرحمة تُولِّد الحب. فالرحمة من الرحم، ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي:

«أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»[٢٣].

وإذا تفكرنا في الرحم نستنتج أن الرحم تلد الحب كما يلد الطفل، لأن

وقال الإمام **الرازي** (توفي سنة ٦٠٦هـ) في اسم الله الودود: "قال تعالى (وهو الغفور الودود) والود هو الحب، وفيه وجهان. الأول أنه فعول بمعنى فاعل، بالودود بمعنى الواد، أي يحبهم كما قال "... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ..." (المائدة،٥ :٥٤) ومعنى قولنا: أنه تعالى يحب عبده أي يريد إيصال الخيرات إليه. واعلم أن الود بهذا التفسير قريب من الرحمة، لكن الفرق بينهما أن الرحمة تستدعي مرحوماً ضعيفاً، والود لا يستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود. الثاني: أن يكون معنى كونه ودوداً أن يوددهم إلى خلقه، كما قال: "... سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾" (مريم،١٩ :٩٦) الثالث: أن يكون فعول بمعنى المفعول، كما قيل: رجل هيوب بمعنى مهيب، وفرس ركوب، بمعنى مركوب، فالله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه، لكثرة وصول إحسانه إليهم". (الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٧٣-٢٧٤).

٢٢ البقرة ٢: ١٤٣، والبقرة ٢: ٢٠٧، وآل عمران ٣ :٣٠، والتوبة ٩ :١١٧، والنحل ١٦ :٧، والنحل ١٦ :٤٧، والمؤمنون ٢٣ :٦٥، والنور ٢٤ :٢٠، والحديد ٥٧ :٩، والحشر ٥٩ :١٠.

٢٣ رواه الترمذي، رقم ١٩٠٧، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم.

الطفل يولد من الرحم ومعه حُب أمه، وهذه قاعدة طبيعية: الرحمة تولد الحب ولكن للحب خصوصية على الرحمة.

ولا تقتصر العلاقة الطبيعية بين الحب والرحمة على صلة الرحم. فالله ﷻ وضح علاقة المودة – التي هي نوع من أنواع الحب كما سنرى لاحقاً إن شاء الله – بالرحمة في الآية التالية:

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم،٣٠ :٢١)

❋

الحب والرحمة باعتبارهما من الذات الإلهية

قد اقترن اسمه ﷻ "ٱلرَّحْمَـٰنَ" باسم الجلالة "ٱللَّهَ" في قوله سبحانه:

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ... (الإسراء،١٧ :١١٠)

فهذا يعني أن الرحمة من الذات الإلهية من غير تشبيه[٢٤]. ويؤكد هذا

---

[٢٤] من المهم التفكير بعناية بمعنى ما يشير إليه لفظ "نفس الله ﷻ" ولفظ "وجه الله ﷻ" المذكوران بدقة بالغة في القرآن الكريم ("نفس" – كما سنناقش في الباب الثالث؛ الفصل السابع إن شاء الله – تعني [في السياق البشري] "الروح" بالإضافة إلى "النفس". عند الإنسان، الروح هو الإنسان نفسه ولا يمكن رؤيتها بالعين ولكن صفاتها تتضح على وجه الإنسان (ويمكن لوجه الإنسان أن يستر هذه الصفات). وفي القرآن الكريم فإن نفس الله ﷻ لا يمكن علمها، حتى علم المسيح ؑ الذي يقول في القرآن الكريم:

... تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ (المائدة،٥: ١١٦)

ويقول الله ﷻ في القرآن الكريم:

... وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ ... (آل عمران،٣ :٢٨؛ انظر أيضاً ٣: ٣٠)

ومن جهة أخرى، بالنسبة للفظ "وجه الله ﷻ"، يقول الله ﷻ في القرآن الكريم:

الطرح قول الله ﷻ:

... كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... (الأنعام،٦ :١٢)

وقوله ﷻ:

... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... (الأنعام،٦ :٥٤)

وهذا يعني أيضاً أن الله ﷻ أَلزم نفسه الرحمة؛ أي أن الرحمة الإلهية هي من الذات الإلهية وبالتالي إنها تَسَع كل شيء. ويؤكد ذلك قوله ﷻ:

... وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ... (الأعراف،٧ :١٥٦)

وهذا ما أكدته الملائكة وهم يستغفرون للذين آمنوا:

... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ... (غافر،٤٠ :٧)

ولا يفوتنا أيضاً أن نذكر أن جميع سور القرآن الكريم تبدأ بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، باستثناء سورة التوبة وأن العلماء قالوا بأن "البسملة" التي لم تذكر في أولها موجودة في سورة النمل في قوله ﷻ:

... وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ (النمل،٢٧ :٣٠)

فبما أن كل شيء في القرآن يبدأ بـ "بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ" فهذا

... فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ... (البقرة،٢ :١١٥)

و:

۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٧٢).

إذاً فإن هذه الآيات ترينا بوضوح الفروق المحددة الموحاة من الإشارات في القرآن الكريم لنفس ووجه الله ﷻ.

يدل أيضاً على الاقتران بين اسم "الله" والرحمة[25].

فكل ذلك لنقول إن الرحمة ومعها الحب من صفات الله ﷻ ومن أسماء الذات الإلهية. ونرى هذا في آية الكرسي التي تتحدث عن الذات الإلهية وصفات الله ﷻ[26]. وقال سيدنا محمد ﷺ عن آية الكرسي إنها أعظم آية في القرآن الكريم[27]. يقول الله ﷻ:

ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا

---

٢٥ يشير العالم **عبد الكريم الجيلي** (توفي سنة ٨٠٥هـ) إلى أن الرحمة أصل أسماء وصفات الله ﷻ وأن أسماء الله تنبثق من صفة الرحمانية، وهذا نصه من كتابه الإنسان الكامل: "الرحمانية: هي الظهور بحقائق الأسماء والصفات، وهي بين ما يختصُّ به في ذاته كالأسماء الذاتية، وبين ما لها وجه إلى المخلوقات كالعالم والقادر والسميع وما أشبه ذلك مما له تعلق بالحقائق الوجودية .... والاسم الظاهر في المرتبة الرحمانية هو الرحمن، وهو اسم يرجع إلى أسمائه الذاتية وأوصافه النفسية، وهي سبعة: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر .... واختصاص هذه المرتبة بهذا الاسم للرحمة الشاملة لكل المراتب الحقية والخلقية، فإن بظهوره في المراتب الحقية ظهرت المراتب الخلقية، فصارت الرحمة عامة في جميع الموجودات من الحضرة الرحمانية". (الشيخ الجيلي، الإنسان الكامل، ص٧٣).

٢٦ لقد حرصنا كل الحرص على استعمال لغة القرآن الكريم ولغة الحديث هنا (التفويض): فقلنا إن الرحمة ومعها الحب **من** صفات الله ومن أسماء الذات الإلهية ولم نقل إن الذات الإلهية "**هي**" الرحمة (أو الحب). ومن دون الخوض في جدل ديني سنقول إن الحاشيتين السابقتين تكفي لشرح الأسباب لهذا.

٢٧ عن أبي بن كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: «**والله لِيَهْنِكَ العِلم أبا المنذر**». رواه مسلم في صحيحه، ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم ٨١٠.

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ (البقرة،٢ :٢٥٥)

بعد ذكر اسمين من أسماء الله الحسنى ("الحيّ" و"القيوم") وبعض الصفات الإلهية، يقول الله ﷻ: مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ. الشفاعة وظيفة من وظائف الرحمة وانعكاساً لها، فنفهم من هذه الآية الكريمة أن الرحمة الإلهية هي من الذات الإلهية وأن الرحمة كلها – حتى رحمة مخلوقات الله ﷻ تجاه بعضها بعضاً – هي من عند الله ﷻ بكونها "بِإِذْنِهِۦ". يقول الله ﷻ:

۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ (النجم،٥٣: ٢٦)

وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ (الأنعام،٦: ٥١)

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ (السجدة،٣٢: ٤)

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ (الزمر،٣٩: ٤٣- ٤٤)

✵

واختلف العلماء والمفسرون في الفرق بين "الرحمن" و"الرحيم" لكنهم أكدوا جميعاً أن اسم "الرحمن" لا يحتاج مفعولاً به، بينما اسم

"الرحيم" يحتاج إلى مفعول به لكي يرحمهم. فهذا يعني أن الرحمن رحمن بذاته، وأن الرحيم رحيم بفعله. بما أن الحب يأتي مع الرحمة، وبما أن الرحمة تأتي في كلٍ من الاسمين الكريمين: "الرحمن" و" الرحيم"[٢٨] فالحب إذاً

---

٢٨ **اسْمَا الله** "ٱلرَّحْمَـٰن" و"ٱلرَّحِيم"

إن أقوال العلماء في بيان معنى اسمي الله تعالى "ٱلرَّحْمَـٰن" و"ٱلرَّحِيم" كثيرة، اخترنا منها ما يلي:

قال **ابن كثير**: "﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم ... عن عيسى عليه السلام أنه قال: والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة ... قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ... وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤٣)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما هما اسمان رقيقان احدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة ... وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب، وهذا كما جاء في الحديث ... قال رسول الله ﷺ ((**من لم يسأل الله يغضب عليه**))، ... سمعت العَرْزمي يقول: الرحمن الرحيم، قال: الرحمن لجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين، قالوا: ولهذا قال: ... ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ ... (الفرقان،٢٥ :٥٩) وقال: ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ (طه،٢٠ :٥) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ... وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤٣) فخصَّهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين ... واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يُسمَّ به غيره ... وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره، حيث قال: لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة،٩ :١٢٨)". (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص٦٥-٦٦).

وقال **الغزالي**: "الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية بالمحتاج لا يسمى رحيماً، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كان قادراً على قضائها لم يسمَّ رحيماً، إذ لو تمت الإرادة لوفَّى بها، وإن كان عاجزاً فقد يسمى رحيماً باعتبار ما اعتوره من الرقة، ولكنه ناقص، وإنما الرحمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين

مفهوم ضمناً في الاسمين الكريمين بالإضافة إلى ذِكر الرحمة الإلهية مرتين في بداية كل سورة من سور القرآن باستثناء سورة التوبة (والتي عُوِّضَت في سورة النمل. في قوله ﷻ: إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾
(النمل،٢٧ :٣٠)

وإرادته لهم عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله عزّ وجلّ تامة وعامة. أما تمامها، فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها. وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعمّ الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما. فهو الرحيم المطلق حقاً". (الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص٦٢).

وقال **الرازي**: "أيهما أكثر مبالغة: الرحمن أم الرحيم: روى أبو صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: الرحمن الرحيم اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر؛ ولم يبين أيهما أرق. وقال الحسين بن الفضل البلخي: هذا وهم من الراوي، لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى، قال النبي ﷺ «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف**»، واعلم: أنه لا شك أن الرحمن الرحيم كل واحد منهما مشتق من الرحمة وإن لم يكن أحدهما أشد مبالغة من الآخر، كانا لفظين مترادفين من جميع الوجوه من غير تفاوت في المعنى، وذلك بعيد، فوجب القطع بكون أحدهما أكثر مبالغة من الآخر، ثم اختلفوا فقال الأكثرون: الرحمن أكثر مبالغة من الرحيم، واحتجوا عليه بوجوه". (الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص١٦٢).

والقاسم المشترك لكل هذه التعريفات هو: أولاً: أن الرحمن يطلق على الله ﷻ فقط بينما الرحيم يطلق على الله وعلى البشر؛ ثانياً: أن اسم الرحمن لغوياً يدل على زيادة المعنى؛ وثالثاً: أن الرحيم يحتاج إلى مرحوم بينما الرحمن لا يحتاج إلى مرحوم؛ ورابعاً: أن الرحمن يأتي قبل الرحيم كما هو الحال في كل ما ذكر في الاسمين؛ وسادساً: أن الرحمن شبه مرادف لاسم الله ﷻ: "قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۚ" (الإسراء،١٧ :١١٠)؛ وسابعاً وأخيراً: بما أنه ...كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ... (الأنعام،٦ :١٢)، وبما أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولا يحتاج لمرحوم، فالرحمن اسم من أسماء ذات الله، بينما الرحيم من أسماء صفاته، والله أعلم.

❋

مسألة: إذا كانت رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء ("وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ")، وإذا كان الله ﷻ "كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ"، وإن كانت رحمة الله ﷻ سبقت غضبه (كما جاء في الحديث الشريف "إن رحمتي سبقت غضبي")، فكيف يعذب الله ﷻ المذنبين بذنوبهم عذاباً أليماً وغليظاً؟ يقول الله ﷻ:

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ (المائدة٥، :١٨)

وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾ (النساء٤، :٩٣)

قال الفخر الرازي عن هذه الآية:

"وقوله ("وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ") فيه أقوال كثيرة. قيل المراد من قوله ("وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ") هو أن رحمته في الدنيا عمّت الكل وأما في الآخرة فهي مختصّة بالمؤمنين وإليه الإشارة بقوله: ("فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ")[٢٩].

وكذلك قال القرطبي في تفسيره عن هذه الآية:

"قوله ("وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ") عمومٌ، أي لا نهاية لها، أي من دخل فيها لم تعجز عنه، وقيل: وسعت كل شيء من الخلق، حتى أن البهيمة لها

---

٢٩ الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، المجلد٥، ص٣٧٩.

رحمة وعطف على ولدها، قال بعض المفسرين: طمع في هذه الآية كل شيء حتى إبليس وقال: أنا شيء، فقال الله تعالى: ("فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ")"[30].

وعلى أية حال، فإن الله ﷻ قال: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"، ولم يقل "ولطفي وسع كل شيء"، بل قال: "ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾" (الشورى،٤٢ :١٩). فيلطف الله ﷻ بعباده بشكل عام، و"يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ" وليس الكل، فهذا لا يعني أن لطفه وسع كل شيء. وهنالك فرق شاسع بين الرحمة واللطف: فيمكن لنا أن نرحم شيئاً بفعل قاسٍ نحوه لكي نجنبه شيئاً آخر أشق (على سبيل المثال، الطبيب أو البيطري الذي يؤدي عملية جراحية) ولكن ربما لا تكون هذه الرحمة (وبالتالي هذه العملية) لطيفة أو فيها لطف من جميع النواحي. فرحمة الله ﷻ التي "وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" لا تعني أن الخلق أو بعضهم لن يعانوا شيئاً من الألم أو العذاب أبداً وإنما الله ﷻ يهدي كل شيء في الوجود إلى الطريق الذي سيقوده إلى أقل مقدار من المعاناة، والله أعلم.



٣٠ القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد٧، ص٢٦١.

٥. الباب الأول؛ الفصل الثاني:

الحب أصل الخلق

خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته، فالله ﷻ يقول:

ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ (الرحمن،٥٥ :١-٤)

ويقول الله ﷻ:

وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ... (هود،١١ :١١٨-١١٩)

يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير قوله ﷻ "وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ":

"وفيه ثلاثة أقوال: القول الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: وللرحمة خلقهم، وهذا اختيار جمهور المعتزلة. قالوا: ولا يجوز أن يقال: وللاختلاف خلقهم ويدل عليه وجوه: الأول: أن عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى من عوده إلى أبعدهما، وأقرب المذكورَيْن ههنا هو الرحمة، والاختلاف أبعدهما. والثاني: أنه تعالى لو خلقهم للاختلاف وأراد منهم ذلك الإيمان لكان لا يجوز أن يعذبهم عليه، إذ كانوا مطيعين له بذلك الاختلاف. الثالث: إذا فسرنا الآية بهذا المعنى، كان مطابقاً لقوله ﷻ: وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ (الذاريات،٥١ :٥٦). فإن قيل: لو كان المراد وللرحمة خلقهم لقال: ولتلك خلقهم ولم يقل: ولذلك خلقهم. قلنا إن تأنيث الرحمة ليس تأنيثاً حقيقياً فكان محمولاً على الفضل والغفران كقوله: قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ ... (الكهف،١٨ :٩٨) وقوله: ... إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦ (الأعراف،٧ :٥٦). والقول الثاني: إن المراد وللاختلاف خلقهم. والقول الثالث: وهو المختار أنه خلق أهل

الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف "[31].

ونحن نقول إنَّ قول ابن عباس رضي الله عنهما هنا هو الموافق لظاهر الآية، لأنه لا يمكن لنا أن نتجاهل رأي ابن عباس رضي الله عنهما – الذي تعلّم القرآن الكريم من ابن عمه سيدنا محمد ﷺ – ولو اختار الرازي خلافه، ولأن القول الثالث الذي ذكره الرازي صحيح من ناحية اللغة، لأنه يصح تأنيث وتذكير الرحمة. يمكن القول – لاستيعاب رأي الفخر الرازي – إن الله ﷻ خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف – أي أن الله ﷻ يريد الرحمة للجميع ولكنه خلق الجميع أحراراً وبالتالي سمح لهم أن يختاروا رحمته ﷻ أو لا. ولكن يبدو أن هذا جدال معقد مع تفسير ابن عباس ولا داعي له. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ كتب على نفسه الرحمة:

... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... (الأنعام،٦ :٥٤)

وهذه الرحمة مرتبطة أصلاً بخلق السموات والأرض ومن فيهن:

قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ (الأنعام،٦ :١٢)

وقال رسول الله ﷺ:

«**لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه "إن رحمتي سبقت غضبي"**»[32].

فكيف يُقال إن الله خلق "أهل الاختلاف للاختلاف"، أي للبعد عن الرحمة؟ فالله ﷻ خلق الناس للرحمة حسب ما كتبه على نفسه، ولكن بعضهم اختلفوا وبسبب اختلافهم أغلقوا باب الرحمة عن أنفسهم، وهذا بالرغم من

---

٣١ الرازي، التفسير الكبير، مجلد ٦، ص ٤١٢.

٣٢ رواه البخاري، رقم ٧٤٥٣، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين".

أن رحمته واسعة ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ (الأعراف،٧ :١٥٦)[٣٣]

وإضافة إلى ذلك، كيف نقول إن الله ﷻ خلق أهل الاختلاف للاختلاف وقد ذكر الله ﷻ لنا سبب الخلق بقوله:

"وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦" (الذاريات،٥١ :٥٦)

فعبادة الله ﷻ رحمة تؤدي إلى الرحمة، ولم يذكر الله ﷻ أنه خلق بعض الإنس والجن للعبادة وبعضهم الآخر لغير ذلك (أي للاختلاف). وفي القرآن الكريم أكثر من خمسٍ وعشرين آية تدل على أن الله ﷻ خلقنا للرحمة ولما

---

٣٣ ولا يفوتنا هنا أيضاً أن نذكر حديث:

«كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق وتعرَّفت إليهم فعرفوني».

قال العلامة المحدث العجلوني:

"قال ابن تيمية ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم، وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} أي: ليعرفوني، كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما، والمشهور على الألسنة: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً في عرفوني) وهو واقع كثيراً من كلام الصوفية واعتمدوه وبنوا عليه أصولاً لهم". (العلامة المحدث العجلوني، كشف الخفاء، المجلد:١، ص١٣٢).

لكن قال الشيخ ابن عربي إن الحديث "صحيح كشفاً"، وهذا نصه من كتاب الفتوحات المكية:

"ورد في الحديث الصحيح كشفاً الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ أنه قال ما هذا معناه:

«كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق وتعرَّفت إليهم فعرفوني»".

(الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، المجلد:٢، ص٣٩٣).

ونحن هنا لا نود الخوض في صحة الحديث أو ضعفه، وإنما نقول بأن الحديث صحيح المعنى كما قال المحدث علي القاري. فهذا يعني أن الله خلق الإنسان أولاً من حبه ("فأحببت أن أعرف") وثانياً من رحمته كما ذكرنا أعلاه، ولا تناقض هنا بين حبه ورحمته لأن الحب يقتضي الرحمة كما سنرى لاحقاً إن شاء الله، والله أعلم.

يؤدي إلى الرحمة.

فالله ﷻ: " خلقنا لنتقيه "، قال الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ (البقرة،٢ :٢١)

والله ﷻ: " خلقنا لأنه يمكن لنا أن نعلم الأسماء كلها "، قال الله ﷻ:

وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ (البقرة،٢ :٣٠-٣١)

ولكي " يجزينا بالحسنى "؛ قال الله ﷻ:

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ (النجم،٥٣ :٣١)

ولكي " يبلونا أينا أحسن عملاً "؛ قال الله ﷻ:

ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ (الملك،٦٧ :٢)

ولكي " يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط "؛ قال الله ﷻ:

إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ (يونس،١٠ :٤)

وكذلك " لعلّنا نوقن بلقاء الله ﷻ "؛ قال الله ﷻ:

ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ (الرعد،١٣ :٢)

وكذلك "لنبتغي من فضله ونشكره ونتفكر بآياته ونعقلها ونهتدي"؛ قال الله ﷻ:

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ (النحل،١٦ :٣-١٦)

وكذلك "لنذَّكَّر ونشكر"؛ قال الله ﷻ:

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ (الفرقان، ٢٥ :٦٢)

وكذلك "لندعوه"؛ قال الله ﷻ:

قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ (الفرقان،٢٥ :٧٧)

وكذلك "ليتوب على المؤمنين والمؤمنات"؛ قال الله ﷻ:

لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ (الأحزاب،٣٣ :٧٣)

وكذلك "لنبلغ أجلاً مسمّى ولنعقل"؛ قال الله ﷻ:

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ (غافر،٤٠ :٦٧)

وكذلك "لنبتغي من فضل الله ﷻ ونشكره ونتفكّر في آياته ونكون ممن يتفكّرون"؛ قال الله ﷻ:

ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ (الجاثية،٤٥ :١٢-١٣)

و"لتُجزى كل نفس بما كسبت"، قال الله ﷻ:

وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ (الجاثية،٤٥ :٢٢)

وكذلك "لنتعارف"؛ قال الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات،٤٩ :١٣)

وكذلك "لنتبصَّر ونكون من أصحاب الذكرى والإنابة"؛ قال الله ﷻ:

تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ (ق،٥٠ :٨)

وكذلك "لنقيم الوزن بالقسط ولا نطغى أو نخسر في الميزان"؛ قال الله ﷻ:

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ (الرحمن،٥٥ :١-٩)

وكذلك "لنهتدي للسبيل ونكون شاكرين لله ﷻ"؛ قال الله ﷻ:

إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ (الإنسان،٧٦ :٢-٣)

وكذلك "خلق الأرض وجعلها لنا متاعاً"؛ قال الله ﷻ:

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ (النازعات،٧٩ :٢٧-٣٣)

والقاسم المشترك بين هذه الآيات كلها هو أن الله ﷻ خلقنا وأعطانا الحرية وابتلانا في هذه الحياة لكي ننال رحمته، ولو أنه سيعذب بعضنا على عدم الوفاء في سبب خلقه.

وإضافة إلى ذلك كله فإنه يوجد في القرآن الكريم خمس وعشرون آية أخرى يصف الله ﷻ فيها تفصيل حكمته في خلق أجزاء من الخلق (وليس الخلق كله) لخدمة الإنسان في الغاية من حياته وهي نيل رحمة الله ﷻ من خلال عبادته، وعلى سبيل المثال قوله ﷻ:

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ (الملك،٦٧ :١٥)[٣٤].

---

٣٤ وانظر أيضاً إلى: (البقرة،٢ :١٨٥-١٨٧؛ والأنعام،٦ :١٦٥؛ والأعراف،٧ :١٥٦؛ ويونس،١٠ :٥ و ١٤ و ٦٧؛ وإبراهيم،١٤ :٣٢-٣٤؛ والحجر،١٥ :١٦-٥٠؛ والنحل،١٦ :٧٨-٨١؛ وطه،٢٠ :١٥ و ٥٣-٥٤؛ والحج،٢٢ :٦٥؛ والمؤمنون،٢٣ :٧٨-٨٠؛ والفرقان،٢٥ :١٠؛ والنمل،٢٧ :٦٠-٦٤ و ٨٦؛ والقصص،٢٨ :٧٠-٧٣؛ والروم،٣٠

فهذا كله دليل على أن خلق العالم والإنسان من أجل الرحمة، وبما أن الحب من الرحمة (كما رأينا سابقاً في فصل "الله ﷻ والحب") فخلق العالم والإنسان من الحب أيضاً.

❋

مسألة: إذا كان الخَلق من الرحمة وبالتالي من الحب، فما حال الخَلق الذين لا يحبهم الله ﷻ؟

سنرى لاحقاً إن شاء الله، أن الله ﷻ لم يذكر في القرآن الكريم أنه لا يحب شيئاً من خلقه إلا بعض الفئات كالظالمين والكافرين وبعض الأعمال السيئة، فجواب هذا السؤال يقتصر على ما هو حال هذه الفئات كالظالمين والكافرين وبعض الأعمال السيئة بالنسبة لحب الله ﷻ ورحمته.

أما بالنسبة لبعض الفئات كالظالمين والكافرين فنقول إن الله ﷻ خلقهم من رحمته على الفطرة، وفي أحسن تقويم وفي أحسن صورة[35]. يقول الله ﷻ:

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨﴾

(التين،٩٥ :١-٨)

:٤٦؛ ولقمان،٣١ :١٠-١١ و ٣١-٣٢؛ والسجدة،٣٢ :٧-٩؛ وفاطر،٥٣ :١٢-١٣؛ ويس،٣٦ :٨٠؛ وغافر،٤٠ :٦٤ و ٧٩-٨٠؛ والفتح،٤٨ :٤-٩؛ والطلاق، ٦٥: ١٢و ٢٣-٢٤؛ ونوح،٧١ :١٤-٢٠).

٣٥ وسنشرح لاحقاً ما أنعم الله به على الإنسان في فصل "حب الله ﷻ للناس" وفي فصل "ما هو الوقوع في الحب؟" بزيادة من التوسع والتفصيل.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ (غافر،٤٠ :٦٤)

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ (التغابن،٦٤ :٣)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ (الانفطار،٨٢ :٦-٨)

ولكن هذا لا يعني أن الله ﷻ الذي خلق الإنسان "فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" يُحبه بعدما يصبح "أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ"، عن أبي هريرة ﵁ قال رسول الله ﷺ:

«**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه ...**»[36].

وعن عياض المجاشعي قال رسول الله ﷺ:

«**يقول الله تعالى: "... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ..."**»[37].

فهذا يعني أن الله ﷻ خلق الإنسان من الرحمة ولكن جعله حراً، يختار ما يشاء من الخير أو من الشر. يقول الله ﷻ:

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ (الإنسان،٧٦ :٣)

وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ (البلد،٩٠ :١٠)

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ (فصلت،٤١ ،١٧)

---

٣٦ رواه البخاري، رقم١٣٨٥، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ورواه مسلم، رقم٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

٣٧ رواه مسلم، رقم٢٨٦٥، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

فإذا اختار الإنسان طريق الخير وكان من المحسنين أو ما شابه ذلك، فإن الله ﷻ سيحبه. وإذا اختار الإنسان طريق الشر والسوء وأغلق نفسه عن باب هداية الله، فإنه لا ينال رحمة ورضا الله ﷻ. فالله ﷻ خلق الإنسان حرّاً وذلك من حبّ الله ورحمته ﷻ ولكن بعض الناس يستعملون هذه الحرية ليختاروا عدم قبول رحمة الله ﷻ وحبّه. لكي يكون الإنسان حرّاً يجب أن يكون حرّاً لاختياره للشر الذي سيؤدي إلى رفض رحمة الله ﷻ. يقول الله ﷻ عن سيدنا نوح عليه السلام:

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ (هود،١١ :٢٨)

فالمسألة ليست أن الله ﷻ لا يحب الظالمين والكافرين والأفعال الشريرة، بل هي أنّ الظالمين والكافرين استعملوا حريتهم ليرفضوا حب الله ﷻ، والله أعلم.

✵

٦. الباب الأول؛ الفصل الثالث:
الكون والحب

ما الفرق بين التسبيح والحمد؟ التسبيح يدرك الإنسان فيه عظمة الله ﷻ وصفاته الجلالية لأن التسبيح هو تنزيه الله ﷻ، والحمد – وهو الشكر العام[٣٨] – يدرك فيه صفاته الجمالية، أو "الإكرامية"، ويحمده عليها. وكل ما في السماوات وما في الأرض يسبّح بحمد الله تسبيحاً وحمداً فطرياً:

تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ (الإسراء،١٧ :٤٤)[٣٩]

فهذا الحمد يضم حب المخلوقات الفطري الطبيعي لله ﷻ. فالكون كله يحب الله ﷻ. نحن لا نرى أثر هذا الحب ولا نفقه تسبيح الكون لله ﷻ؛ كما قال الله ﷻ: "وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ". لكن رسول الله ﷺ كان يفقه ويسمع حب الجماد – الذي ليس له قلب – لله ﷻ وحبه أيضاً له ﷺ. وهذا واضح في أحاديث "حنين الجذع" التي جاءت في صحيح البخاري:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ – أَوْ رَجُلٌ – يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا قَالَ: «**إِنْ شِئْتُمْ**» فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ

---

٣٨ قال ابن كثير في تفسيره، ص٦٧: "وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (الحمد لله) كلمة كل شاكر وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل: (الحمد لله) شكراً ... فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه".

٣٩ وهذا ما يُسمّى بـ"التسبيح بالحال"، أمّا تسبيح العبد لله ﷻ بشكل واعٍ ومتعمّد، فيُسمّى "التسبيح بالقول".

فَضَمَّهُ إِلَيْهِ؛ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ قَالَ: «**كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا**»[40].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما:

«**كان النبي ﷺ يخطب إلى جِذع فأتاه فمسح يده عليه**»[41].

ويؤكد هذه الحقيقة ملكية الخالق ﷻ للخَلق، فهو الملك والمالك:

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ (يونس،١٠ :٥٥)

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ... (يونس،١٠ :٦٦)

ويؤكد هذه الحقيقة أيضاً قنوت الخَلق لله:

... وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ (الروم،٣٠ :٢٦)

كما يؤكد هذه الحقيقة تسليم الخَلق لله:

أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ (آل عمران،٣ :٨٣)

وكذلك يؤكد هذه الحقيقة سجود الخلق – باستثناء الإنسان العاصي– لله ﷻ:

قال الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ (الحج،٢٢ :١٨)

وقال الله ﷻ:

---

٤٠ رواه البخاري رقم ٣٥٨٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

٤١ رواه البخاري رقم ٣٥٨٣، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾

(الرعد،١٣ :١٥)

وأخيراً، نرى تأكيد هذه الحقيقة في أن كل شيء في الوجود يسأل ويرجو الله ﷻ بطريقته. وهذا معنى اسمه ﷻ: "الصمد".

قال الله ﷻ:

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ (الإخلاص،١١٢: ١-٢)

ويؤكد هذا ما جاء في تفسير الجلالين أن معنى هاتين الآيتين هو أن الله ﷻ "هو المقصود في الحوائج على الدوام".

وقال ﷻ:

يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ (الرحمن،٥٥ :٢٩).

في كل الخلق، وبين جميع المخلوقات، فقط الإنسان العاصي لا يحب الله ﷻ في نفسه العاصية لكن كل أجزائه المُسَبِّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه، أي أن عدم حبه لله ليس بكيانه– لأن كيانه يحب الله ﷻ – وهذا معنى من معاني قول الله ﷻ:

... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ... (الإسراء،١٧ :٤٤)

ودليلنا على أن الإنسان يحب الله سبحانه بكيانه حتى لو كانت نفسه عاصية هو أن جلود البشر وحواسهم تشهد عليهم.

قال الله ﷻ:

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ (النور،٢٤ :٢٤)

وقال الله ﷻ:

ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

(يس،٣٦ :٦٥)

وقال الله ﷻ:

حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ (فصلت،٤١ :٢٠-٢١)

فالكون كله يحب الله ﷻ، وكيف لا؟ وهو خالقه، وبارؤه ومصوره.

قال الله ﷻ:

هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (الحشر،٥٩ :٢٤).

أما بالنسبة لحب الله لخلقهِ فقد ذكرنا سابقاً أن الله ﷻ قال:

... وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ... (الأعراف،٧ :١٥٦).

ومع أن الله سبحانه لا يحب فئات الظالمين والكافرين والمشركين والمنافقين – كما سنرى إن شاء الله – وباستثناء هذه الفئات فالله ﷻ يحب كل شيء وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنه سيلطُف بكل شيء دوماً، فقال: " وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ " ولم يقُل ولطفي وسع كل شيء، ولكن قال:

ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ (الشورى،٤٢ :١٩) .

فالله يرزق اللُّطف لمن يشاء، ولكن رحمته أوسع. والدليل على أن الله يحب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين) هو أن الجمال موجود في كل شيء خلقه، قال ﷻ:

ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ... (السجدة،٣٢ :٧)

فالله ﷻ يحب الجمال الموجود في الخلق الذي أحسنه والذي هو من جماله، لأنه ((**يحب الجمال**)).

ولا يعني هذا أن حب الله مثل الحب الإنساني لأنه قال:

... لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ (الشورى،٢ :١١)

فالخلاصة هي أنّ الله ﷻ يحب الكون والإنسان لِما وضعه فيهما من

جمال. إذاً فالله يحب جماله ﷻ في الكون، وبالتالي يحب الكون لما وضعه هو فيه من جمال. ولكن البشر يحبون الله (أو يجب أن يحبوا الله ﷻ) ليس لذاتهم وإنما لذات الله ﷻ وحده، فالله ﷻ يقول:

... وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ... (محمد،٤٧ :٣٨)

ويقول الله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ (فاطر،٣٥ :١٥)

فالخَلْق يحبون الله ﷻ لذاته ولجماله، ولجمال الكون والإنسان – وهذا الجمال لا يعود لهم إنما هو من الله ﷻ – والله أعلم.

٧. الباب الأول؛ الفصل الرابع:

حب الله ﷻ للناس

المطلب الأول: فضل الله ﷻ وحبه للناس عامة

فضل الله شيء من رحمته، والرحمة – كما رأينا سابقاً – تأتي مع الحب، فينبغي لنا هنا أن نذكر أنّ فضل الله ﷻ الذي يعطيه للإنسان من غير شروط هو شيء من عموم حبه.

فبعد أن خلق الله ﷻ الإنسان من تراب، نفخ فيه من روحه:

فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ (ص،٣٨ :٧٢)

ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ (السجدة،٣٢ :٧ -٩)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ (الحجر،١٥ :٢٨-٣٤)

وخلق الله ﷻ الإنسان في أحسن صورة:

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ (غافر،٤٠ :٦٤)

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ (التغابن،٦٤ :٣)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ (الانفطار، ٨٢ :٦-٨)

وخلق الله ﷻ الإنسان أيضاً في أحسن تقويم:

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

(التين، ٩٥ :١-٨)

وخلق الإنسان على فطرة حنيفة:

بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠ :٢٩-٣٠)

فبروح الله، وبأحسن صورة، وبأحسن تقويم، وبالفطرة الحنيفة، فضّل الله ﷻ الإنسان تفضيلاً على كثير من الخلق:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ (الإسراء، ١٧ :٧٠)

فبهذا الفضل، كرّم الله ﷻ الإنسان حتى على الملائكة وجعله خليفته في الأرض:

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ (الأعراف،٧ :١١)

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ (البقرة،٢ :٢٩-٣٤)[٤٢]

فبهذا كله تسلّم الإنسان أمانة أكبر من أن تحملها السماوات والأرض والجبال:

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ (الأحزاب،٣٣ :٧٢)

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر أنه بالإضافة إلى الفضل غير المشروط الذي كرَّم الله ﷻ به كل إنسان بشكل عام، فإنه أيضاً كرَّم كل إنسان كَفَرْدٍ. يقول الله ﷻ:

٤٢ انظر أيضاً إلى: الأعراف،٧ :١٢-٢٧؛ الإسراء،١٧ :٦١-٦٥؛ الكهف،١٨ :٥٠؛ طه،٢٠ :١١٥-١١٦؛ ص،٣٨ :٧١-٨٥؛ يونس،١٠ :١٤؛ الأنعام،٦ :١٦٥؛ فاطر،٣٥ :٣٩؛ الأحزاب،٣٣ :٧٣.

وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ (النحل،١٦ :١٨)

وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ (النحل،١٦ :٥٣)

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ (إبراهيم،١٤ :٣٤)

أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ (لقمان،٣١ :٢٠)

كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ (الإسراء،١٧ :٢٠)

❋

المطلب الثاني: حب الله ﷻ الخاص للفاضلين

كما رأينا، فضّل الله ﷻ الإنسان بشكل عام وبشكل فردي تفضيلاً عظيماً على باقي المخلوقات. والفَضلُ من الرحمة، ولا يمكن فصل الرحمةُ عن الحب. ففضل الله الكبير ﷻ على الإنسان هو نتيجة حب الله للإنسان بشكل عام.

إضافة إلى ذلك، أشار الله ﷻ إلى محبته للناس في حالة اتّباعهم للرسول ﷺ:

قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ (آل عمران،٣ :٣١)

وذكر الله ﷻ قوماً قد يأتون في المستقبل، ويتحلون بصفات معينة:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة،٥ :٥٤)

لكن ذكَرَ الله ﷻ ثمانية أصناف من الناس يحبهم وبفعل مضارع، كما يلي:

١. "المتوكّلين":

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران،٣ :١٥٩)

٢. "المتطهّرين" أو "المطهرين":

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ (البقرة،٢ :٢٢٢)

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ (التوبة،٩ :١٠٨)

٣. "التوابين":

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ (البقرة،٢ :٢٢٢)

٤. "المقسطين":

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ (المائدة،٥ :٤٢)

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ (الحجرات،٤٩ :٩)

لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ (الممتحنة،٦٠ :٨)

٥. "الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص"[٤٣]:

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ (الصف،٦١ :٤)

---

٤٣ للوهلة الأولى قد يبدو شمول "ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ" في قائمة الذين يحبهم الله ﷻ أمراً محيّراً؛ خاصة حين نتفكّر في الفضائل الواضحة للفئات السبع الأخرى. ولكن الأمر يتضح حين نتذكر الآيتين اللتين سبقتا هذه الآية. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ (الصف، ٢-٤)

فالقتال في سبيل الله صفّاً كالبنيان المرصوص متصل بوفاء والتزام الإنسان بعمل ما قال إنه سيفعله، كما جاء في الآية الكريمة؛ أي أنه متصل بالصدق والإخلاص دون تردد أو نفاق وبالتالي كأنهم نفس واحدة. فالـ"صفّ" و"البنيان المرصوص" حاضران أولاً في نفوسهم. يقول الله ﷻ:

۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ (البقرة،٢: ٤٤)

٦. " الصابرين " :

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ (آل عمران،٣ :١٤٦)

٧. " المتقين " :

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ (آل عمران،٣ :٧٦)

إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ (التوبة،٩ :٤)

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾

(التوبة،٩ :٧)

٨. " المحسنين " :

وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

﴿١٩٥﴾ (البقرة،٢ :١٩٥)

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ (آل عمران،٣ :١٣٤)

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ (آل عمران،٣ :١٤٨)

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ

فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ (المائدة،٥ :١٣)

لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ (المائدة،٥ :٩٣)

ما هو القاسم المشترك بين هذه الأصناف الثمانية من الناس؟ الجواب أنهم جميعاً يتحلّون بأنواع من فضائل النفس. فالتوكّل، والطهارة، والتوبة، والقسط، والقتال في سبيل الله، والصبر، والتقوى، والإحسان، كلها فضائل وبالتالي كلها من جمال النفس، الجمال "الداخلي" في الإنسان[٤٤]. ولذلك ذكرنا سابقاً (في فصل "تعريف الحب") أن حب الله ﷻ هو "حب الجمال" كما جاء في الحديث الشريف:

«**إن الله جميل يحب الجمال**»[٤٥].

لكن "الإحسان" أكثر من فضيلة واحدة: بل يشمل جميع الفضائل. وهذا واضح من حديث جبريل عليه السلام:

«**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٤٦].

العبادة المخلصة – "كأننا نرى الله ﷻ" – تحتاج إلى جميع فضائل النفس؛ فالإنسان لا يمكن أن يعبد الله ﷻ كأنه يراه من دون أن يسخّر قلبه وعقله ونفسه لله. فالوصول إلى معرفة وحدانية الله ﷻ وحقيقته المطلقة

---

٤٤ ولذلك فإن الله ﷻ يحب الإتقان. قال رسول الله ﷺ:

«**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**». (رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ١/ ٢٧٥).

فإن الإتقان هو عمل النفس الجميلة، أو العمل الجميل من قِبل نفسٍ جميلةٍ، والله أعلم.

٤٥ صحيح مسلم، رقم ٩٩، كتاب الإيمان.

٤٦ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ١.

يستلزم حضور النفس بكلّيتها وجميع فضائلها. وهذا هو أصل معنى كلمة "الإحسان"، فـ "الإحسان" من "الحُسن"، والحُسن جمال، وهو "نقيض القبح"[47]. فالإحسان جمال النفس، أو الجمال الداخلي للإنسان. وهذا يتفق مع وصف حب الله الذي استنبطناه من الحديث الشريف أن حب الله هو "حب الجمال". ففي كل الآيات المذكورة آنفاً كأن الله ﷻ يقول إنه يحبُ الذين يتحَلَّون بالنفوس الجميلة بدرجات معينة، والله أعلم.

هذا هو ما نفهمه أيضاً من الآية الكريمة التالية:

قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ (آل عمران،٣ :٣١)[48]

فالله ﷻ "يُحْبِب" – أي يحبهم "يحِبٍّ" أي مزيداً من الحب[49] – الذين اتّبعوا سنة رسول الله ﷺ، والذين يتّبعون سنة رسول الله ﷺ هم الفاضلون والمحسنون بالضرورة لأن الرسول ﷺ كان على "خلق عظيم":

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ (القلم،٦٨ :٤)

وقد أفاد قوله ﷻ (قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ) أن الله ما وعد أحداً بحبه الأعظم والأشد إلا رسول الله ﷺ، أما بقية الناس فإنه وعدهم بحبه إذا اتبعوا السنة وذلك من غير أن يَعدهم بالنجاح الكامل في هذا. وربما يكون هنالك – والله أعلم – سرٌّ عظيمٌ وهو أن الوحيد الذي

---

٤٧ الزبيدي، تاج العروس، مجلد ١٨، ص١٤٠.

٤٨ والأصناف الثمانية الذين يحبهم الله ﷻ هم المتبعون لسيدنا رسول الله ﷺ وهم مجموعون بالإجمال في هذه الآية الكريمة.

٤٩ قال الإمام الراغب الاصفهاني:

"وحببت فلاناً يُقال في الأصل بمعنى أصبت حَبَّة قلبه نحو شغفته وكبدته وَفَأَدتُهُ". (المفردات في غريب القرآن، ص١١٢).

يحب الله، والله يحبه، بشكل تام، هو رسول الله ﷺ. والذي يؤكد هذا الأمر أنه لا يوجد ذكر لإنسان "يحب الله والله يحبه" في القرآن الكريم بصيغة الحاضر، وإنما الحالة الوحيدة التي جاءت بهذا الوصف إنما تُخبر عن المستقبل، وهو في الآية الكريمة التالية (وقد ذكرناها سابقاً):

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة،٥ :٥٤)

وسيأتي الكلام – إن شاء الله – في موضوع حب الله لرسوله ﷺ في الفصل القادم فيكفي الإشارة لهذا الموضوع هنا.

*

المطلب الثالث: الترتيب الهرمي للفاضلين

يبدو أنه يوجد بين أصناف المؤمنين المذكورين أعلاه تفاوت في الدرجات والتفضيل: فقد ذكر الله ﷻ المحسنين في كتابه العزيز (خمس مرات)، ثم المتقين والمقسطين (ثلاث مرات)، ثم الأصناف الخمسة الأخرى (مرة واحدة).

ومن ناحية أخرى فإن المحسنين والمتقين والصابرين هم الذين يخصهم الله ﷻ بمعيته[٥٠]، و"معية الله" أمر شائك اختلف العلماء في معناه، وقد ذكر

---

٥٠ بطبيعة الحال هذه المعية تعتبر نوعاً خاصاً من أنواع الحب. فرسول الله ﷺ وضح علاقة الحب بالمعية في قوله:

«**المرء مع من أحب**». (رواه البخاري، ٦١٦٨ في كتاب الأدب، باب علامة حب الله).

وقوله: لمن قال له ما أعددت للساعة من شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال له:

العلماء أن المعية في القرآن الكريم نوعان[51]:

١. "المعية العامة" وهي أن الله ﷻ مع كل شيء:
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ (الأعراف،٧ :٧)
ومع كل مجموعة من الناس:
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ (المجادلة،٥٨ :٧)
وحتى مع المذنبين:
يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ (النساء،٤ :١٠٨)

٢. "المعية الخاصة" وهي أن الله ﷻ مع الأنبياء والمرسلين والمؤمنين:
إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ (الأنفال،٨ :١٩)

«**أنت مع من أحببت**». (رواه البخاري، ٣٦٨٨ في كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب).

٥١ قال الإمام **القشيري** في كتابه الرسالة القشيرية، ص ٤٦: "وسأل ابن شاهين الإمام الجنيد عن معنى: (مع) ـ أي المعية ـ، فقال: (مع) على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى: {إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ}. ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال الله تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ}، فقال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالاً للأمة على الله تعالى.

وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ (المائدة،٥ :١٢)

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ (الحديد،٥٧ :٤)

فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ (محمد،٤٧ :٣٥)

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة،٩ :٤٠)

ومع موسى وهارون:

قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ (الشعراء،٢٦ :١٥)

قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ (طه،٢٠ :٤٦)

ومع موسى بشكل خاص:

قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ (الشعراء،٢٦ : ٦٢)

فكذلك نميّز درجتين من "المعية"، وإلا ما معنى قول رسول الله ﷺ "لا تحزن إن الله معنا" إذا كان المقصود أن لا فرق بين معية الله ﷻ لرسوله ولأبي بكر ﵁ في غار ثور وبين معية الله ﷻ للكفار الذين كانوا يحاولون أن

يقتلوهما عند غار ثور؟ وما معنى كلمة سيدنا موسى عليه السلام "كلا" إذا كان المقصود هنا أنه لا فرق بين معية الله جل جلاله لسيدنا موسى عليه السلام ولفرعون وجنوده؟

ولهذا فإننا نميّز بين الأصناف الخمسة الذين يحبهم الله جل جلاله المذكورين آنفاً من غير ذكر معية (وهم الذين وصفوا بـ "المتوكّلين"، "المتطهّرين" أو "المطهرين"، "التوابين"، "المقسطين"، "والذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص") والأصناف الثلاثة الذين يحبهم الله والله معهم، وهم:

١. "الصابرين"[٥٢]:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ (البقرة،٢ :١٥٣)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ (البقرة،٢ :٢٤٩)

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ (الأنفال،٨ :٤٦)

ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ (الأنفال،٨ :٦٦)

---

٥٢ ربما يكون في ذكر معية الله جل جلاله للصابرين أربع مرات في القرآن الكريم إشارة إلى أن الصبر يحتاج إلى جلد قبل أن يصل الصابر إلى درجة المُحسن، والله أعلم.

٢. "المتقين":

ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ (البقرة،٢ :١٩٤)

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ (التوبة،٩ :٣٦)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ (التوبة،٩ :١٢٣)

٣. "المحسنين":

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ (العنكبوت،٢٩ :٦٩)

والله ﷻ ذكر المحسنين والمتقين، وأشار إلى الصابرين معاً في الآيات التالية:

وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ (النحل،١٦ :١٢٧-١٢٨)

قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ (يوسف،١٢ :٩٠)

فهذا يعني – والله أعلم – أن ثلاثة أصناف من المؤمنين الذين يحبهم

الله ("الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين") يتميّزون على خمسة أصناف من المؤمنين الذين يحبهم الله ("المتوكّلين"، "المتطهّرين" أو "المطهرين"، "التوابين"، "المقسطين"، "والذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص").

والقرآن الكريم يؤكّد هذا حين يذكر اللهُ ﷻ الذين يكافئهم سبحانه "بغير حساب" – أي بلا حد ومن دون قياس الخير الذي قاموا به – ومن الواضح أن هذه المكافأة تدل دلالة مهمة على فضل الله ﷻ وحبه. والله ﷻ يذكر المكافأة "بِغَيۡرِ حِسَابٖ" ست مرات في القرآن الكريم:

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ (البقرة،٢: ٢١٢)

تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ (آل عمران،٣: ٢٧)

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (آل عمران،٣: ٣٧)

رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ (النور،٢٤: ٣٧ – ٣٨)

قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ (الزمر،٣٩: ١٠)

مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ

مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٤٠)

الآية الأولى تشير إلى "الذين اتقوا"؛ والآية الثانية لا تحدد الذين يحظون بمكافأة "بِغَيۡرِ حِسَابٖ"؛ والآية الثالثة تتحدث عن السيدة مريم العذراء عليها السلام؛ والآية الرابعة تشير إلى الذين يذكرون الله ﷻ بشكل مستمر؛ والآية الخامسة تشير إلى "الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين" — الفضائل الثلاث التي ذُكِرَت سابقاً في آية واحدة؛ أما الآية السادسة فتشير إلى "من عمل صالحاً"، ولعل هذا يشير إلى "الصالحين" في أعمالهم. باختصار، فإن الفضائل التي يكافئها الله "بِغَيۡرِ حِسَابٖ" والتي ذُكِرَت تحديداً هي الفضائل الثلاث نفسها التي سبق ذِكرها وهي: "الصبر" و"التقوى" و"الإحسان"؛ فأصحاب هذه الفضائل ("الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين") هم النخبة ممن يحبهم الله ﷻ.

ولكن توجد درجات حتى بين الصابرين والمتقين والمحسنين، حيث أن المتقين والمحسنين أعلى درجة من الصابرين. يمكننا أن نرى هذا في حقيقة أن الوعد الأخير الذي أخذه الله ﷻ على نفسه "وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا" في القرآن الكريم هو وعد للمتقين، يقول الله ﷻ:

قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾ (الفرقان، ٢٥: ١٥ -١٦)

وهذا أمر مهم يذكّرنا بقول الله ﷻ أنه "كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ" (الأنعام، ٦: ١٢؛ وانظر أيضاً الأنعام، ٦: ٥٤)؛ فكما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب" فإن الرحمة من الذات الإلهية نفسها. وبعبارة أخرى فإن الله ﷻ يحب

"المتقين" لدرجة أن مكافأتهم بـ"جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ" أمر تتطلبه الذات الإلهية[٥٣].

ومن جهة أخرى، نرى أهمية الإحسان لأن الله ﷻ استعمل كلمة "مَعَ" في الآية الكريمة: " وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ" (العنكبوت،٢٩: ٦٩)، والتي تؤكّد أن الله مع المحسنين. ولا يفوتنا أن نذكر أن "ٱلۡمُحۡسِنِينَ" انفردوا في القرآن الكريم بقربهم من رحمة الله ﷻ:

وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف،٧ :٥٦)

وهذا يؤكد أصلاً تعريفنا "للإحسان" آنفاً كجامع لفضائل النفس. فالله ﷻ يحب من كانت نفسه جميلة وبحسب درجة جمال نفسه، فيقول الله ﷻ:

يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ (الشعراء،٢٦ :٨٨-٨٩)

*

المطلب الرابع: عطاء الله ﷻ لكل الناس

مع أن الله ﷻ يحب الصابرين والمتقين والمحسنين، فرحمته وسعت كل

---

٥٣ يقول الفخر الرازي في "مفاتيح الغيب"، ٢٤/ ٥٣ إن وعد الله "وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا" ويعود إلى دعوة المؤمنين والملائكة:

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ (آل عمران،٣: ١٩٤)

... رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ (غافر،٤٠: ٧- ٨)

والملفت في هذه الآيات الكريمة أن الله ﷻ يذكر وعده في القرآن الكريم وهذا يثبت أن الله ﷻ ألزم نفسه سبحانه بهذا الوعد، والله أعلم.

شيء، كما ذكرنا. يُضاف إلى ذلك أن عطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بغض النظر عن هل تستحق ذلك أم لا، هبة منه ﷻ بلا مقابل:

كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ (الإسراء،١٧ :٢٠)

وحتى مع المؤمنين الفاضلين لا يوجد هناك ربط بين نعمة الله واستحقاق الناس لها:

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ (إبراهيم،١٤ :٣٤)

وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ (النحل،١٦ :١٨)

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ (لقمان،٣١ :٢٠)

وحتى الكفار والظالمين والمشركين والمنافقين فالله ﷻ يمهلهم برحمته:

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ (النحل،١٦ :٦١)

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ (فاطر،٣٥ :٤٥)

فالحمد لله،

وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ (القصص،٢٨ :٧٠)

٨. الباب الأول؛ الفصل الخامس:

حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه

المطلب الأول: الأنبياء

فضّل الله ﷻ أنبياءه ورسله على كل الخلق (بما فيهم أولياؤه):

وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ (الأنعام،٦: ٨٥)

وأرسل الله ﷻ إلى كل أمة رسولاً أو نذيراً:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ (غافر،٤٠ :٧٨)

إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ (فاطر،٣٥ :٢٤)

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ (الشعراء،٢٦ :٢٠٨)

تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ (النحل،١٦ :٦٣)

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ (فصلت،٤١ :٤٣)

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ (الاحقاف،٤٦ :٩)

وذكر الله ﷻ أسماء خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، ثمانية عشر منهم في الآيات التالية:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ (الأنعام،٦ :٨٣-٨٧)

والسبعة الباقون الذين لم يذكروا في الآيات أعلاه ولكنهم ذُكروا بالاسم في القرآن الكريم هم: إدريس ﷺ، ذو الكفل ﷺ، شعيب ﷺ، هود ﷺ، صالح ﷺ، وسيدنا محمد ﷺ. واختلف العلماء في الخَضر – وهو المذكور مع موسى ﷺ (في سورة الكهف،١٨ :٦٠-٨٢) – هل كان نبياً أو ولياً.

المطلب الثاني: الرُسُل

إن كل رسول نبي ولكن ليس كل نبي رسولاً. قيل في الأحاديث المختلفة إنه كان عبر التاريخ أربعةٌ وعشرون ومائة ألفَ نبيٍ وخمسة عشر وثلاثمائة رسولاً[٥٤]. والرسول هو الذي يأتي بشريعة جديدة والنبي هو الذي ينبئ الناس نبأً من الله عن شريعة جاءت مع رسول[٥٥]. نعلم أن الله ﷻ أكد

---

٥٤ جاء في الحديث عن أبي ذر ﷺ **قال:**

يا رسول الله: كم الأنبياء؟ فقال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً**» فقال: كم المرسلون منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وخمسة عشر، جماً غفيراً**». (رواه أحمد في المسند، ٥/ ٢٦٥-٢٦٦، وابن حبان في صحيحه، ٢/ ٧٧).

٥٥ قال **ابن أبي شريف**: "وقد تحصَّل في معنى النبي والرسول ثلاثة أقوال: الفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه وهو الأول المشهور، والفرق بأن الرسول مَنْ له شريعة وكتاب أو نسخ لبعض شريعة متقدمة على بعثته، وكونهما بمعنى واحد وهو الذي عزاه للمحققين، وهو يقتضي اتحاد عدد الأنبياء والرسل". (ابن أبي شريف، المسامرة في العقائد، ص ١٩٤).

وقال الأستاذ **عبد القاهر البغدادي** أثناء سرده للأمور التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة في كتاب (الفرق بين الفرق) في تعريف الرسول والنبي: "أن كل مَنْ نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان مَلَك من الملائكة وكان مؤيّداً بنوع من الكرامات الناقضة

أن اثني عشر من الأنبياء الذين سماهم في القرآن الكريم هم رسل أيضاً، وخمسة منهم مذكورون في الآية الكريمة التالية:

للعادات فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة وخُصَّ أيضاً بشرع جديد أو بنسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول". (الأستاذ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٣٤٢).

فالتعريف الصحيح والدقيق في تعريف كل من النبي والرسول والفرق بينهما، أن الرسول هو: "مَنْ أوحي إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه"، والنبي هو: "مَنْ أوحي إليه بشرع رسول وأمر بتبليغه"، فكل منهما بُعِث من عند الله ﷻ ومأمور بالتبليغ، لقوله ﷻ:

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ (الحج،٢٢ :٥٢)

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ (الأعراف،٧ :٩٤)

ولا أدَل على ذلك أيضاً من قوله ﷻ:

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ (مريم،١٩ :٥١-٥٤)

بيَّن الله ﷻ هنا الفرق بين وظيفة الرسول ووظيفة النبي: فسيدنا موسى ﵇ هو الرسول الذي أُرْسِلَ بشريعة جديدة وهي في التوراة، وسيدنا هارون ﵇ هو النبي الذي أمر بتبليغ التوراة وشريعة سيدنا موسى ﵇ أيضاً، إلا أن الله ﷻ أكرم سيدنا هارون ﵇ بشيء من وظيفة الرسالة، وذلك بطلب أخيه موسى ﵇، فالله ﷻ يقول:

وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ (الشعراء،٢٦ :١٣-١٥)،

والدليل القاطع على أن سيدنا هارون ﵇ كان له شيء من الرسالة لما أرسل مع سيدنا موسى ﵇ هو قول الله ﷻ:

فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ (طه،٢٠ :٤٧).

شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ (الشورى،٤٢ :١٣)

وهؤلاء هم – أولو العزم من الرسل – وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام)، أخبرنا الله ﷻ أن الأنبياء المذكورين تالياً هم رسل أيضاً:

١. هود ﵇:

إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ (الشعراء،٢٦ :١٢٤-١٢٥)

٢. صالح ﵇:

إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ (الشعراء،٢٦ :١٤٢-١٤٣)

٣. لوط ﵇:

إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ (الشعراء،٢٦ :١٦١-١٦٢)

٤. إسماعيل ﵇:

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ (مريم،١٩ :٥٤)

٥. يوسف ﵇:

وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ (غافر،٤٠ :٣٤)

٦. شعيب ﵇:

إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ (الشعراء،٢٦ :١٧٧-١٧٨)

٧. إلياس عليه السلام[٥٦]:

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ (الصافات،٣٧ :١٢٣)

٨. يونس عليه السلام:

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ (الصافات،٣٧ :١٣٩)

٩. هارون عليه السلام:

فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ (طه،٢٠ :٤٧).

١٠. داود عليه السلام[٥٧]:

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ (النساء،٤ :١٦٣)

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ (الإسراء،١٧ :٥٥)

---

٥٦ سيدنا إلياس وسيدنا يونس عليهما السلام كانا من الرسل، لأن كلمة "الْمُرْسَلِينَ" تعني رسولاً.

٥٧ ليس واضحاً لنا هل كان سيدنا داود عليه السلام نبياً أم رسولاً، وهذا يعتمد على أنه هل كان كتابه "الزبور" مستقلاً عن شريعة سيدنا موسى عليه السلام أم مقرراً ومؤكداً لها؟ وربما يُقال إن سيدنا داود عليه السلام إذا كان نبياً فقط أنه هو النبي الوحيد الذي نعلم أن الله جل جلاله أتاه كتاباً وهو "الزبور"، وربما يكون في الآية الكريمة التالية إشارة إلى هذا التفضيل الإلهي بين الأنبياء:

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ (الإسراء،١٧ :٥٥)

✵

المطلب الثالث: "أولو العزم" من الرسل

لا يجوز للمؤمنين أن يفرقوا بين أحد من رسل الله ﷻ:

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة،٢ :٢٨٥)

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ (البقرة،٢ :١٣٦)

قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ (آل عمران،٣ :٨٤)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾

(النساء،٤ : ١٥٠ – ١٥٢)

مع ذلك لا بد أن يلاحظ الإنسان أن الله ﷻ فضّل بعض الرسل على بعض:

تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ (البقرة،٢ :٢٥٣)

فالله ﷻ ذكر "أولي العزم" من الرسل:

فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ (الأحقاف،٤٦ :٣٥)

وقد ورد في حديث صحيح[٥٨] أن "أولي العزم" من الرسل هم الرسل الخمس المذكورون في الآيتين التاليتين:

شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ (الشورى،٤٢ :١٣)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ (الأحزاب،٣٣ :٧)

فهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وهم صفوة صفوة البشر وصفوة صفوة الخلق. وذكر الله ﷻ ما يُشير إلى حبه لكل واحد منهم بطريقة مختلفة كما سنبيّن فيما يلي:

١. سيدنا نوح عليه السلام:

ذكر الله ﷻ أن نوحاً عليه السلام بأعينه، كما أنه ﷻ ذكر أن نوحاً صنع الفلك بناءاً على الوحي:

فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا . . . (المؤمنون،٢٣ :٢٧)

---

٥٨ رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (برقم ٤٠٠) .

وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا . . . (هود،١١ :٣٧)

٢. سيدنا إبراهيم عليه السلام:

ذكر الله جل جلاله أنه آتى إبراهيم صحفاً:

إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ (الأعلى، ٨٧ :١٨-١٩)

وذكر الله جل جلاله أن إبراهيم عليه السلام خليله:

. . . وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ (النساء،٤ :١٢٥)

وكان إبراهيم عليه السلام بدوره أواه في حبه لله:

. . . إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ (التوبة،٩ :١١٤)

إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ (هود،١١ :٧٥)

٣. سيدنا موسى عليه السلام:

ذكر الله جل جلاله أنه آتى موسى صحفاً عليه السلام وألواحاً وتوراةً:

إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ (الأعلى، ٨٧ :١٨-١٩)

أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ (النجم،٥٣ :٣٦)

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ (الأعراف،٧ :١٥٠)

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ (الأعراف،٧ :١٥٤)

نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ (آل

عمران،٣ :٣)

وذكر الله ﷻ أن موسى عليه السلام نجيّه:

. . . وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ (مريم،١٩ :٥٢)

وأنه كان عند الله ﷻ وجيهاً:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ (الأحزاب،٣٣ :٦٩)

وأن الله ﷻ ألقى عليه محبته وأنه اصطنعه على عينه:

. . . وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ (طه،٢٠ :٣٩)

وأن الله ﷻ اصطفى موسى لنفسه:

وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ (طه،٢٠ :٤١)

ولهذا كان موسى عليه السلام بدوره "أول المؤمنين":

. . . وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ (الأعراف،٧ :١٤٣)

وكما رأينا سابقاً ذكر الله ﷻ أنه كان مع موسى وهارون عليهما السلام، ومع موسى عليه السلام بشكل خاص:

قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ (الشعراء،٢٦ :١٥)

قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ (الشعراء،٢٦ : ٦٢)

٤. سيدنا عيسى عليه السلام:

ذكر الله ﷻ أنه آتى سيدنا عيسى عليه السلام الإنجيل، قال الله ﷻ:

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ (المائدة،٥ :٤٦))

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

(المائدة،٥ :١١٠)

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد،٥٧ :٢٧)

وذكر الله ﷻ أنه جعل عيسى عليه السلام مثلاً لبني إسرائيل:

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ (الزخرف،٤٣ :٥٩)

وكذلك ذكر الله ﷻ أنه أعطى عيسى عليه السلام آيات منه، كما أعطى بعض الأنبياء والرسل من قبله[٥٩]:

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ (آل عمران،٣ :٥٠)

---

٥٩ ذكر الله ﷻ أن بعض الرسل (والأنبياء) جاءوا بآيات بإذن الله ﷻ (انظر إلى: الرعد،١٣ :٣٨؛ غافر،٤٠ :٧٨)، فمهنم صالح عليه السلام (انظر إلى: الأعراف،٧ :٤٣؛ هود،١١ :٦٤)، وزكريا عليه السلام (انظر إلى: آل عمران،٣ :٤١؛ مريم،١٩ :١٠)، ونوح عليه السلام (انظر إلى: العنكبوت،٢٩ :١٥)، وإبراهيم عليه السلام (انظر إلى: آل عمران،٣ :٩٧)، وموسى وهارون عليهما السلام معاً (انظر إلى: طه،٢٠ :٤٧). ولكن موسى عليه السلام أعطي أكثر من آية (انظر إلى: الإسراء،١٧ :١٠١؛ طه،٢٠ :٢٢؛ الأعراف،٧ :١٣٣). وربما تكون أعظم آية هي التي أعطيت لسيدنا محمد ﷺ وهي آية شق القمر (انظر إلى: القمر،٥٤ :١-٢).

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ (المائدة،٥ :١١٤)

ولكن بينما أعطي بعض الرسل والأنبياء آية أو آيات، جعل الله ﷻ عيسى عليه السلام نفسه آية، هو وأمه:

وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ (الأنبياء،٢١ :٩١)

وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ (المؤمنون،٢٣ :٥٠)

وإضافة إلى ذلك، فإن الله ﷻ جعل عيسى عليه السلام آية للناس ورحمة منه:

قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ (مريم،١٩ :٢١)

وذكر الله ﷻ أيضاً أن عيسى عليه السلام هو المسيح وكلمة الله وروح منه:

... إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ... (النساء،٤ :١٧١)

وذكر الله ﷻ أن عيسى عليه السلام وجيهٌ في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين (وهو الوحيد من البشر الذي سمي بالاسم كأحد من "المقربين" في القرآن الكريم):

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ (آل عمران،٣ :٤٥)

وذَكرَ الله ﷻ أنه عليه السلام محميٌّ وأمه، من الشيطان الرجيم:

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا

بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ (آل عمران،٣ :٣٦-٣٩)

وذَكرَ الله ﷻ أنه رفع عيسى ﵇ إليه:

بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ (النساء،٤ :١٥٨)

وربما نجد في الآية التالية إشارة إلى تفضيل عيسى ﵇ على الرسل من قبله:

تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدۡنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ . . . (البقرة،٢ :٢٥٣)

٥. سيدنا محمد ﷺ:

سيدنا محمد ﷺ هو خامس الرسل "أولي العزم" (انظر القسم التالي).

المطلب الرابع: حبيب الله

إن الله ﷻ آتى سيدنا محمد ﷺ القرآن الكريم:

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَـٰكَ سَبۡعًا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ (الحجر،١٥ :٨٧)

فسيدنا محمد ﷺ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين:

. . . وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ . . . (الأحزاب،٣٣ :٤٠) (انظر إلى: الأنعام،٦ :١٩؛ يوسف،١٢ :٣؛ طه،٢٠ :٢ و١١٤؛ القصص،٢٨ :٨٥؛ الإنسان،٧٦ :٢٥)

"الخاتم" يعني "الأخير" ولكن المقصود أيضاً "القمة"، لذلك فسيدنا محمد ﷺ هو الأول أيضاً – "أول من أسلم"، و"أول المسلمين"، و"أول العابدين":

. . . أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ . . . (الأنعام،٦: ١٤)

. . . أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ (الزمر،٣٩: ١٢)

. . . أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ (الزخرف،٤٣: ٨١)

وهذا الفضل كله دليل على محبة الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ، فإذا كان الله ﷻ قد قال عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿. . . وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ (طه٢٠: ٣٩) ولسيدنا نوح عليه السلام ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا . . .﴾ (هود،١١: ٣٧) فإنه قال لسيدنا محمد ﷺ ﴿. . . فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا . . .﴾ (الطور،٥٢: ٤٨) من غير تحديد[٦٠].

وأضاف إلى ذلك صلاة خاصة من الله وملائكته على سيدنا محمد ﷺ:

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ (الأحزاب،٣٣: ٥٦)

وكان الله معه ومع صاحبه، كما رأينا سابقاً، بـ"المعية الخاصة" في غار ثور:

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ

---

٦٠ ومما يُبين التفاضل بينهما عليهما الصلاة والسلام قول سيدنا موسى لله ﷻ كما جاء في القرآن الكريم: وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ (طه،٢٠: ٨٤) لكن سيدنا محمداً ﷺ قال له رب العزة سبحانه: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ (الضحى،٩٣: ٥). فهذا يعني أنه كان على سيدنا موسى عليه السلام طلب الرضا، بينما كان الرضا وهب إلهي لسيدنا محمد ﷺ.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة،٩ :٤٠)

ورفع الله ﷻ ذكره:

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ (الشرح، ٩٤ :٤)

وفضّله الله ﷻ وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلّمه علماً جديداً:

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ (النساء،٤ :١١٣)

ووصفه ﷻ بأنه "كريم":

إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ (الحاقة، ٦٩ :٤٠)

ومدحه ﷻ لخُلقه:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم،٦٨ :٤)

لدرجة أن نوره ﷺ كان يَسطَع:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤٥–٤٦)

وأنه ﷺ كان نوراً:

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ (المائدة،٥ :١٥)

ووصفه الله أنه "أسوة حسنة" لمن كان "يرجو الله" (والرجاء يتضمن معنى الحب):

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢١)

ويُلاحظ أن الحالة الأخرى التي وصف الله ﷻ في القرآن الكريم غير سيدنا محمداً ﷺ بأنه "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " هو سيدنا إبراهيم ﵇ وأصحابه (ولكن سيدنا محمداً ﷺ انفرد بوصف "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " لوحده):

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ (الممتحنة،٦٠ :٤)

وخُصّ سيدنا محمد ﷺ بتسميته "ذِكْر الله" :

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ (الطلاق،٦٥ :١٠-١١)

وفسّر الراغب الأصفهاني هاتين الآيتين كالتالي:

"قوله: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا ﴾ فقد قيل الذكر هاهُنا وصف للنبي ﷺ كما أن الكلمة وصف لعيسى ﵇ من حيث إنه بُشِّر به في الكتب المتقدمة، فيكون قوله ﴿ رَّسُولًا ﴾ بدلاً منهُ. وقيل ﴿ رَّسُولًا ﴾ مُنتَصِبٌ بقوله ﴿ ذِكْرًا ﴾ كأنه قال قد أنزلنا إليكم كتابا ﴿ ذِكْرًا ﴾ رسولاً يتلوا...."[61].

ومن ذلك فإن بيعته ﷺ هي بيعة الله ﷻ، ومن وضع يده بيده، فإن يد الله ﷻ فوق أيديهم:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا

[61] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص١٨٤.

يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ (الفتح،٤٨ :١٠)

ولذلك فإن رسول الله ﷺ رحمة للعالمين:

وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ (الأنبياء،٢١ :١٠٧)

ولذلك كان وجوده بحد ذاته يحمي الكفّار.

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ (الأنفال،٨ :٣٣)

وأخيراً يبيّن الله حبه لرسوله محمد ﷺ في الآية التالية كما ذكرنا سابقاً:

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران،٣ :٣١)

فمن هذه الآية نفهم أن سيدنا محمداً ﷺ هو "حبيب الله" وهو الوحيد الذي يوصف بوصف "الإحباب" – وهو "الحِبُّ" أو شدة الحب كما رأينا سابقاً – بشكل قطعي دون أن يكون مشروطاً بشيء. وهذا التفسير يثبته الحديث الشريف المعروف:

«أنا حبيب الله ولا فخر»[٦٢].

فالله ﷻ فضّل الرسل والأنبياء على العالمين، وفضّل الرسل على الأنبياء وفضّلَ أولي العزم من الرسل في محبته الخاصة على سائر الرسل، وجعل سيدنا محمداً ﷺ حبيبه.

---

٦٢ رواه الدارمي في سننه رقم ٤٧ في المقدمة، والترمذي في سننه رقم ٣٦١٦ في كتاب المناقب.

٩. الباب الأول؛ الفصل السادس:

الذين لا يحبهم الله ﷻ

خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته ومن أجل رحمته ﷻ. وعلى الرغم من ذلك ومن فضل الله ﷻ على الإنسان بشكل عام، فإنه يوجد في القرآن الكريم ذِكر اثني عشر صنفاً من الناس لا يحبهم الله ﷻ. ولكن يُلاحظ أن الله ﷻ لا يقول أبداً إنه لا يحب هؤلاء كأشخاص بحد ذاتهم، وإنما لا يحبهم كأشخاص يتمثّلون بخصال سيئة. والإثنا عشر صنفاً من الناس الذين لا يحبهم الله ﷻ هم:

١. "الكافرين":

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ (آل عمران،٣ :٣٢)

لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ (الروم،٣٠ :٤٥)

٢. "كل كفّار أثيم":

يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ (البقرة،٢: ٢٧٦)

٣. "المعتدين":

وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ (البقرة،٢ :١٩٠)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ (المائدة،٥ :٨٧)

ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ (الأعراف،٧ :٥٥)

٤. "المختال الفخور" أو "كل مختال فخور":

وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء،٤ :٣٦)

وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ (لقمان،٣١ :١٨)

لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ (الحديد،٥٧ :٢٣)

٥. "الخوّان الأثيم":

وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ (النساء،٤ :١٠٧)

٦. "كل خوّان كفور":

إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ (الحج،٢٢ :٣٨)

٧. "الخائنين":

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ (الأنفال،٨ :٥٨)

٨. " المفسدين " :

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ (المائدة،٥ :٦٤)

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ (القصص،٢٨ :٧٧)

٩. " المسرفين " :

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ (الأنعام،٦ :١٤١)

يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف،٧ :٣١)

١٠. " الفرحين " :

إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ (القصص،٢٨ :٧٦)

١١. " الظالمين " :

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿٥٧﴾ (آل عمران،٣ :٥٧)

إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٌ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ (آل عمران،٣ :١٤٠)

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ (الشورى،٤٢ :٤٠)

١٢. "المستكبرين":

لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ (النحل،١٦ :٢٣)

وإضافة إلى ذلك لا يحب الله الأعمال السيئة:

لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ (النساء،٤ :١٤٨)

... وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ (البقرة،٢ :٢٠٥)[٦٣]

فالله ﷻ لا يحب اثنى عشر صنفاً من الناس الذين يتمثّلون بخصال سيئة وهو يحب ثمانية أصناف من الناس الذين يتمثّلون بالفضائل. والقاسم المشترك بين الأصناف الاثني عشر هو قبح النفس المتمثل في ارتكاب المعاصي وعدم الانقياد لله ﷻ ومخالفة أمره. والقاسم المشترك بين الأصناف الثمانية

---

٦٣ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الله لا يرضى بعض الأمور مثل الكفر:

... إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ ... (النساء،٤ :١٠٨)

... وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ ... (الزمر،٣٩ :٧)

... فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ (التوبة،٩ :٩٦)

من المؤمنين هو جمال النفس. فهل هذا يعني أن الله ﷻ يكره أكثر مما يحب؟ أو هل هذا يعني أنه يوجد تماثل بين حب الله للمؤمنين وكرهه للظالمين؟ كلا! لأن انعدام الحب شيء محايد، ونقيض الحب هو الكره، فعدم الحب للكافرين والظالمين على اختلاف أنواعهم لا يعني أن الله يكرههم ولا يعني أنه يوجد أي تماثل بين محبة الله للمؤمنين الفاضلين وعدم حبه للكافرين والظالمين. فالله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً أو أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يكرهُ فقط العمل السيء، أو شرهُ. وأقرب ما يصل إلى كره الله ﷻ هو فعل معين ويخص المنافقين الذين هم ... فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ... (النساء، ٤ :١٤٥).

وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ (التوبة،٩ :٤٦)

وكذلك ذكر الله ﷻ أن "سيئة" بعض الأعمال هي "مكروهة" عنده.

يقول الله ﷻ:

لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا

﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ (الإسراء، ١٧ :٢٢-٣٩)

ويلاحظ أن في نص الآية الكريمة: "كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾" درجتين من البعد عن فكرة كره الله ﷻ للظالمين والكافرين بأعينهم: الدرجة الأولى هي أن سيئة المعاصي هي المكروهة عند الله ﷻ وليست المعاصي بعينها، والدرجة الثانية هي أن الله ﷻ قال إن سيئة المعاصي "مكروهة" عنده ولم يقل إنه يكره المعاصي، والله أعلم.

فالله ﷻ بيّن في القرآن الكريم أنه لا يكره أحداً بل ويحب كل شيء باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين وبعض أعمالهم، وهذا صحيح حتى في شدة إنكار الله ﷻ لأسوء أعمال الكافرين، وعند لعنِهِ لهم:

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ (النساء، ٤ :٩٣)

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ

ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ (المائدة،٥ :٦٠)

وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ (الفتح،٤٨ :٦)

فإنه يوجد في كل هذا لعن إلهي، وغضب إلهي، وعذاب شديد، وعدم حُب لهم من قِبل الله ﷻ، ولكن لا يوجد كُره من الله ﷻ للكافرين بذواتهم. فبما أنَّ الله ﷻ لم يذكر أنه يكره الكافرين، فلا يجوز لنا أن نقول ذلك[٦٤].

---

٦٤ بعض العلماء خالفوا هذا الرأي، وقالوا إن الله يكره الكافرين. ومنهم مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ حسنين محمد مخلوف رحمه الله، حيث يقول في كتابه: " كراهة الله تعالى لعبده: ومعنى كراهة الله تعالى لعبده غضبه عليه ومقته له وسخطه عليه وعدم رضاه عنه والختم على قلبه وسمعه وبصره، والطبع عليه، ولعنته ونقمته، وإذلاله وإهانته، وتعذيبه في الآخرة وعقوبته، وحرمانه في الدنيا من هدايته وتوفيقه، ومن الإنعام عليه والإحسان إليه والعون له – إلا إملاءً واستدراجاً – وذلك جزاء كفره أو نفاقه، أو فسوقه وعصيانه، أو إفساده أو طغيانه، أو ظلمه وعدوانه، أو تعاظمه وتجبره، أو اختياله وتكبره، ونحو ذلك من المعاصي والموبقات والآثام والمنكرات .... آيات فيمن يكرههم الله تعالى: وكذلك جاء في القرآن العظيم فيمن يكرههم الله تعالى من عباده ويمقتهم ويلعنهم ويغضب عليهم ويعاقبهم جزاء كفرهم وعصيانهم وجحودهم حقوق ربهم ومحاربتهم إياه آيات كثيرة ... " . (الشيخ حسنين محمد مخلوف، من وحي القرآن الكريم، فيمن يحبهم الله تعالى، وفيمن يكرههم الله تعالى من عباده، ص٥).

ولكن بالنسبة لنا نقول: بما أنه لم يرد أن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أنه يكره أحداً، لا يليق للعبد أن يصف الله ﷻ بما لم يرد. فالله ﷻ ذكر وجهاً في قوله ﷻ: "وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾" (الرحمن:٥٥ :٢٧) "فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ" (البقرة،٢ :١١٥) وذكر يداً في قوله ﷻ: "يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" (الفتح،٤٨ :١٠)، وذكر أعيناً في قوله ﷻ: "وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ" (الطور،٥٢ :٤٨) – بغض النظر عن كيفية فهمنا لهذه الألفاظ الكريمة – وقد ذكر الله ﷻ لفظ كلماته في قوله ﷻ: "وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ" (يونس،١٠ :٨٢) وفي آيات أخرى، فهل يجوز أو

يقول الله ﷻ:

فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ (النحل،١٦ :٧٤)

يليق بالعبد أن يقول بأن الله ﷻ له فم؟ حاشى لله سبحانه وتعالى! فالله ﷻ ذكر أنه لا يحب الكافرين ويكره بعض أعمالهم ويغضب عليهم ويلعنهم وأعد لهم جهنم وأعد لهم عذاباً عظيماً، ولكن مع هذا كله لم يذكر أنه يكره الكافرين بعينهم، فَلِمَ نطلقه على الله ﷻ ولم يرد في كتابه؟ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه قد تكون تهمة ضد الإسلام: فالبعض يتهمون الإسلام أنه دين كره وأن رب المسلمين يكره الناس، فلمَ نجر هذه التهمة على الإسلام، علماً بأن الله كان قادراً أن يذكر أنه يكره الكافرين في القرآن الكريم لو أراد ذلك. وكما ذكرنا أعلاه، فإن الله ﷻ يقول:

فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ (النحل،١٦ :٧٤)

وهناك مسألة ثانية في هذا الموضوع: كما رأينا سابقاً، فإن رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء، وإن رحمته سبقت غضبه، فكيف يكره الله ﷻ الناس بأعينهم؟ وكما سنرى لاحقاً إن شاء الله ﷻ في فصل "نقيضا الجمال والحب"، فإن الكره هو "نفور"، فإن كان النفور محال على الله ﷻ، فكيف تنفر رحمة الله من شيء (كما نتوقع في حالة كره الله لشيء بعينه) ويبقى هذا الشيء في الوجود؟ أي بمعنى آخر لو أن الله ﷻ كره شيئاً فكيف يبقى هذا الشيء ووجوده أصلاً رحمة من الله ﷻ؟ وبتعبير آخر، نقول إذا قطع الله ﷻ رحمته عن شيء فكيف يبقى وكيف يحدث؟ وربما نرى هذه القاعدة في قوله ﷻ:

وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ (التوبة،٩ :٤٦)

فهنا كره الله ﷻ انبعاث المنافقين ولذلك ثبطهم، ولم يحدث الأمر الذي يكرهه الله ﷻ.

وإن قيل كرد على هذا إن المعاصي تحدث وأن الله ﷻ يقول:

وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ (الإسراء،١٧ :٢٧-٣٨)

فنرد أن الله ﷻ قال إن سيئات المعاصي عنده مكروهة وليس المعاصي بأعينها، ولذلك قد تحدث، والله أعلم.

❋

كذلك لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أنه يبغض أحداً أو حتى فعلاً معيناً، مع أنه ذكر البغضاء في القرآن الكريم:

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ (المائدة،٥: ٩١)

❋

أما بالنسبة للمَقت – والمقت كالبغض من نقائض الحب – فقد ذُكِرَ مَقتُ الله أربع مرات في القرآن الكريم:

كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ (الصف،٦١ :٣)

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ (غافر،٤٠ :٣٥)

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ (فاطر،٣٥ :٣٩)

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ (غافر،٤٠ :١٠)

فيلاحظ – كما هو الحال مع الحب – أنه لم يذكر في القرآن الكريم أن الله ﷻ يمقتُ أحداً. فالله ﷻ يمقت أعمالاً معينة فقط، وإذا كان كُفر الكافرين يزيدهم عند الله مقتاً، لكنه لم يذكر أنهم يصلون بكفرهم إلى حالة

مقت الله بشكل قطعي[٦٥]. فهذا أيضاً من رحمة الله ﷻ وربما في كل ذلك درس

---

٦٥ وهذا كله بالرغم من أن الكافرين يؤذون الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥٧)

ويحادّون الله ﷻ ورسوله ﷺ:

أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ (التوبة،٩: ٦٣)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥﴾ (المجادلة،٥٨ :٥)

لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (المجادلة،٥٨ :٢٢)

ويشاقّون الله ﷻ ورسوله ﷺ:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ (الحشر،٥٩ :٤)

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ (الأنفال،٨ :١٣)

ويشاقّون رسول الله ﷺ:

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ (النساء،٤ :١١٥)

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ (محمد،٤٧ :٣٢)

ويقاتلون ويحاربون الله ﷻ ورسوله:

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ (البقرة،٢ :١٩٠-١٩١)

إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ (المائدة،٥ :٣٣)

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ (التوبة، ٩: ١٠٧)

وأن الله ﷻ يحارب الكافرين:

فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ (البقرة،٢ :٢٧٩)

وأن الله ﷻ قال عن المشركين والمنافقين "قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ ":

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ (التوبة،٩ :٣٠)

وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ (المنافقون،٦٣ :٤)

وأن الله ﷻ قتل الكافرين والمشركين:

فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ (الأنفال،٨ :١٧)

فكل هذه المشاقة والأذى والمحاربة من قبل الكافرين والمشركين لله (ومحاربة ومقاتلة وقتل الله ﷻ لهم) لا تعني أن الله ﷻ يكره الكافرين بأعينهم وبشكل قطعي، كما رأينا أعلاه.

وربما يكون سر هذا الوضع هو أن الله ﷻ يحاربهم ويقاتلهم من قبل حربهم لله ﷻ، لأن أسوأ جزاء يجازي الله الكافرين به أن يسمح لهم أن يشاقوه ويؤذوه ويحاربوه:

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ (البقرة،٢ :٩)

إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ (النساء،٤ :١٤٢)

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ (الأعراف،٧ :١٨٢)

فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ (القلم،٦٨ :٤٤)

فمحاربة الكافرين والمشركين لله ﷻ هي بحد ذاتها في الحقيقة حرب من الله ﷻ عليهم ولكنهم لا يشعرون، فليس الله ﷻ الذي يكرههم ولكن هم الذين يكرهون أنفسهم

عظيم للبشر أن لا يحبوا خِصالاً معينة، وأن يكرهوا أعمالاً معينة، وأن لا يكرهوا أحداً بشكل قطعي.

بدون علم، فالحرية البشرية التي وهبها الله للإنسان – كما سبق – تتضمن حرية أن يختار المرء إيذاء نفسه.

الباب الثاني :حب الرسول ﷺ

١٠. الباب الثاني؛ الفصل الأول:

حب الرسول ﷺ لله ﷻ

قد ذكرنا سابقاً أن رسول الله ﷺ ... أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ... (الأنعام،٦ :١٤)، ... أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ (الزمر،٣٩ :١٢)، ... أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ (الزخرف،٤٣: ٨١)، وهذه الصفات التي ذكرها الله ﷻ تشكل دليلاً قاطعاً على حب رسول الله ﷺ المطلق لله ﷻ. إضافة إلى هذه الصفات فقد ذكرنا سابقاً أيضاً رجاء الرسول ﷺ لله ﷻ (وإن الرجاء من الحب):

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢١)

لكن أوضح برهانٍ لحالة حب رسول الله ﷺ لربّه ﷻ تأتي في الآيات الجميلة التالية:

قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ (الأنعام،٦ :١٦١–١٦٤)

فإن كانت صلاة الرسول ﷺ ونسكه وحياته ومماته لله فهذه أعظم درجة في الحب، وبها فاق حُبه العواطف، وفاق حتى حالة "الحب الأشد" التي ذكرها الله ﷻ في الآية الكريمة: ... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ... (البقرة،٢ :١٦٥)،

لأنه غارق تماماً في بحر حب الله ﷻ. ولهذا كأن الله ﷻ يقول بعد تأكيدهِ أن الرسول ﷺ "أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ" وأن الرسول ﷺ أصبح غير قادر على أن يبغي أو يريد غير الله: "قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ".

فكما رأينا أن الرسول ﷺ حبيب الله، فنرى هنا أن الله ﷻ حبيب رسوله، وينطبق على الرسول ﷺ وعد الحب المتبادل كما جاء في الآية الكريمة: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة،٥ :٥٤).

من هنا يمكن لنا أن نفهم الحديث المعروف:

«حُبب إليَّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٦٦].

فالطيب والنساء يذكّران الرسول ﷺ بالجنة (كما جاء في سورة الواقعة، ٥٦: ٢٢ و٥٦: ٨٩) وبالتالي بقرب الله ﷻ بينما الصلاة ذكر الله ﷻ مباشرة. فكان رسول الله ﷺ كله حباً لله.

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥٦).

---

٦٦ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٣٩ و٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «**حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، ورواه أحمد ٣/ ١٢٨و١٩٩.

١١. الباب الثاني؛ الفصل الثاني:
حب الرسول ﷺ للمؤمنين

جعل الله ﷻ رسوله شاهداً ومبشراً ونذيراً للناس:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤٥)

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ (الفتح،٤٨ :٨)

وأمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين وللمسلمين:

فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ (محمد،٤٧ :١٩)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ (الممتحنة،٦٠ :١٢)

فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران،٣ :١٥٩)

إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ (النور،٢٤ :٦٢)

وخَيّر الله ﷻ رسوله بالاستغفار للمنافقين:

ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ

كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ (التوبة،٩ :٨٠)

واختار رسول الله ﷺ أن يستغفر للمنافقين أكثر من سبعين مرة، قائلاً: " «**أسمع ربي قد رخص لي فيهم، فوالله لاستغفرن أكثر من سبعين مرة، لعل الله أن يغفر لهم!**» فقال الله من شدة غضبه عليهم: سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ " [٦٧] (المنافقون،٦٣ :٦)

بل أكثر من ذلك، كاد رسول الله ﷺ أن يُهلك نفسه الشريفة هَمَّاً على الناس:

لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ (الشعراء،٢٦ :٣)

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ (فاطر، ٨:٣٥)

كاد رسول الله ﷺ أن يُهلك نفسه الشريفة هَمَّاً لأنه أراد أن يؤمن الناس بالله ﷻ بل وكاد أن يُهلك نفسه الشريفة هَمَّاً على الناس حتى حين لم يؤمنوا وكان يعرف ﷺ أنهم لن يؤمنوا:

فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ (الكهف،١٨ :٦)

وهذه نقطة غير مباشرة ولكنها جميلة: ظلّ رسول الله ﷺ يهتم لأمر الناس ويشعر بالرحمة تجاههم حتى حين كانوا يرفضونه. ولم يكن الرسول ﷺ يهتم لأمرهم فقط كمؤمنين مُحتَمَلين: بل كان يهتم لأمرهم حتى حين ظلوا في كفرهم (ويُفتَرض في حالة عداوة مع الرسول ﷺ) لدرجة أنه كاد أن يُهلك نفسه الشريفة هَمَّاً عليهم – أي كاد أن يموت هَمَّاً – لاهتمامه بأمرهم.

---

٦٧ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير القرآن، مجلّد رقم ١٠، صفحة ٢٠٠.

فهذا كله يدل على[68] رحمة رسول الله ﷺ بالناس جميعاً وليس بالمؤمنين

---

[68] أي أن رسول الله ﷺ كان يحب حتى أعدائه. إذاً هل كان يحبهم وهم يقاتلون ضدّ سبيل الله ﷻ؟ يقول ﷻ: لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (المجادلة، ٥٨:٢٢).

ونلاحظ أن الوداد (يُوَآدُّونَ) نوع محدد من الحب ويرتبط بشكل وثيق بكلمة (المودة)، وليس الحب بطريقة عامة أو الرحمة. ولكن حين يحاول المرء أن يدافع عن نفسه أو عن دينه، فمن الضروري أن يحب الله ﷻ أولاً، وبعد ذلك أن يحافظ على نفسه قبل أن يهتم لأمر عدوه. ولكن لعله يمكننا القول أن سيدنا محمد ﷺ ربما كان يحب أعدائه حتى عندما كان يقاتلهم (وقد أمر الله ﷻ الرسول ﷺ في القرآن الكريم أن يقاتل الذين قاتلوه) – ومن الواضح أن الرسول ﷺ لم يكن يحبهم من حيث أنهم أعداء الله ﷻ بل من حيث أنهم بشر. فكل الناس – إلى حين أن يموتوا ويتركوا الحياة الدنيا – لديهم القدرة أن يتغيروا وأن تصبح أنفسهم جميلة وبالتالي يمكن أن يصبحوا أشخاصاً جديرون بالحب. فكم من الكفار الأعداء دعا لهم رسول الله ﷺ فأصبحوا مهتدين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب على سبيل المثال: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**)) (رواه الترمذي رقم ٣٦٨١ وصححه في كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ.)فيقول الله ﷻ:

۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ (الممتحنة،٦٠ :٧).

وهذا يتفق مع تعريفنا للحب البشري: "مَيلٌ من بعد الإعجاب إلى الحُسن": فهناك إمكانية لحسن وجمال النفس في كل الناس إلا ما ندر وهو أمر يمكن إدراكه بوضوح. وهذا يوضح لِمَ كان سيدنا محمد ﷺ دائماً رحيماً قدر الإمكان تجاه أعدائه (وأعداء الله ﷻ)، حتى حين كان يحاول أن يدافع عن نفسه وعن المسلمين منهم. كما أن هذا يوضح جزئياً كيف أن الرسول ﷺ كان ... رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (الأنبياء،٢١: ١٠٧). على أيّ حال يمكننا القول أن رسول الله ﷺ لم يكره أحداً لأسباب شخصية وأن سنته كانت أن يحب كل الناس من حيث أنهم بشر ولكن ليس من حيث أنهم أعداء الله ﷻ (ويقاتلون ضدّ سبيل الله) والله أعلم.

فقط. وتأكيداً لهذا أشار الله ﷻ إلى أنه أرسل الرسول ﷺ رحمةً للعالمين:

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ (الأنبياء،٢١ :١٠٧)

وبطبيعة الحال كان الرسول ﷺ رحمة خاصة للذين آمنوا:

وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ (التوبة،٩ :٦١)

وكانت صلاته أيضاً سكناً للمؤمنين:

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ (التوبة،٩ :١٠٣)

وأمره الله ﷻ بالرأفة نحو المؤمنين:

لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر،١٥ :٨٨)

وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ (الشعراء،٢٦ :٢١٥)

وأشار الله ﷻ أنه رؤوف ورحيم بالمؤمنين:

لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ (التوبة،٩ :١٢٨)

فأشاد الله ﷻ بحنان قلب رسوله نحو المؤمنين:

فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران،٣ :١٥٩)

وكان الرسول ﷺ يَحنُّ على المؤمنين لدرجة أنه كان يستحيي منهم:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥٣)

فهذا الاستحياء من المؤمنين وتفضيلهم على نفسه الشريفة دليل قاطع على حب رسول الله ﷺ للمؤمنين، لأن الله ﷻ ربط الحب بالتفضيل على النفس ولو كان بها خصاصة:

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر،٥٩ :٩)

وهذا كله يدل على أن رسول الله ﷺ كان يحب المؤمنين بخاصة والناس جميعاً بعامة حباً عظيماً.

الباب الثالث: حب الإنسان

١٢. الباب الثالث؛ الفصل الأول:
حب الإنسان لله ﷻ

المطلب الأول: لِمَ يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ؟

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "الكون والحب") أنّ كل شيء يحب الله ﷻ. فيضاف إلى هذا الحب الطبيعيّ الفطري حبٌّ خاص من الإنسان لجمال الله ﷻ وأسمائه وصفاته. يقول الله ﷻ:

ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ (طه،٢٠ :٨)

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الاعراف،٧ :١٨٠)

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ (الاسراء،١٧ :١١٠)

فالحسن هو الجمال ولا بد للإنسان إذا أحب الجمال أن يحب الجمال المطلق الكامل الذي هو في صفات وأسماء الله ﷻ.

وكذلك من السهل والطبيعيّ للإنسان أن يحب الله ﷻ أيضاً لرحمة الله ﷻ عليه ولخلق الإنسان من رحمة الله ﷻ كما ذكرنا سابقاً (في فصل "الحب أصل الكون") ولفضل الله ﷻ وكرمه عليه كما ذكرنا سابقاً (في فصل "حب الله ﷻ للناس"). ونضيف إلى ذلك أنه من الطبيعيّ للإنسان أن يحب الله ﷻ لكل نِعَم الله ﷻ عليه، فالله ﷻ أسبغ على الإنسان نِعَمه ظاهرة

وباطنة:

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

(لقمان،٣١ :٢٠)

ولا بُدَّ للإنسان أن يحب الله ﷻ أيضاً لِلُطْفِهِ على عباده:

ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ (الشورى،٤٢ :١٩)

ولا بُدَّ للإنسان أن يحب الله ﷻ لأنه هو الودود:

وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود،١١ :٩٠)

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ (البروج،٨٥ :١٤)

وكما أنه لا بُدَّ للإنسان أن يحب الله ﷻ لمغفرته للإنسان وعفوه عنه وتوبته عليه لجميع ذنوبه ما دون الشرك:

نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ (الحجر،١٥ :٤٩)

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

(الاسراء،١٧ :٢٥)

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ (النصر،١١٠ :٣)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ (الرعد،١٣ :٦)

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ (الشورى،٤٢ :٢٥-٢٦)

وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ

صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ (التوبة،٩ :١٠٢-١٠٤)

وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ (آل عمران،٣ :١٣٣-١٣٦)

وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ (النساء،٤ :١١٠)

قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ (الزمر،٣٩ :٥٣-٥٥)

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (النساء،٤ :٤٨)

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ (النساء،٤ :١١٦)[٦٩]

---

٦٩ انظر أيضاً إلى آيات أخرى في هذا المعنى مثل: البقرة،٢ :٣٧ و١٦٠-١٦٢ و١٨٧ و٢٢١ و٢٦٨؛ النساء،٤ :١٧-١٨ و٢٨-٢٩ و٣١؛ الأنعام،٦ :١٦٥؛ الأنفال،٨ :٣٨؛ التوبة،٩ :٧٤ و١١٨؛ طه،٢٠ :٨٢؛ غافر،٤٠ :٣؛ الذاريات،٥١ :٥٠؛ النجم،٥٣ :٣٥؛ الحديد،٥٧

وإضافة إلى رحمة الله ﷻ للإنسان ومغفرته له لا بد للإنسان أن يحب الله ﷻ لأنه يجيب له دعواته:

وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ (يونس،١٠ :١٢)

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ (الانعام،٦ :٤١)

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ (النحل،١٦ :٥٣-٥٤)

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ (النمل،٢٧ :٦٢)

بل أكثر من ذلك، فإن الله ﷻ يطلب من الإنسان أن يدعوه لكي يعطيه. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ (النساء،٤ :٣٢)

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ (غافر،٤٠ :٦٠)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة،٢ :١٨٦)

:١٣؛ التحريم،٦٦ :٨، وهنالك آيات كثيرة أخرى في القرآن الكريم عن مغفرة الله ﷻ للإنسان لم نذكرها هنا.

ويلاحظ هنا قرب الله ﷻ من الإنسان. وذَكَرَ الله ﷻ هذا القرب أيضاً في الآية الكريمة:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ (ق،٥٠ :١٦)

وهذا القرب هو بالرغم من غنى الله ﷻ عن العالمين كلهم. يقول الله ﷻ:

فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ (آل عمران،٣ :٩٧)

وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ (العنكبوت،٢٩ :٦)

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ (ابراهيم،١٤ :٨)

إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ (الزمر،٣٩ :٧)

وهذا القرب هو بالرغم أيضاً من غنى الله ﷻ عن الناس وفقر الناس لله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ (فاطر،٣٥ :١٥)

هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ (محمد،٤٧ :٣٨)

لكن بالرغم من غنى الله ﷻ عن الناس وفقر الناس لله ﷻ فإن الله ﷻ يُجيب من كل دعوات الناس الصادقة. يقول الله ﷻ:

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ

لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ (إبراهيم،١٤ :٣٤)

فالله ﷻ يَعِدُ الإنسان الصالح الذي يدعوه حياة طيبة:

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ (النحل،١٦ :٩٧)

وأن ينجيه عند الكرب:

ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ (يونس،١٠ :١٠٣)

وأن ينصره:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ (الروم،٣٠ :٤٧)

فخلاصة الأمر هنا هي أن الإنسان يحب الله ﷻ لجماله ولِلنِعَم التي أنعم الله ﷻ بها على الإنسان مثل الرحمة والمغفرة والخير والفضل والاستجابة للدعاء. ومن صفات الله ﷻ الجمال المطلق والرحمة المطلقة والكرم المطلق وقد أنعم الله على الإنسان بِنِعَم لا تُعدّ ولا تُحصى والله يجيب دعاء الإنسان، فكيف لا يحب الإنسانُ الله ﷻ؟ يقول الله ﷻ:

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ (النحل،١٦ :٥٣)

*

المطلب الثاني: كيف يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ؟

لكل ما ذكرناه أعلاه فإن الله ﷻ لا يقبل من الإنسان عاطفة الحب فقط. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران،٣ :٣١)

فالله ﷻ يطلب من الإنسان – إذا كان يحب الله حقيقةً – أن يتّبع الرسول ﷺ. واتّباعه يعني أنه ينبغي للإنسان أن يحب الله ﷻ بكل وجدانه أو كيانه وبكل أعمالهِ كما رأينا:

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ (الأنعام،٦ :١٦١–١٦٤)

ولكي يصل الإنسان لهذه الدرجة من الحب المخلص والتفاني ينبغي له أن يتّبع الرسول ﷺ في **(أ)** أخلاقه وفي **(ب)** أعماله.

(أ) أما بالنسبة للأخلاق، فكما رأينا، كان الرسول ﷺ على خُلُق عظيم:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم،٦٨ :٤)

و"الخلق العظيم" يتضمن إتمام الفضائل التي يحبها الله ﷻ (وهي: التوكّل، الطهارة، التوبة المستمرة، القسط، والقتال في سبيله، والتقوى، والصبر، وخاصة الإحسان – كما رأينا سابقاً).

(ب) أما بالنسبة للعمل فخير العمل ذِكرُ الله ﷻ – لأنه ... وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ... (العنكبوت،٢٩ :٤٥) – وأسوة رسول الله ﷺ في العمل هي "رجاء الله" و"الذكر الكثير":

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢١)

فإذا اتّبع المؤمن الرسول ﷺ في أخلاقه وأعماله (وخاصة الذِكر الكثير) يُصبح من الذين يحبون الله حقيقةً وممن هم "أحبّ" إلى الله ﷻ. ولهذا أكد الله ﷻ أنّ أداء الصلاة من غير أن يُضَحِّي المؤمن من أجل الآخرين لا يكفي:

وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ (الإنسان،٧٦ :٨)

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ (الماعون،١٠٧ :١-٧)

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (البقرة،٢ :١٧٧)[٧٠]

---

[٧٠] قال فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير: "اختلفوا في أن الضمير في قوله: "عَلَىٰ حُبِّهِۦ" إلى ماذا يرجع؟ وذكروا فيه وجوهاً الأول: وهو قول الأكثرين أنه راجع إلى المال، والتقدير: وآتى المال على حب المال ... وهذا يتفق مع القول الثاني: أن الضمير يرجع إلى الإيتاء كأنه قيل: يعطي ويحب الإعطاء رغبة في ثواب الله ... القول الثالث: أن الضمير عائد على اسم الله تعالى، يعني يعطون المال على حب الله أي على طلب مرضاته ...." (فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد:٣، ص٥٢) . والقول الثالث في غاية الأهمية لأنه يؤكد أنه يجب أن يكون حبّ الله ﷻ هو القصد وراء كل الأفعال الخيّرة وأن النموذج لهذا هو سيدنا محمد ﷺ – كما ذكرنا سابقاً بالنسبة لـ(الأنعام، ٦: ١٦١-١٦٤) – والقول الثالث مهم أيضاً لأنه يوضح أن حب الله ﷻ ينطوي على فعل الخير تجاه الجار. وسنناقشه في الفصل السادس حين نتعرّض لقول الرسول ﷺ الذي أكّد على هذا حين قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن**

وعن هذه الآية الأخيرة جاء في تفسير الجلالين أن المقصود بـ "أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ" هو "في الصلاة"، والمقصود بـ "عَلَىٰ حُبِّهِۦ" هو "مع حبهِ للمال"[71]. وهذا المعنى واضح أيضاً في الآية الكريمة:

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

(آل عمران،٣ :٩٢)

فمن خلال اتّباع السنة بكيانه وعمله وبالذات من خلال الذِكر الكثير يبدأ المؤمن بحب الله ﷻ حقيقةً. وفي هذه الحالة يكون حب الله ﷻ وحب طاعة الله ﷻ أغلى عند المؤمن من كل ما على الأرض:

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

(التوبة،٩ :٢٤)

وفي هذه الحالة يسعى المؤمن إلى أن "يقوم" لله ﷻ كفرد أو مع شخص آخر، يقول الله ﷻ:

۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ (سبأ، ٣٤: ٤٦)

ثم "يفرّ" المؤمن إلى الله، يقول الله ﷻ:

عبدٌ حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه مسلم عن أنس بن مالك ﷺ، رقم ٤٥، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير. وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**». (رواه البخاري، رقم ١٣، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.)

٧١ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص٣٥.

فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ (الذاريات،٥١ :٥٠)

بعد ذلك يفرغ المؤمن من الشهوات الدنيوية ويرغب إلى الله ﷻ ويتبتّل إليه، يقول الله ﷻ:

فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ (الشرح،٩٤ :٧ – ٨)

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴿١٠﴾ (المزمل،٧٣ :٨ – ١٠)

فالهجر الجميل ليس الاستئذان من الناس بطريقة مؤدبة فحسب، بل يعني أن يكون المرء وحيداً مع الله ﷻ، وأن يتخذ الله وكيلاً بعد الصعوبات التي يواجهها الإنسان حين "ينصب"، وعلى شرط أن يتذكّر الله ﷻ بتبتّل؛ فتصبح هذه تجربة يستحيل وصف جمالها وعُجبها. هذا هو الجمال الحقيقي وهي الطريقة الحقيقية التي يكون فيها "الهجر الجميل": فالهجر جميل بسبب جمال المقصود بالهجرة. والله ﷻ هو "الجميل" وقد يُنعم الله ﷻ على المؤمن بأن "يرغب" إليه ﷻ أو أن يفهم جماله ﷻ أو أن يذوق نعمته ﷻ. فإذا أتى العبد إلى الله ﷻ فرداً وقد ترك كل شيء وكان معدوماً وبحاجةٍ فإن الله ﷻ "يجعل له ودّاً". يقول الله ﷻ:

إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مريم،١٩ :٩٣ – ٩٦)

وبالتأكيد فإن هذا صحيح في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ فالقرآن الكريم يقول لنا إن سيدنا يوسف ؑ قال إن السجن (حيث سيكون هناك وحده منقطعاً بحرية لعبادة الله ﷻ) "أحبّ" إليه من النساء الجميلات:

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف،١٢ :٣٣)

ولكن أوضح صورة في القرآن الكريم لجمال حب الله ﷻ وذِكره وعبادته تتمثّل في السيدة مريم العذراء عليها السلام التي أنعم الله ﷻ عليها بفاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف[٧٢] ورزقها "بغير حساب" نعمة منه حين كانت تتعبّد وحدها في المحراب وهي طفلة.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (آل عمران،٣ :٣٧)

بالطبع لا يُرزق كل مؤمن بتذوق نِعَم خارقة للطبيعة كالتي رُزقت بها السيدة مريم العذراء عليها السلام، ولكن كل مؤمن يمكنه بإذن من الله ﷻ أن يَشعر باطمئنان القلب والسكينة من خلال حب الله وذِكره وعبادته ﷻ، يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد،١٣ :٢٨)

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ (الفتح،٤٨ :٤؛ وانظر الفتح، ٤٨: ١٨ و٢٦ والتوبة، ٩: ٢٦)

فحين يتبتل العبد إلى ربه تبتيلاً يكون المؤمن راضياً تماماً بما آتاهُ الله

---

٧٢ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، صفحة ٣٦٣. وحتى حين رحلت السيدة مريم العذراء عليها السلام عن المحراب، ظلّ الله ﷻ يُنعم عليها كما سنرى في الآيات التالية (فلا أحد، ناهيك عن امرأة تعاني آلام المخاض، من القوة بمكان أن يهز شجرة نخيل لدرجة أن تتساقط ثمارها)، يقول الله ﷻ:

فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ (مريم،١٩: ٢٣ – ٢٥)

جَلَّ جَلَالُهُ. يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة،٩ :٥٩)

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ (الزمر،٣٩ :٣٦)

وهذه هي الحالة – والله أعلم – التي وصفها الله جَلَّ جَلَالُهُ بأنه اشترى فيها نفس المؤمن كاملة مقابل الجنة ومقابل "الفوز العظيم":

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (التوبة،٩ :١١١)

وفي هذه الحالة يكون المؤمن من الذين اتبعوا الرسول ﷺ لدرجة أنه أصبح "مع الرسول" ﷺ:

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ (الفتح،٤٨ :٢٩)

وفي هذه الحالة يستطيع المؤمن أن يحب الله "الحب الأشد" كما ينبغي للعبد أن يحب ربه. وهذا الحب لا يستطيع غير المؤمن أن يصل إليه أو إلى درجته "الأشد". فالله جَلَّ جَلَالُهُ قال:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ

حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

والله ﷻ لخّص هذا الحب كله في الآية الكريمة:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مريم،١٩ :٩٦)

والإيمان والعمل الصالح هما بالدرجة الأولى اتّباع الرسول ﷺ، وبعد اتباعه ﷺ يُكرِّم الرحمن عبده بـ"الود". ولا يستطيع أي عبد أن يصل إلى هذه الدرجة من الود من غير الإيمان والعمل الصالح لأن هذا "الود" "جعل رحماني" وليس عملاً بشرياً. فحب الإنسان لله ﷻ يبدأ كعاطفة، ومن خلال اتّباع الرسول ﷺ بالعمل الصالح وبالخُلق الحسن يُصبح جزءاً لا يتجزأ من نفس وكيان المؤمن. وفي هذه الحالة يفوز المؤمن بالجنة و"الفوز العظيم"، ويذوق حقيقة حب الله ﷻ الموصوف بـ"جعل رحماني". وهذا الحب أشدُ وأقوى من أي حب دنيوي آخر، وأشد وأقوى من أي حب يمكن لغير المؤمن أن يتذوّقه أو حتى يتخيّله. قال الله ﷻ:

... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

فلذلك علّمنا الرسول ﷺ الدعاء التالي:

«**اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد**»[٧٣].

وعلّمنا أيضاً الدعاء التالي:

«**اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زَوَيتَ عنِّي مما أحب فاجعله فراغاً لي**

٧٣ رواه الترمذي، رقم ٣٤٩٠، في كتاب الدعوات.

فيما تحب»[٧٤].

✵

المطلب الثالث: النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى الإنسان في حبّ الله ﷻ

يحذّر الله في القرآن الكريم من العبادة غير المخلصة:

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ (الأنفال، ٨: ٣٥)

وقال الرسول ﷺ: **"إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ :كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأن يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ**

---

٧٤ رواه الترمذي برقم (٣٤٩١) في كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد. وحسّنه.

جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. "[75]

ولهذا فعلينا أن نسأل: "ما الذي يجعل العبادة صادقة ومخلصة؟" و"ما الذي يجعل العبادة مقبولة عند الله ﷻ؟" فأي شيء يفعله الإنسان فإن الله ﷻ يعلم ما يدور في داخله:

أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ (هود،١١ :٥)

ثم إن الله ﷻ يحكم على الإنسان حسب ما في نفسه:

لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ (البقرة،٢: ٢٨٤)

فنوايا الإنسان الخفية هي التي ينظر إليها الله ﷻ في أي شيء يفعله:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ (الملك،٦٧: ١٢-١٤)

ولهذا السبب، يجب أن تكون عبادة الله ﷻ – وخاصة حب الله – مخلصة. يقول الله ﷻ:

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ (الزمر،٣٩ :٢-٣)

---

٧٥ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة، رقم ١٩٠٥.

قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ (الزمر،٣٩: ١٤)

فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ (غافر،٤٠: ١٤)

هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ (غافر، ٤٠: ٦٥)[٧٦]

وقال الرسول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[٧٧].

يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ:

وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ (النجم،٥٣: ٣٩-٤٠)

فعلينا أن نسأل: "ما هي النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى الإنسان عندما يقوم بالعبادة (وغيرها من الأفعال الصالحة) ليقبلها الله جَلَّ جَلَالُهُ؟" وبعبارة أخرى: "ما هي الدوافع والنوايا التي ليست مجرد عبث ونفاق؟" بالنسبة للحب – وهو أمر يشعر به الإنسان شخصياً وبالتالي يعرف أنه موجود (إلى حد ما على الأقل) – يصبح السؤال: "كيف يستطيع الإنسان الذي يحِب أن يعرف إن كان حبه صادقاً ومخلصاً، وبالتالي مقبولاً عند الله جَلَّ جَلَالُهُ؟" وبعبارة رابعة: "ما هي الدوافع والنوايا التي يجب أن تكون لدى الإنسان في حب الله جَلَّ جَلَالُهُ؟" الله جَلَّ جَلَالُهُ يجيب عن هذه الأسئلة عدّة مرات في القرآن الكريم:

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ

---

٧٦ انظر أيضاً: ٢: ١٣٩، ٤: ١٤٦، ٧: ٢٩، ١٠: ١٥، ٤٠، ٣٧: ٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠، ١٦٩، ٣٨: ٨٣ و٩٨: ٥.

٧٧ صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم ١؛ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، رقم ١٩٠٧.

رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ (الأعراف،٧: ٥٤ – ٥٨)

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ (السجدة،٣٢: ١٥ – ١٩)

أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ (الزمر،٣٩: ٩)

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ (الأنبياء،٢١: ٨٩ – ٩٠)

من الأشياء الملفتة في هذه السور الأربعة هي الطريقة التي تصف فيها الآيات أعلاه نفس الدوافع الثلاثة للعبادة المخلصة – وإن كانت من منظور مختلف في كلّ سورة. هذه الآيات تصف دافعَين بشكل واضح وصريح. وأما الدافع الثالث فهو مذكور بطريقة أقل مباشرة. فنرى أنه في الآيات المقتبسة

من سورة الأعراف، يقول الله ﷻ "خَوْفًا وَطَمَعًا" بعد "تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً"[٧٨]. وفي الآيات من سورة السجدة يذكر الله ﷻ الخوف والطمع: "خَوْفًا وَطَمَعًا". وفي الآيات من سورة الزمر يذكر الله ﷻ الحذر والرجاء، يقول الله ﷻ: "يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ"، (وبالتالي الخوف والرجاء). وفي الآيات من سورة الأنبياء والتي تصف سيدنا زكريا ﷺ وسيدنا يحيى ﷺ وزوجة سيدنا زكريا ﷺ وأم سيدنا يحيى ﷺ – واسمها (إليصابات) – يتعمق "الخوف" ليصير "رَهَبًا"، ويتعمق الرجاء ليصير "رَغَبًا".

أما الدافع الثالث فهو مذكور بطريقة خفيّة. ففي الآيات المقتبسة من سورة الأعراف يصف الله ﷻ بعض ظواهر الكون العظيمة ثم يسأل بشكل بلاغي إن لم يكن ذلك يقتضي ضمناً وبالضرورة أن الله ﷻ خلقها (وبالتالي) أن له سلطان على الخلق. ثم يذكر الله ﷻ كيف ينبغي للبشرية أن تعبده، ابتداءً بالتضرع والخفية، وهما حالتان تفرضهما معرفة الله ﷻ أو الوعي بعظمته على نفس الإنسان، وبالتالي الوعي بعظمة أن يكون الإنسان قادراً على أن يعبد الله ﷻ. ثم يذكر الله ﷻ الخوف والرجاء، وبعد ذلك يذكر ظواهر الكون ابتداءاً بـ "ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا" وانتهاءاً بالثمار. وهكذا فإن قبل العبادة توجد حقيقة الله ﷻ، ونراها من خلال خلقه، وبعد العبادة هناك

---

٧٨ كما يذكر الله ﷻ التضرع والخوف معاً في آخر آيتين من سورة الأعراف الكريمة: "وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً" ويقول: "وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ" ويحذّر من الاستكبار: "إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ"؛ (بهذه الطريقة يكون الإنسان واعياً ومحباً لله ﷻ) وإن انتهى التحذير بالإشارة إلى (الملائكة) "ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ".

وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ (الأعراف،٧: ٢٠٥ – ٢٠٦)

بشرى من ثمار خلقه. إذاً فالمعرفة تأتي قبل الخوف والرجاء وبعدهما ولكنها غير موصولة بهما.

وهذا يتضح أكثر في الآيات المقتبسة من سورة السجدة. فبعد ذِكر المؤمنين وخوفهم ورجائهم وجزائهم، يسأل الله ﷻ إذا يستوي المؤمنون والفاسقون ثم يقول لنا ﷻ إنهم لا يستوون. فالإيمان بالله ﷻ هو طريقة من طرق معرفة وجود الله ﷻ (حسب درجة اليقين والتنور التي وراء هذا الإيمان). والأفعال الصالحة هي برهان على الإيمان واليقين. لذا يذكر الله ﷻ جزاء الذين يؤمنون ويقومون بالأعمال الصالحة.

في الآيات المقتبسة من سورة الزمر تتضح العلاقة بين الخوف والرجاء والمعرفة أكثر: فيبدأ الله ﷻ بمقارنة المؤمن المخلص وحذره ورجائه؛ ثم نجد حذفاً بلاغياً (وهذا الحذف يعبّر عن أن أعمال غير المؤمنين عقيمة غير مثمرة) ، ثم يسأل الله ﷻ: "هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ"؟ وفي النهاية يقول الله ﷻ: "إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ". وهكذا فإن المعرفة متصلة بشكل واضح بالخوف والرجاء.

وفي الآيات المقتبسة من سورة الأنبياء والتي تصف حالة الأنبياء السامية، يتعمق الإيمان والمعرفة ليصبحا "الخشوع" أمام الله ﷻ: والإيمان الحقيقي بالله ومعرفته بشكل حقيقي يجلبان بالضرورة معرفة أن الإنسان لا شيء أمام الله ﷻ وبالتالي يخشع الإنسان أمامه ﷻ.

مما تقدم نقول إن الله ﷻ لا يقبل عبادة البشر له إلا بثلاثة دوافع أو نوايا فقط:

(١) أنهم يخافونه ويخافون أن يُعاقب آثامهم – وهذا الخوف يؤدي إلى الرهبة من الله ﷻ؛ (٢) أنهم يرجون الله ﷻ ويرجون أن يغفر لهم ذنوبهم – وهذا الرجاء يؤدي إلى الرَغَب وبالتالي إلى الحب لأنهم لا يستطيعون أن يرجوا

ويرغبوا إلا بما يحبونه؛ وكما سنرى إن شاء الله في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب"، فإن الطمع مرحلة من مراحل الحب والرغب نوع من أنواع الحب؛ (٣) أنهم يؤمنون بالله ﷻ أو يعرفونه. حين يعرف البشر ما هي البشرية ويعرفوا أن الله ﷻ هو الله فكيف لهم ألا يعبدوه ﷻ ويخشعوا أمامه؟

✵

فالخوف والرجاء والمعرفة هي النوايا التي يقبلها الله ﷻ للعبادة لأنها تحث وتؤثر على ملَكات النفس البشرية الرئيسية الثلاث والتي خلقها الله ﷻ لعبادته. وهذه الملَكات الثلاثة هي: الإرادة والعاطفة والعقل. وخُلِقَت الإرادة من أجل حرية الاختيار؛ وخُلقت العاطفة من أجل حب الخير والجمال، وخُلق العقل لاستيعاب الحقيقة. ونرى هذا في سورة الفاتحة الكريمة والتي قال عنها سيدنا محمد ﷺ إنها «**أعظم سورة في القرآن**»[٧٩] والتي في نصفها الثاني الدعاء التالي:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ (الفاتحة،١: ٥ -٧)

"إِيَّاكَ نَعْبُدُ": هذا دعاء ينبع من العبودية والحب. "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ": هذا دعاء ينبع من الخوف والإرادة. "ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ": هذا دعاء ينبع من حقيقة ومعرفة. والفاتحة يرددها المصلي في كل ركعة من كل صلاة من

---

٧٩ رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم ٤٤٧٤؛ ورواه البخاري أيضاً: في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، رقم ٥٠٠٦.

الصلوات الخمس – أي على الأقل سبعة عشرة مرة كل يوم من قِبَل كل مسلم ملتزم. ونصفها الثاني (أعلاه) هي جوهر الدعاء والصلاة البشرية. وبالتالي فإن إسنادها على العاطفة والإرادة والعقل ترينا أن الدوافع الوحيدة التي يقبلها الله ﷻ من البشر هي الخوف والحب (أو الرجاء) والمعرفة.

وسنرى لاحقاً إن شاء الله (في فصل "الوقوع في الحب") كيف أن الملَكات الثلاثة مرتبطة بالضرورة في الوقوع في الحب، وكيف تؤدي هذه الملَكات إلى مراحل معينة من الحب وهي تميل إلى المحبوب. وهذا بديهي لأنه في الحب الحقيقي كل شيء في القلب والنفس والعقل والإرادة أو القوة – الإنسان كله وملَكاته كلها – يجب أن يكون مرتبطاً ومتفاعلاً. ولكن هذا يعني أيضاً أنه لا يوجد حب حقيقي لله ﷻ من غير شيء من الخوف منه ﷻ، أو من غير بعض المعرفة به ﷻ. وبالطبع يمكن أن تكون نقطة البداية لعبادة الله ﷻ هي أي من الدوافع الثلاثة (أو أي اثنين منها)، ولكن حين تصبح عبادة الله ﷻ حباً حقيقياً راسخاً لله ﷻ، يجب أن يشمل ذلك الخوف والمعرفة. وهذا يشرح لنا لِمَ حب الله ﷻ (مع العاطفة) يعني اتباع الرسول ﷺ وطاعته (بالإرادة) وأن لا يكون المرء غير مؤمن (بالعقل). يقول الله ﷻ:

قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ (آل عمران،٣: ٣١ – ٣٢)

*

المطلب الرابع: حب ما يُذَكِّر بالله ﷻ

حب العبد لله ﷻ يتطلب – ويؤدي بالضرورة – إلى حب ما يُذَكِّر بالله ﷻ، وهذا يعني حب الرسول ﷺ (كما سنرى في فصل لاحق إن شاء الله)،

و(**أ**) حب الدين والعبادة بشكل عام، و(**ب**) حب الصلاة والذّكر بشكل خاص، و(**ج**) حب القرآن، و(**د**) حب الطبيعة، التي يرى العبد فيها أعمال ومخلوقات الله ﷻ، و(**هـ**) حتى حب القدر الذي يرى فيه العبد مشيئة الله ﷻ.

(**أ**) فأما بالنسبة لحب الدين والعبادة بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ (التوبة،٩ :٢٤)

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران،٣ :٣١)

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ (الحج،٢٢ :٣٢)

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ (الحج،٢٢ :٣٠)

(**ب**) وأما بالنسبة لحب الصلاة والذّكر بشكل خاص، فيقول الله ﷻ:

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢١)

ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ (العنكبوت،٢٩ :٤٥)

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ (الأنفال،٨ :٢)

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ (الأنعام،٦ :١٦٢)

وكما ذكرنا سابقاً، فقد قال الرسول ﷺ:

«**حُبب إليَّ من دنياكم [ثلاث] النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٨٠].

(ج) وأما بالنسبة لحب القرآن، فيقول الله ﷻ:

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الزمر،٣٩ :٢٢-٢٣)

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ (الأعراف،٧ :١٩٦)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ (الأنفال،٨ :٢)

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ (التوبة،٩ :١٢٤)

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ (النساء،٤ :١٦٥-١٦٦)

---

٨٠ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٣٩ و٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «**حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، ورواه أحمد ٣/ ١٢٨و١٩٩.

(د) وأما بالنسبة لحب الطبيعة التي يرى العبد فيها أعمال ومخلوقات الله ﷻ، فيقول الله ﷻ:

فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ (الروم،٣٠ :٥٠)

وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ (آل عمران،٣ :١٨٩-١٩١)

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ (يونس،١٠ :١٠١)

إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٤-١٦٥)

(انظر أيضاً إلى: الروم،٣٠ :٢٠-٢٧؛ الرحمن،٥٥ :١ -١٣).

فالطبيعة تُذَكِّر بخالِقها ولذلك فمن الطبيعي أن يحب العبد الطبيعة ويرى فيها آيات الله ﷻ كما يرى آيات الله ﷻ في نفسه. يقول الله ﷻ:

وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ (الذاريات،٥١ :٢٠-٢١)

سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ (فصلت،٤١ :٥٣)[٨١]

(هـ) وأما بالنسبة لحب القدر الذي يرى فيه العبد مشيئة الله ﷻ، فيقول الله ﷻ:

ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ (البقرة،٢ :١٥٦)

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة،٩ :٥٩)

وهذا كله لنقول إن حب الله ﷻ يوجب حب ما يؤدي الى الله ﷻ أيضاً، وذلك من باب التقدير والشكر والامتنان على الأقل.

---

[٨١] نلاحظ أن هذه الآيات في القرآن الكريم التي تُظهِر أن هناك نوع من التماثل (كالمرآة) بين آيات الله في الكون وآيات الله في البشر وبالتالي التماثل مع القرآن الكريم نفسه – الذي يسرد هذه الآيات – توحي أن الكون (الكون الأكبر) هو بمثابة انعكاس كوني ضخم للإنسان (الكون الأصغر). فالله يقول في القرآن الكريم: لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ (غافر،٤٠ :٥٧). وكلمة "أَكْبَرُ" قد تعني "أعظم" ولكن قد تعني أيضاً "أضخم" مما يوحي معنى "نفس الشيء ولكن أضخم"؛ أي أن "الإنسان كون صغير والكون هو إنسان كبير"؛ فالكون يُسمّى أحياناً "كتاب الله المنظور"؛ والإنسان يُسمّى "كتاب الله المقدور" والقرآن يُسمّى "كتاب الله المستور"، والله أعلم.

١٣. الباب الثالث؛ الفصل الثاني:
حب المؤمن للرسول ﷺ

كما ينبغي للإنسان أن يحب الله ﷻ لجماله ولنعمه ﷻ عليه، فينبغي للمؤمن أيضاً أن يحب الرسول ﷺ لجمال نفسه ﷺ ولاهتمامه بالمؤمنين وحبه لهم حسب ما رأينا في الفصل الحادي عشر ("حب الرسول ﷺ للمؤمنين"). ونستذكر هنا رأفة ورحمة الرسول ﷺ بالمؤمنين:

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة،٩ :١٢٨)

وهذه الرأفة والرحمة هي التي تجعل الرسول ﷺ يشفع للمؤمنين يوم القيامة أكثر من أي رسول آخر. هكذا جاء في تفسير "المقام المحمود" الذي أشار إليه الله ﷻ في الآية الكريمة:

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ (الإسراء،١٧ :٧٩)

فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن الإمام أحمد بن حنبل الحديث المعروف التالي في "المقام المحمود":

"حديث أنس بن مالك ؓ: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة، حدثنا قتادة، عن أنس ؓ، عن النبي ﷺ قال: **«يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيُلهَمون ذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فأراحنا من مكاننا هذا. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأَسجَد لك ملائكته، وعلمك أسماء كلّ شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحيي ربه ﷻ من ذلك، ويقول: ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، ويذكر**

خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن. فيأتونه فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى، عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني. فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني. ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه. فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يُعَلمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني. ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يُعَلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود في الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يُعَلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة. ثم أعود الرابعة فأقول: يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن». فحدثنا أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**فيخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّه، ثم يخرج من النار من قال "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة».** أخرجاه في الصحيح من حديث سعيد، به. وهكذا رواه الإمام أحمد، عن عفان، عن حماد بن سلمه، عن ثابت، عن أنس بطوله "[٨٢].

---

٨٢ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ١١٣١-١١٣٢.

✵

وإضافة إلى هذا الفضل للرسول ﷺ على المؤمنين، ينبغي للمؤمن أن يحب الرسول ﷺ أيضاً لجماله ﷺ الخُلُقي المشهود له من قِبل الله ﷻ:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم،٦٨ :٤)

فعدم حب – أو نقص حب – المؤمن للرسول يعني أن المؤمن لم يدرك جمال الرسول ﷺ الخُلُقي وفضائله التامة. وهذا بدوره يعني أن المؤمن لم يدرك ولم يفهم بشكل صحيح معنى وقيمة الخُلق الحَسَن والفضائل بشكل عام. وعلى هذا الحال يكون في نفس المؤمن عيباً وفي إيمانه نقصاً. قال رسول الله ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[٨٣].

وقال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان إن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»[٨٤].

والله ﷻ وضّح هذا الأمر في الآية الكريمة التالية:

ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ (الأحزاب،٣٣ :٦)

---

٨٣ رواه البخاري، كتاب الإيمان، رقم ١٥؛ ورواه مسلم، في كتاب الإيمان، رقم ٤٤.

٨٤ رواه البخاري، رقم ١٦، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ومسلم، رقم ٤٣، كتاب الإيمان، باب بيان خصالٍ من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ (التوبة،٩ :١٢٠)

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يحب الرسول ﷺ – الذي اكتملت الفضائل ومكارم الأخلاق في نفسه الشريفة – أكثر من حب المؤمن لنفسه المليئة بالعيوب والذنوب. فتوقير المؤمن للرسول ﷺ يعكس مدى فَهم المؤمن لحالة نفسه أمام الله ﷻ، وحين يبجّل المؤمنُ الرسول ﷺ فهذا يعكس مدى حب المؤمن للخير وبالتالي لله ﷻ والذي هو "البَّر" (انظر إلى سورة الطور، ٥٢: ٢٨)، وبالتالي فالله ﷻ هو مصدر الخير كله. وبعبارة أخرى فإن فهم وحب الرسول ﷺ هما الخطوة الأولى لفهم وحب الفضائل والخُلُق الحسن، لأن الرسول ﷺ كان يجسّد الإحسان ومكارم الأخلاق، وفهم وحب الفضائل هما الخطوة الأولى لممارسة الفضائل والتحلي بمكارم الأخلاق والخُلُق الحسن. وقال رسول الله ﷺ: "**بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" [٨٥].

❋

وحب المؤمن لرسول الله ﷺ بذاته قد لا يكون كافياً. فالله ﷻ أمر المؤمنين بأمر عظيم بدأ به بنفسه وثنّى بملائكته وهو الصلاة على النبي ﷺ، وخصّ المؤمنين بالصلاة والسلام عليه أيضاً:

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ

---

٨٥ رواه البيهقي، في السنن الكبرى، ١٠/ ١٩١ ؛ انظر أيضاً: أحمد ابن حنبل، في مسنده، ٢/ ٣٨١؛ الحاكم، في المستدرك، ٢/ ٦١٣.

تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥٦)

ومعلوم أن الحسنة بعشر أمثالها:

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ (الأنعام،٦ :١٦٠)

ولكن حسنة الصلاة على النبي ﷺ تُكَافَأ بعشر صلوات من الله ﷻ.

قال الرسول ﷺ:

«من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً»[86].

والصلاة المستمرة على النبي ﷺ تُكَافَأ بغفران جميع الذنوب:

"عن أُبي بن كعب ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: **«يا أيها الناس أذكروا الله أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه» قال أُبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت»، قال: قلت الربع؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قلت: النصف؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قال: قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذاً تُكْفَى همك ويُغفر لك ذنبك»**. "[87]

والصلاة المستمرة على النبي ﷺ تجعل المؤمن "مع" النبي ﷺ بِفكرهِ.

وعلى هذا الحال يكون كما جاء في الآية الكريمة:

مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ

---

٨٦ رواه مسلم، في صحيحه ، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ١/ ٣٠٦، رقم ٤٠٨.

٨٧ رواه الترمذي، كتاب صفة يوم القيامة، ٤/ ٦٣٦-٦٣٧، رقم ٢٤٥٧.

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ (الفتح،٤٨ :٢٩)

ففي حالة المعية مع النبي ﷺ لا يبتغي المؤمن مغفرة الله ﷻ فحسب، ولكن رضوان الله ﷻ أيضاً كما جاء في الآية أعلاه. وهذا من معاني قول رسول الله ﷺ:

«**أنت مع من أحببت**»[88].

لذلك ينبغي للمؤمن أن لا يتعدى أي حَدٍّ من حدود الأدب مع رسول الله ﷺ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ (الحجرات،٤٩ :١-٥)

فمحبة رسول الله ﷺ واحترامه والصلاة والسلام عليه امتحان عظيم لتقوى القلوب، كما توضح الجملة الكريمة: " أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ". فحب رسول الله ﷺ واجب ضروري على كل مؤمن وليس كعاطفة فقط ولكن كحالة فَهم لحقيقة رسول الله ﷺ وفضله على المؤمنين. ولهذا فالصلاة والسلام عليه واجبة أيضاً. وأكد الله ﷻ هذا الأمر، ولخّص مسألة حب رسول الله ﷺ أو على الأقل المودة له في الآية الكريمة:

---

٨٨ رواه البخاري، كتاب الأدب، رقم ٦١٦٧.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

(الشورى،٤٢ :٢٣)

اللهم صلِ على سيّدنا محمد وسلّم تسليماً كثيراً.

١٤. الباب الثالث: الفصل الثالث

حب قربى الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار

يقول الله ﷻ:

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ ۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ (الشورى، ٤٢ :٢٣)

وهذا يعني أمرين: (١) أنه يجب على قريش أن يحبوا رسول الله ﷺ بحكم قرابته ﷺ منهم، و (٢) أنه يجب على المؤمن أن يحب من هو من قرابة رسول الله ﷺ:

قال ابن كثير: "وقوله عز وجل "قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ" أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسئلكم على هذا البلاغ والنُصح لكم ما لا تُعطونيه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شرّكم عني وتذروني أبلّغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذني بما بيني وبينكم من القرابة ... ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متّبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين. وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بغَدِير خُمّ: "إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض"[٨٩].

---

٨٩ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ١٤٢.

وقال القرطبي بعد أن ذكر مثل قول ابن كثير: "وقيل: القربى قرابة الرسول ﷺ، أي لا أسألكم أجراً إلا أن تودّوا قرابتي وأهل بيتي، كما أمر بإعظامهم ذوي القربى. وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي"[٩٠].

وقال الفخر الرازي: "والحاصل أن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله ﷺ وحب أصحابه"[٩١].

فمن هم قربى[٩٢] رسول الله ﷺ ؟ هم درجات في القرآن الكريم:

(أ) أهل كساء رسول الله ﷺ (وهم علي كرّم الله وجهه وفاطمة الزهراء

---

٩٠ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن الكريم، ١٦/ ٢٠.

٩١ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣/ ٤٣٣.

٩٢ ومن الجدير بالذكر أن "القرابة" (ونقصد هنا علاقة الدم والرحم) لرسول الله ﷺ لا تعني "القربى" (ونقصد هنا ما جاء في آية الشورى،٤٢ :٢٣ كما هو مذكور أعلاه) منه بالضرورة، لأن الله ﷻ يقول:

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ (هود،١١ :٤٥-٤٦)

وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ (البقرة،٢ :١٢٤)

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ (فاطر،٣٥ :١٨)

ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا لهب وهو عم الرسول ﷺ (أخو أبيه) دخل النار بسبب كفره. يقول الله ﷻ:

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ (المسد،١١١ :١-٥)

فقربى رسول الله ﷺ هم قرابته في الرحم وفي الود والأخلاق والمقام أيضاً.

والحسن والحسين ﭭ جميعاً).

(ب) أهل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم زوجاته.

(ج) أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ (ومنهم زيد وأبو بكر ﭫ).

(د) الصحابة الذين هم "مع" رسول الله ﷺ.

(هـ) المهاجرون والأنصار.

(و) قريش بشكل عام.

(ز) العرب بشكل عام.

(ح) المؤمنون جميعاً (كما سنرى في فصل لاحق إن شاء الله).

(أ) فأما بالنسبة لأهل كساء رسول الله ﷺ (وهم علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ﭭ جميعاً، فيقول الله ﻷ:

فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ (آل عمران، ٣ :٦١)

وأهل الكساء هم في طبيعة الحال أهل بيت رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى.

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣ :٣٣)"[٩٣].

---

٩٣ رواه مسلم، ٢٤٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ " إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣ :٣٣) " فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**» **قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ:** «**أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ إِلَى خَيْرٍ**»[٩٤].

ويقول ﷻ في حق السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ (الكوثر، ١٠٨: ١-٣)

قال الفخر الرازي:

" القول الثالث: الكوثر أولاده قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلىء منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم "[٩٥].

وفي حق سيدنا علي كرم الله وجهه، يقول الله ﷻ:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ (المائدة، ٥ :٥٥-٥٦)

قال الفخر الرازي:

---

٩٤ رواه الترمذي، ٣٧٨٧، كتاب المناقب، باب أهل بيت النبي ﷺ.

٩٥ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣/ ٤٣٣.

في قوله ﷻ "وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ" قولان: الأول: أن المراد عامة المؤمنين، ... القول الثاني: أن المراد من هذه الآية شخص معين، وعلى هذا ففيه أقوال: روى عكرمة أن هذه الآية نزلت في أبي بكر ﷺ. والثاني: روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. روي أن عبدالله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع، فنحن نتولاه. وروي عن أبي ذر ﷺ أنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: الّلهم أشهد أني سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي ﷺ "[96].

وعن أبي الطفيل ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«من كنت مولاه فإن هذا مولاه – يعني علياً – ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه»[97].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال رسول الله ﷺ لعلي كرم الله وجهه:

«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي»[98].

ويقول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة، ٢٠٧:

---

٩٦ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤/ ٣٨٣.

٩٧ متواتر. رواه ابن حبان، ١٥/ ٣٧٦، وأحمد في المسند، ٤/ ٣٧٠، والنسائي في الخصائص، ٩٣، ورواه أحمد (عن اثني عشر رجلاً من الصحابة) ، ١/ ١١٩، ولذلك هو من الأحاديث المتواترة، كما نص على ذلك عدة من الحفاظ منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٨/ ٣٣٥.

٩٨ رواه البخاري، ٤٤١٦، كتاب المغازي. ومسلم، ٤٤١٦، كتاب فضائل الصحابة.

قال الفخر الرازي: "في سبب النزول روايات ... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن ابي طالب، بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار"[99].

وقال سيدنا رسول الله ﷺ في الحسن والحسين رضي الله عنهما:

«**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[100].

وبالنسبة للحسن والحسين رضي الله عنهما فقد اعتبرا "إبنا" رسول الله ﷺ في آية المباهلة" المذكورة فيما سبق (آل عمران،٣ :٦١) وهذا لا يتناقض مع كلام الله ﷻ (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤٠) لأنهما لم يكونا الحسن والحسين رجال (بل طفلَين) في تلك اللحظة والآية الشريفة تحدد "رِّجَالِكُم".

(**ب**) وأما بالنسبة لأهل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم زوجاته، فقد كرَّم الله ﷻ أهل بيت رسول الله ﷺ بذكرهم في كتابه العزيز، فقال الله ﷻ:

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ (طه،٢٠ :١٣٢)

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ (آل عمران، ٣ :١٢١)

وذكر الله ﷻ أنه يريد أن يُذهب الرجس عن أهل بيت رسول الله ﷺ. فقال ﷻ:

وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ

٩٩ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٣٥٠.

١٠٠ رواه أحمد في مسنده، ٥/ ٣٩١، والترمذي، ٣٧٦٨، كتاب المناقب، وقال: "حسن صحيح" باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. والحديث متواتر عند المحدثين.

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣ :٣٣)

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[١٠١].

وعن أبي جحيفة قال: قلت لعلي بن ابي طالب هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطِهُ رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر[١٠٢].

العقل: تعويض مالي مقدر شرعاً مقابل قتل أو جرح.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»[١٠٣].

ويقول بعض العلماء إن أزواجه ﷺ لسنَ من أهل البيت، وقد أثبت القرآن الكريم أنهن من أهل البيت، قال الله جل جلاله في زوجة إبراهيم عليه السلام:

قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ (هود، ١١ :٧٣)

وعلى أية حال فقد خصّ الله جل جلاله زوجات رسول الله ﷺ بأن جعلهن أمهات للمؤمنين، قال الله جل جلاله:

ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ

---

١٠١ رواه الترمذي، ٣٧٨٨، كتاب المناقب، باب أهل بيت النبي ﷺ. وهو في صحيح مسلم بلفظ قريب منه، ٢٤٠٨، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

١٠٢ رواه البخاري،١١١، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

١٠٣ رواه البخاري، ٣٧١٣، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ (الأحزاب،٣٣ :٦)

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب،٣٣ :٣٢-٣٣)

(ج) وأما بالنسبة لأقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ (ومنهم زيد وأبو بكر ﷺ)، فيقول الله ﷻ في زيد بن حارثة ﷺ (وهو الصحابي الوحيد المذكور في القرآن الكريم باسمه، وهو الذي أنعم الله ورسوله عليه):

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ (الأحزاب،٣٣ :٣٧)

وعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمّتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ[١٠٤].

وخصّ الله ﷻ أبا بكر الصديق ﷺ في معية الله وصحبة رسوله ﷺ في الآية الكريمة التالية:

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ

١٠٤ رواه البخاري، ٦٧٨٨، كتاب الحدود، ومسلم، ١٦٨٨، كتاب الحدود.

إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة،٩ :٤٠)

(د) وأما بالنسبة للصحابة الذين هم "مع" رسول الله ﷺ، فيقول الله ﷻ:

مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ (الفتح،٤٨ :٢٩)

كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (آل عمران،٣ :١١٠)

(هـ) وأما بالنسبة للمهاجرين والأنصار، فيقول الله ﷻ:

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التوبة،٩ :١٠٠)

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ (التوبة،٩ :١١٧)

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ (الأنفال،٨ :٧٤-٧٥)

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ (الحشر،٥٩ :٨-١٠)

(و) وأما بالنسبة لقريش بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ (قريش،١٠٦ :١-٤)

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢١٤)

بما أن قريشاً من سلالة سيدنا إبراهيم ؊ من إسماعيل ؊ الذي عاش في مكة قرب الكعبة وأقام الصلاة، فيمكن القول إن الله ﷻ جعل الناس يحبونهم – أو على الأقل جعل أفئدتهم تهوي إليهم – فالله ﷻ يذكر دعاء سيدنا إبراهيم ؊ (والذي استجاب الله ﷻ له):

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ

ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ (إبراهيم: ١٤: ٣٧)

وهذا ينطبق على كل المؤمنين من قريش (وأي مؤمنين آخرين ممن يعيشون هناك من سلالة سيدنا إسماعيل ﷷ)، ولكن ينطبق هذا بالدرجة الأولى على سيدنا محمد ﷺ وآل بيته.

(ز) وأما بالنسبة للعرب بشكل عام ، فيقول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

(التوبة،٩ :٩٩)

ولا يفوتنا أن نذكر هنا بأن القرآن الكريم أُنزل بلغة العرب[١٠٥].

(ح) وأما بالنسبة للمؤمنين جميعاً فسيأتي ما ورد فيهم في القرآن الكريم في فصل لاحق خاص إن شاء الله ﷻ.

والخلاصة هي أن القرآن الكريم أوجب حب أهل بيت رسول الله ﷺ وقرابته حسب الدرجات المتفاوتة التي ذكرناها آنفاً، فهذا الحب لذوي قربى رسول الله ﷺ واجب على كل من يحب رسول الله ﷺ، وبالتالي هو واجب على كل من يحب الله ﷻ.

ولهذا فإن الصلاة على أهل بيت رسول الله ﷺ جزء لا يتجزأ من صلاة المسلم:

فعن كعب بن عجرة سأل الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول

---

١٠٥ انظر إلى: النحل،١٦ :١٠٣؛ طه،٢٠ :١١٣؛ الزمر،٣٩ :٢٨؛ فصلت،٤١ :٣؛ الشورى،٤٢ :٧؛ الزخرف،٤٣ :٣؛ الأحقاف،٤٦ :١٢.

الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «**قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[١٠٦].

١٠٦ رواه البخاري، ٣٣٧٠، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم، ٤٠٦، كتاب الصلاة.

١٥. الباب الثالث؛ الفصل الرابع:
أثر حب الله ﷻ على الإنسان

هل يظهر أثر الإيمان بالله على عباده؟ نعم، لأن الإيمان بالله رحمة من الله[١٠٧]. يقول الله ﷻ:

فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ (الروم،٣٠ :٥٠)

هذه هي الآية الوحيدة التي ذكر الله ﷻ فيها "آثار رحمته"، ويلاحظ أن الله ﷻ ذكر كلمة "فَٱنظُرۡ": وهذا يعني أن أثر رحمة الله سيُرى بإذن الله. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ وصفَ الإيمان المخلص به بكلمة "صِبۡغَةَ". يقول الله ﷻ:

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ (البقرة،٢ :١٣٦-١٣٨)

---

١٠٧ الإيمان رحمة من الله، لأنه لا يؤمن أحد إلا بإذن الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس،١٠ :١٠٠)

وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴿١١١﴾ (الأنعام،٦ :١١١)

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ (الإنسان،٧٦ :٢٩-٣١)

وجاء في تفسر الجلالين: "(صِبۡغَةَ ٱللَّهِ) مصدر مؤكد لـ (ءَامَنَّا) ونصبه بفعل مقدَّر، أي صبغنا الله، والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه، كالصبغ في الثوب"[108].

ووصف الله ﷻ في القرآن الكريم علامات وسِمات وحالة المؤمنين وصفاً دقيقاً وجميلاً في عدة آيات. يقول الله ﷻ:

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ (المؤمنون،٢٣ :١-١١)

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٢ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝٦٣ (المؤمنون،٢٣ :٥٧-٦٣)

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝٣٢ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ۝٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ

---

١٠٨ تفسير الجلالين، ص٢٨.

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ (الحج،٢٢ :٣٢-٣٥)

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

(الأنفال،٨ :٢-٤)

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ (التوبة،٩ :٧٢)

هل كل مؤمن يُحب الله؟ وبالتالي هل علامات وسمات الإيمان هي نفس علامات وسمات حب الله للعبد وعلامات وسمات حب العبد لله؟ يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مريم،١٩ :٩٦)

هذه الآية الكريمة تدل على أن كل مؤمن يعمل صالحاً له شيء من الحب، وهو "الود". وهذا يعني أن علامات وسمات الإيمان المخلص تدل أيضاً على أثر شيء من حب الله للعبد وحب العبد لله. لكن يبدو أن الحب الخالص لله ﷻ يقتضي شيئاً أكثر من الإيمان والعمل الصالح وحدهما. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران،٣ :٣١)

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله ﷻ المؤمنين[١٠٩] بكلمة "إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ

---

١٠٩ الآيات التي قبل هذه الآية الكريمة تدل على أن الخطاب في هذه الآية (آل عمران،٣ :٣١) هو خطاب للمؤمنين بشكل خاص. يقول الله ﷻ:

ٱللَّهَ "، فهذا يعني أنه ربما لا يصل المؤمنون إلى حب الله بشكل تام بمجرد إيمانهم: فكلمة "إن" تعني هنا احتمالين، إما أن تكون حالة ما، وإما أن لا تكون تلك الحالة. ولكن كما رأينا سابقاً هذا لا يعني أن المؤمنين ليس لديهم حبٌ لله أصلاً، فهم لديهم حبٌ لله ﷻ ولكن لم يصلوا في البداية بعد إلى الدرجات العليا الكاملة من الحب. وإنما من خلال اتباعهم لرسول الله ﷺ فإن حبهم لله يزداد ويزداد إلى أن يحببهم الله. فوصف الله ﷻ رجاء[110] رسول الله ﷺ لله ﷻ بأنه "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" للمؤمنين في الآية الكريمة التالية:

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢١)

ويؤكّد كل ما ذكرناه سابقاً الحديث القدسي المشهور ("حديث

لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ (آل عمران،٣ :٢٨-٣٠)

ويؤكد الفخر الرازي أن هذا الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين، حيث يقول: "إنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله تعالى، ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس .... ولفظ العباد في القرآن، قال تعالى (وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا) (الفرقان،٢٥ :٦٣)، وقال تعالى: (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ) (الإنسان،٧٦ :٦) فكان المعنى: أنه لما ذكر وعيد الكفار والفسَّاق ذكر وعد أهل الطاعة فقال: والله رؤوف بالعباد، أي كما هو منتقم من الفُسَّاق فهو رؤوف بالمطيعين والمحسنين". (فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المجلد:٣، ص١٩١-١٩٧).

١١٠ والرجاء نوع من أنواع الحب كما سنرى لاحقاً إن شاء الله في حديثنا عن "أنواع الحب".

النوافل") حيث بيَّن هذا الحديث القدسي أن حب العبد لله وحب الله للعبد يزداد تدريجياً:

عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأن أكره مساءته»[111].

❋

ذكر الله في القرآن الكريم صفات الذين يُحبهم ويحبونه حباً كاملاً وصفاً دقيقاً في قوله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ (المائدة،٥ :٥٤)

يلاحظ في هذه الآية الكريمة أنه يوجد أربع صفات للذين "يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ " وهي:

(أ) " أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ "،

(ب) " أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ "،

---

١١١ رواه البخاري، رقم ٦٠٢ه، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(ج) "يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ"،

(د) "وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ".

(أ) أما بالنسبة للوصف الأول "أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ"، فإن الله بيَّن معنى وأهمية هذه الخصلة النبيلة في آيات أخرى (وبالتالي من خلال "التفسير بالتفسير"). فإن من التذلُّل للمؤمنين الرحمة لهم، ومعية رسول الله في السجود لله، وابتغاء رضوان الله، بحيث يصبح كالزرع الذي يؤتي ثماره:

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ (الفتح،٤٨ :٢٩)

ومن التذلّل للمؤمنين أيضاً إيثار المؤمنين على النفس وعلى الحاجات. يقول الله ﷻ:

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر،٥٩ :٩)

وهذا الإيثار يجعل المؤمن راضياً بنصيبه بغض النظر عن نصيب الآخرين. يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة،٩ :٥٩)

وهذا الإيثار يجعل المؤمن قادراً أيضاً على إيتاء "ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ"[112].

يقول الله ﷻ:

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (البقرة،٢ :١٧٧)

فهذا يؤدي إلى البرّ كله[113]، لأن البرّ يتطلب التقوى والإنفاق مما نحبه.

---

١١٢ قال فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير: "التقدير: وآتي المال على حب المال، قال ابن عباس وابن مسعود ﷺ: وهو أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر، ولا تُمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا ...". (فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد:٢، ص٢١٥).

١١٣ ذكر الله ﷻ في سورة الواقعة أصحاب اليمين والمقربين ووصف المقربين بأنهم يشربون من كأس من معين، ولم يصف أصحاب اليمين بذلك فقال: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ (الواقعة،٥٦ :١٧-١٨).

أما في سورة المطففين فقد ذكر الله الأبرار والمقربين ووصف الأبرار بأنهم يشربون من عين من تسنيم، والتسنيم هو شراب المقربين في الجنة. وأما الأبرار فوصفهم الله في هذه السورة بأنهم يُسقَون من رحيق مختوم ممزوج – أي مخلوط – من تسنيم، وليس تسنيماً صرفاً. قال الله ﷻ:

كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ (المطففين،٨٣ :١٨-٢٨).

يقول الله ﷻ:

... وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ... (البقرة،٢ :١٨٩)

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

(آل عمران،٣ :٩٢)

فَمِن حب الله ﷻ – وبالتالي من التذلل للمؤمنين – إيثارهم على النفس وإعطاؤهم وتفضيلهم وتكريمهم بالمال وبالنية، لأن الله ﷻ كما ذكرنا آنفاً يقول:

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر،٥٩ :٩)

فهذا يُفسر أيضاً لماذا يأتي مع حب الله ﷻ الرفق بالناس.

عن جرير بن عبد الله قال رسول الله ﷺ:

«**إذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق**»[١١٤].

وفي هذه الحالة فإن الله ﷻ يُحب العبد ويجعل لعبده الذي يُحبه قبولاً عند سائر الناس.

فإنه يتبيَّن لنا من هذه الآيات أن هناك ثلاثة أصناف من أهل الجنة وهم: "أصحاب اليمين"، و"الأبرار"، و"المقربون"، وأعلاهم درجة هم "المقربون"، وأدناهم "أصحاب اليمين"، والأبرار أدنى من المقربين وأعلى من أصحاب اليمين، أي أنهم بين الدرجتين.

فأما بالنسبة للذين قال الله ﷻ فيهم "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ" فقد نالوا البر كله كما ذكرنا أعلاه، فهذا يعني أنهم على الأقل من الأبرار وأعلى من أصحاب اليمين. وسنبحث في نهاية هذا الفصل إن شاء الله ﷻ قضية هل الذين قال الله ﷻ فيهم "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ" من المقربين، وبالتالي هل هم من أولياء الله الصالحين؟

١١٤ رواه الطبراني ورجاله ثقات، كما قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رقم ١٨/٨.

عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض»[115].

(**ب**) وأما وصف "أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ"، فإن الله ﷻ بيَّن معناه أيضاً في الآية الكريمة:

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ (الفتح،٤٨ :٢٩)

كما بيَّن الله ﷻ الغلظة التي تقتضيها العزّة على الكافرين. يقول الله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ (التوبة،٩ :١٢٣)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ (التحريم،٦٦ :٩)

(**ج**) وأما بالنسبة لوصف "يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"، فإن الله ذكَر الجهاد في آيات كثيرة.

---

١١٥ رواه البخاري، رقم٦٠٤٠، كتاب الأدب.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ (التوبة،٩ :٣٨)

وقد بيَّن الله علاقة الجهاد بالحب بصورة واضحة في الآيات الكريمة التالية: يقول الله ﷻ:

قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

(التوبة،٩ :٢٤)

لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (التوبة، ٩: ٩١ – ٩٢)

في الآية الأولى نرى حب كل شيء في الدنيا مقابل حب الله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيل الله ﷻ. أما في الآيات المقتبسة بعدها، يذكر الله ﷻ الصحابة الذين منعهم الفقر من أن يجدوا دواباً يركبونها ليحاربوا وقد بكوا من شدة محبتهم لله ولرسوله ﷺ وللجهاد في سبيل الله ﷻ. ومن خلال الإعجاز القرآني تبين بعبارات موجزة بليغة أن القرآن الكريم أوضح في قوله ﷻ: "أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ" و"يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ" بعض صفات الحب: حب الله ﷻ الذي يتجلى في الجهاد في سبيل الله ومعارضة ما يعارض

الله ﷻ.ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن الجهاد نوعان: الجهاد بالقرآن الكريم[١١٦] جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر[١١٧]، والجهاد ضد المعتدين من الكافرين وهو الجهاد الأصغر:

فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ (الفرقان،٢٥ :٥٢)

فهذا يعني أن وصف "تُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ" يتضمّن معنى الجهاد المستمر لإصلاح النفس، وبينما يكون الجهاد ضد الكافرين في أوقات معينة تحت ظروف معيّنة، الجهاد لإصلاح النفس لا حد له ولا نهاية حتى الموت، فلا يتوقّف ولا ينقطع لحظة واحدة في الحياة. فالله ﷻ حذر من ترك هذا الجهاد. يقول الله ﷻ:

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ (الزخرف،٤٣ :٣٦)[١١٨]

---

١١٦ قال الطبري: "ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهاداً كبيراً". (الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٩/ ٣٩٨).

وقال ابن كثير في تفسيره: "وجاهدهم به، يعني بالقرآن، قاله ابن عباس رضي الله عنهما" (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص١٣٦٠).

١١٧ عن جابر ﷺ قال: قَدِمَ النبي ﷺ من غَزاةٍ له فقال لهم:

«قدمتم خير مَقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله، قال: «مجاهدة العبد هواه». (رواه البيهقي وقال: وهذا فيه ضعف وذلك في كتاب الزهد الكبير، ص١٦٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ١٣/ ٥٢٣).

وعن فضالة بن عبيد قال رسول الله ﷺ: **«المجاهد من جاهد نفسه»**. رواه الترمذي (١٦٢١) في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً ، وقال : وحديث فضالة حديث حسن صحيح . وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٨٤) وغيرهما.

١١٨ من الجدير بالذكر أن الله ﷻ يحمي المؤمن الذي يحبه ويجاهد في سبيله من الدنيا بالرغم من خطورة جهاده. فعن قتادة بن النعمان قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء». (رواه الترمذي وحسَّنه، رقم ٢٠٣٦، كتاب الطب).

(د) وأما بالنسبة لوصف "وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ"، فهي تدل على الإخلاص لله ﷻ وعدم الالتفات إلى ما دون الله ﷻ. فيقول الله ﷻ:

وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ (الأنعام،٦ :٥٢)

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ (الكهف،١٨ :٢٨)

فهذا هو حال المخلصين الذين لا يلتفتون لغير الله ﷻ: يدعون الله بالغدو والآصال، ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ (آل عمران،٣ :١٩١)[١١٩]

ولهذا فإن رسول الله ﷺ وصف حال المخلصين الذين ... "لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ" بقوله ﷺ:

«**أكثروا ذِكر الله حتى يقولوا مجنون**»[١٢٠].

فهذا هو حال الذين يُحبهم الله ويحبونه، فهم: "أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ". وهم المؤمنون الأبرار الذين يتواضعون ويتذلّلون للمؤمنين ويعتزّون بإيمانهم أمام الكافرين،

---

١١٩ يقول الله ﷻ أيضاً: "فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾" (النساء،٤ :١٠٣)

١٢٠ رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري، مجلد:٣ ،ص٩٩.

ويجاهدون جهاداً مستمراً ضد النفس بإخلاص ولا يلتفتون إلى ما دون الله[121]. وبالإمكان أن نعرفهم من خلال هذه الصفات. لأن الله ﷻ قال: "... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ...".

✵

قال الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة٥: ٥٤)

وفي الخلاصة فإنه يوجد في الأوصاف الأربعة المذكورة في الآية الكريمة خلاصة دقيقة عن كل ما يمكن أن يقال في الذين يحبهم الله ويحبونه كما ذكرنا سابقاً. ويوجد في هذه الآية أيضاً مُجمل ما قاله الله ﷻ في القرآن الكريم في الذين يحبهم الله ويحبونه كما رأينا في حديثنا هذا كله. وهذه الأوصاف لا بد لها من أن تظهر كخصال يمكن تمييزها لأنهم مستغرقون في حب الله ﷻ، فحتماً ستكون هذه الخصال ظاهرة متجلية.

✵

١٢١ ولهذا وصف رسول الله ﷺ حلاوة الإيمان بقوله فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله عز وجل، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار». (رواه البخاري، رقم٢١، كتاب الإيمان).

مسألة: هل الذين قال الله ﷻ فيهم "... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ..." يعتبرون من "أولياء الله"؟ فإن كان الجواب نعم، فما الدليل على ذلك؟

وصف الله ﷻ أولياءه في قوله ﷻ:

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ (يونس،١٠ :٦٢-٦٥)

فأولياء الله ﷻ هم الذين "لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" وبالتالي فإن الله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: "وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا". فنفهم من ذلك أن الرسول ﷺ هو سيد أولياء الله الذين لا يحزنون[١٢٢]، وأنه سيد الذين هم أعزّة على الكفار، لأن العزّة لله وبالتالي لرسوله:

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (المنافقون،٦٣ :٨)

فهذا يعني أنه يوجد تطابق ما بين "أولياء الله" وبين الذين قال الله فيهم ﷻ "... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...": فكلاهما لا يخافون وكلاهما أعزة على الكافرين بعزة الله ﷻ. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ ذكر تعريفاً آخر لأوليائه

---

١٢٢ عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ:

«**أنا سيد الناس يوم القيامة ...**». (رواه البخاري، رقم ٤٧١٢، كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح، ورواه مسلم، رقم ١٩٤، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزله فيها). وفي رواية أخرى:

«**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ... آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر**». (مسند أحمد، ١/ ٢٨١، وصحيح ابن حبان، ١٤/ ٣٩٨).

بقوله ﷻ:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ (الجمعة،٦٢ :٦-٧)

فهاتان الآيتان تدلان على أن ولي الله هو من يتمنى الموت[١٢٣]، لأنه مطمئن لأعماله. وبيَّن الله ﷻ في هذا التعريف حالة أوليائه (وحالة مَن هم

---

١٢٣ هنالك شيء في الإنسان يستطيع أن يتمنى الموت صدقاً. يقول الله ﷻ:

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝١٤٣﴾ (آل عمران،٣ :١٤٣)

وهنالك مثل واقعي لهذا في سيرة رسول الله ﷺ في قصة عمير ابن الحمام الأنصاري:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ... [في بداية معركة أحد]:

«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، قال عمير ابن الحُمام الأنصاري يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قَرَنِه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فَرَمى بما كان من التمر ثم قاتلهم حتى قتل». (رواه مسلم، رقم١٩٠١، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد).

لكن جاء في حديث آخر أنه يوجد في الإنسان شيء آخر يكره الموت:

قال رسول الله ﷺ:

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قيل يا رسول الله: كراهية لقاء الله في كراهية لقاء الموت، فكلنا يكره الموت، قال: «لا، إنما ذاك عند موته إذا بُشر برحمة الله ومغفرته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإذا بُشر بعذاب الله كره لقاء الله وكره الله لقاءه». (رواه مسلم، رقم ٢٦٨٥، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله، وهذا لفظ ابن ماجه، رقم ٤٢٦٤، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له).

فنقول ربما يكون في الإنسان عنصران: أحدهما من طبيعته يَكْره الموت دوماً، والآخر يحب الموت ويتمناه (إذا كان الإنسان من الأولياء الصالحين)، وربما يكون العنصر الأول هو النفس والثاني هو الروح، والله أعلم.

ليسوا بأوليائه) في قوله ﷻ:

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

(البقرة،٢ :٩٤-٩٦)[١٢٤]

وكذلك بيّن الله ﷻ حالة الإخلاص عند بعض عباده، إذ ينتظر الموت من غير تأثير إذ قال الله ﷻ:

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢٣)

فهذا هو حال أولياء الله يفضّلون لقاء الله ﷻ والآخرة على الدنيا بسبب إيمانهم وأعمالهم ولا يبدلون عن ذلك تبديلاً. وهذا الوصف ربما ينطبق على بعض الذين قال الله ﷻ فيهم "... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ..."، لأنه جاء في الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ:

((من أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه))[١٢٥].

---

١٢٤ وربما يكون في الآيات الكريمة التالية إشارة أيضاً إلى الأولياء:

فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ (النساء،٤ :٧٤)

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (التوبة،٩ :١١١)

١٢٥ رواه البخاري، رقم٦٥٠٧، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله عز وجل، ورواه مسلم، رقم٢٦٨٣، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله.

فخلاصة القول هنا هو أنه إن لم يكن التطابق كاملاً بين أولياء الله ومن قال فيهم "... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ..."، فإن درجة الحب التي وصفها الله بكلمته "... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ..." هي درجة قريبة من درجة أولياء الله الصالحين، والله أعلم.

✵

١٦. الباب الثالث؛ الفصل الخامس:

الحب العائلي

وصَفَ الله ﷻ وحدّد ونظّم العلاقات والحقوق العائلية[١٢٦] والحب العائلي بين الأقارب في آيات كثيرة من القرآن الكريم. وكل هذه العلاقات والحقوق والحب يمكن أن توصف بمبدءٍ عام واحد وهو " ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ":

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ (الشورى،٤٢ :٢٣)

وسبب هذا المبدأ – والله أعلم – هو أنّ "أُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ":

ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ

---

١٢٦ ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ جعل تشريعاً للـ "الأهل":

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ (النساء،٤ :٢٥)

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ (النساء،٤ :٣٥)

كما أن الله ﷻ أشار إلى حقوق القريب بشكل عام:

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ (الإسراء،١٧ :٢٦-٢٧)

أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ (الأحزاب،٣٣ :٦)

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ (الأنفال،٨ :٧٥)

لكن جعل الله ﷻ القرابة في الأرحام درجات مختلفة، وحدّد وكرّمَ هذه الدرجات بتسميتهم في الآيات الكريمة التالية:

وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء،٤ :٢٢-٢٤)

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور،٢٤ :٣١)

لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦١﴾ (النور،٢٤ :٦١)

و أعطى الله ﷻ حقوقاً لمن كانوا في درجة مطلق القرابة:

لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (البقرة،٢ :١٧٧)

يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾ (البقرة،٢ :٢١٥)

وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ (الإسراء،١٧ :٢٦-٢٨)

أما بالنسبة للأقارب الأقربين، فالله ﷻ ثبَّت ووطَّد حتى قرابة النسب والمصاهرة:

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ (الفرقان،٢٥ :٥٤)

فالزواج – الذي هو أصل وسبب قربة النسب والمصاهرة – يجعل بنين وحَفَدة، وبالتالي درجة مباشرة من القُربى:

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ (النحل،١٦ :٧٢)

وخَصَّ الله ﷻ الأولاد – الذكور منهم والإناث – بالذِكر في القرآن الكريم، وأكدَ أنهم هبة منه:

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

(الشورى،٤٢ :٤٩-٥٠)

وبطبيعة الحال جعل للأولاد حقوقاً على آبائهم:

وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ (البقرة،٢ :٢٣٣)[١٢٧]

ومن أجمل أوصاف المحبة المشروعة بين الأولاد والآباء هي كلمة "طَوَّٰفُونَ" في الآية التالية التي تشير إلى الخدمة والمحبة المتبادلة بينهم، ولذة القُرب، والتي تُذّكرنا بمحبة الحاج وطوافه حول الكعبة المشرفة وهي بيت الله العتيق:

١٢٧ انظر أيضاً إلى: الأنعام،٦ :١٤٠؛ الأنعام،٦ :١٥١؛ الأنفال،٨ :٣١؛ الممتحنة،٦٠ :١٢؛ التكوير،٨١ :٨-٩.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ (النور،٢٤ :٥٨)

يقول ابن كثير في تفسيره، لهذه الآية:

" ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ عليكم، أي: في الخدمة وغير ذلك، ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم؛ ولهذا رَوى الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أنّ رسول الله ﷺ قال في الهرَّة:

«**إنها ليست بنجس؛ إنها من الطوافين عليكم والطوافات**». "[١٢٨]

وكما خَصَّ الله ﷻ الأولاد بالذِّكر في القرآن الكريم، خَصَّ الآباء أيضاً وأمر بتكريمهم:

وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء،٤ :٣٦)

ويُنْبِئُنَا الله ﷻ أنّ هذا التخصيص والتكريم كان موجوداً أيضاً في التوراة:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ

---

١٢٨ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ١٣٤٥.

تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ (البقرة،٢ :٨٣)

وعلّم الله ﷻ المؤمنين أجمل دعاء للوالدين:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ (الإسراء،١٧ :٢٣-٢٥)

وفي هذا الدعاء "وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا" يُذكّر الله ﷻ المؤمنين برحمة آبائهم عليهم – مهما كان التقصير في الجزئيات – لأن كل إنسان حي إنما يحيى بفضل الله ﷻ ورحمته ثم برحمةٍ من آبائه، لأن كل مولود ما كان ليحيى لولا أن ربّاهُ أبواهُ ورحماهُ وهو صغير، بدءاً من أمه التي غذتهُ من جسمها وولدته بصعوبة. ولذلك مَيَّز الله ﷻ الأم على الأب في الآيات التالية:

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ (لقمان،٣١ :١٤-١٥)

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ

أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ (الأحقاف،٤٦ :١٥-١٨) [١٢٩]

و"دعاء بلوغ الأربعين" – وهو سِن "أَشُدَّهُۥ" وهذا يعني أن "كمال قوته وعقله ورأيه" [١٣٠] – الذي يجمع فيه بين المحبة والعرفان للآباء والمحبة والأمل للأولاد، كما ينبغي. والله ﷻ ينبهنا في آية أخرى على أننا لا ندري أياً منهم أقرب لنا نفعاً:

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ (النساء،٤ :١١)

فالله ﷻ جعل لكل منهم حقوقاً ومكانة، وجعل أهمية هذه الحقوق والمكانة مباشرة بعد حقه (بعدم الشرك به)، وفوق أي حق آخر، الأمر الذي

---

١٢٩ ولذلك فقد جاء في الحديث ما يلي:

عن أبي هريرة قال: قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة، قال: «**أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك**». (رواه مسلم، ٢٥٤٨، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق به). وفي رواية أخرى: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي قال:

«**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**». (رواه البخاري، ٥٩٧١، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة).

١٣٠ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٦٦٨.

يدل على أهمية حب الوالدين والأولاد عند الله[131] ﷻ. يقول الله ﷻ:

قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ (الأنعام،٦ :١٥١)

✵

كما أمر الله ﷻ بمحبة الوالدين واحترام حقوقهما، وحذّر الله ﷻ مبيناً أن هذه الحقوق تنتهي عند حقوقِه هو ﷻ. وحقه الأول على العبد هو أن لا يُشرك به. فحذر ﷻ المؤمن من خطورة احترام الوالدين إلى درجة أن يُطيعَهما في أن يُشرك بالله ﷻ:

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (العنكبوت،٢٩ :٨)

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ

---

[131] من المُلفِت أن حب الأقارب حسب درجة قرابتهم لنا – إن لم يكن يعني حبهم حسب جمالهم (الداخلي) الذي يظهرونه لنا (ظاهرياً على الأقل) فبالتأكيد – سيكون حسب معرفتنا نحن بجمالهم الداخلي، لأننا نعرف الأقرب إلينا بشكل أفضل. وبعبارة أخرى فإننا نحب الجمال والخير حتى في الحب العائلي: فبشكل عام نحن نحب الأقرب إلينا أكثر من غيرهم لأنهم يظهرون لنا الحب والخير بشكل أكبر (أو من المفترض أن يكون ذلك هو الحال بشكل عام).

مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ (لقمان،٣١ :١٤-١٥)

وبالتالي وضَّحَ الله ﷻ أنه يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ أكثر مما يُحب أي شيء آخر في الدنيا حتى الوالدين:

قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

(التوبة،٩ :٢٤)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (النساء،٤ :١٣٥)

وبطبيعة الحال إذا كان الوالدان مشركين فمن الصعب للمؤمن أن يحبهما محبة صادقة بالرغم من أفضالهما عليه:

لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(المجادلة،٥٨ :٢٢)

ولهذا وضَّحَ الله ﷻ أن استغفار إبراهيم ؑ الأواه والحليم لأبيهِ كان من الوفاء وليس من الحب للمشركين:

وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ (التوبة،٩ :١١٤)

❋

ربما يكون في الاحترام الزائد للوالدين ومحبتهما الزائدة خطر على حق الله ﷻ (بالشرك به)، فربما الخطر الذي يأتي من محبة الأولاد غير ذلك. فربما يأتي الخطر من المحبة الزائدة لهم والتباهي بهم بروحٍ دنيوية:

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ (الكهف،١٨ :٤٦)

ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ (الحديد،٥٧ :٢٠)

ولهذا حذر الله ﷻ من فتنة الأولاد:

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الأنفال،٨ :٢٨)

وهذه الفتنة هي نفسها عدو للإنسان تَجذُبُه إلى الدنيا وهي ضد مصلحته في الآخرة:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ (التغابن،٦٤ :١٤-١٥)

ولهذا وصّى الله ﷻ الإنسان أن لا ينسى ذِكر الله ﷻ بسبب أولاده:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ (المنافقون،٦٣ :٩)

فالله ﷻ بَيَّن وُجوب حب الأولاد ولكن ضمن إطار معين وحدود معينة كما رأينا.

❃

فخلاصة الأمر هنا هو أن الله ﷻ جعل حباً طبيعياً مشروعاً ومحموداً بين الإنسان وعائلته – وجعل هذا الحب حسب درجة القُرب – ولكنه ﷻ أكَّد على أنه يجب أن يبقى حب الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحب العائلي.

✵

١٧. الباب الثالث؛ الفصل السادس:
حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء)

المطلب الأول: حب الناس جميعاً

لم يقصر الله ﷻ الحب والمحبة بين الناس على الأقارب فقط. بل جعل، من رحمته التي "وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ" (الأعراف،٧ :١٥٦) ، رحمة بل محبة بين الناس جميعاً بدرجات مختلفة وضمن شروط معينة. وربما من أسباب هذا هو أنّ كل إنسان قريب في نهاية المطاف إلى كل إنسان. فكل إنسان من سلالة آدم عليه السلام وحواء، وبالتالي كل إنسان "ابن آدم"[١٣٢]، وهذه درجة قرابة حتى ولو أنها بعيدة. ويُذكرنا الله ﷻ بهذا في القرآن الكريم، ويُنذرنا إن لم نتقِ الله ﷻ في إخواننا وأخواتنا من رحِم أُمَّنا جميعاً حواء:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ (النساء،٤ :١)

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ (الأنعام،٦ :٩٨)

ويُذكرُنا الله ﷻ أيضاً أننا خُلِقنا ونُبعث كنفس واحدة نشترك في الختام وليس في الأصل فقط:

مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ (لقمان،٣١ :٢٨)

---

١٣٢ وهذا يعني أيضاً في طبيعة الحال أن كل انسان هو في الأصل خليفة الله ﷻ على الأرض الذي نفخ الله ﷻ فيه من روحه (كما رأينا سابقاً في فصل "حب الله ﷻ للناس").

ومع أن الله ﷻ خَلق مِنّا شعوباً وقبائل مختلفة، لكننا جميعاً سواسية عند الله ﷻ، والأمر الوحيد الذي يميز بين شخص وآخر هو تقواه:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ (الحجرات،٤٩ :١٣)

فالاختلاف بين الشعوب والقبائل في أشكالهم وألوانهم حِكمةٌ إِلهيةٌ يَجبُ علينا أن نُقدرها ونحترِمَها، ويجب علينا أن نَتفَكر فيها:

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ (الروم،٣٠ :٢٢)

ويجب علينا أيضاً أن نُثَمِّن ونَحتَفِل في الفروق بين الناس بشكل عام، وهذا معنى من معاني "لِتَعَارَفُوٓاْۚ"، والله أعلم. وعلى أي حال حرَّمَ الله ﷻ قتل أي نفس من بني آدم بشكل عام:

وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ... (الإسراء،١٧ :٣٣)

... وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ (الأنعام،٦ :١٥١)

بل أكثر من ذلك، جعل الله ﷻ قيمة كل البشرية في كل نفس، في إحيائها وفي إماتتها:

مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ (المائدة،٥ :٣٢)

وبالتالي فإن الله ﷻ يأمرنا في القران بعدم الاعتداء على أي فرد من الناس. قال الله ﷻ:

وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ (البقرة،٢ :١٩٠)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ (المائدة،٥ :٢)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (المائدة،٥ :٨)

حتى أن المسلم لا يُسمَح له أن يعتدي على أحد حتى بالكلام أو باللفظ، يقول الله ﷻ:

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ (الهمزة، ١٠٤ :١)

كما لا يجوز للمسلم أن يسُبّ معتقدات أحد، حتى وإن كان مشركاً[133]، يقول الله ﷻ:

---

١٣٣ ولكن بالطبع هذا لا يعني أن الإسلام دين يقبل الشرك بأي شكل من الأشكال – فهو يرفض ويدحض ذلك تماماً في شهادة الإسلام: لا إله إلا الله – ولكن الله ﷻ يسمح لكل إنسان أن يختار ديانته بحرية، مهما كانت، فيقول الله ﷻ:

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ (البقرة، ٢ :٢٥٦)

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ... (الكهف، ١٨، ٢٩)

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ (الكافرون، ١٠٩ :١ – ٦)

وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ (الأنعام، ٦: ١٠٨)

بل أكثر من ذلك، فإن الله ﷻ يأمر المسلمين بالقسط لكل بني آدم إلا مَن يُحَاربنا ويدمّر مساجدنا ويُخرجنا من ديارنا (فهذا مبرر كافٍ لحرب دفاعية عادلة في القرآن الكريم)[134]:

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ (الممتحنة، ٦٠: ٧-٨)

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾

(التوبة، ٩: ٧)

وإضافة إلى ذلك، أوصى الله ﷻ بالرحمة والتعاطف و الشعور مع الآخرين بشكل عام ومن غير تحديد بفئة ما كما في الآية التالية (والتي كان علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام جميعاً سبب نزولها بشكل خاص):

وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ (الإنسان، ٧٦: ٨)

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ (المعارج، ٧٠: ٤٢)

١٣٤ يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (الحج، ٢٢: ٣٨ – ٤٠)

فيقول الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

"المراد من قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ هو ما رويناه أن علياً عليه السلام أطعم المسكين واليتيم والأسير، وأما الذين يقولون الآية عامة في حق جميع الأبرار [فإنهم] قالوا: إطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك الطعام بعينه"[١٣٥].

يقول الله ﷻ:

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧ (البقرة، ٢: ١٧٧)

ويقول الله ﷻ:

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ (الماعون، ١٠٧: ١-٧)

وكأنه تأكيدٌ على ذلك، ذَكَرَ الله ﷻ دعاءً للمؤمنين يتضمن الرحمة حتى للكفار:

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ

---

١٣٥ الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير، مجلد ١٠، ص ٧٤٧.

لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦ (الممتحنة،٦٠ :٥-٦)

فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥ (يونس،١٠ :٨٥)[١٣٦]

يقول الله ﷻ:

وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦ (النساء،٤ :٣٦)

وقد جاء في تفسير الجلالين أن الجار ذي القربى هو: "القريب منك في الجوار أو النسب"، وأن الجار الجنب هو: "البعيد عنك في الجوار أو النسب"[١٣٧]. فبمعنى آخر، حسب تفسير الجلالين، "الجار" هو كل إنسان على وجه الأرض سواء أكان مسلماً أو كافراً.

وكذلك جاء في تفسير القرطبي أن الجار ذي القربى هو الجار: "القريب"، والجار الجنب هو الجار: "الغريب"[١٣٨]، والله أعلم.

وقد أكد رسول الله ﷺ هذا بقوله:

---

١٣٦ يمكن أن نفهم الآيتَين (الممتحنة، ٦٠: ٥؛ ويونس ١٠: ٨٥) على أنهما دعاء إلى الله ﷻ ألا يهزم الكفّار المؤمنين في القتال. وفيما يلي شرح تفسير الجلالين للآيتين الكريمتين: "عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ": أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا." (ص٤٤٨). "رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ: أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا، أي تذهب عقولهم بنا؛ "لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ": في ملكك وصنعك." (ص ١٥٣).

١٣٧ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ١٠٦.

١٣٨ القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد٥، ص١٧١.

«والذي نفسي بيده لا يؤمن عبداً حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه»[139].

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[140].

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«لاَ يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ»[141].

والرحمة لجميع الناس، بغض النظر إن كانوا مسلمين أو مؤمنين أو لا. فالرحمة تقتضي أن يغفر المسلمون للناس جميعاً بما فيهم الكفار. يقول الله ﷻ:

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ (الجاثية،٤٥ :١٤)

فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران،٣ :١٥٩)

والمغفرة بدورها تعني الصفح عن الناس. يقول الله ﷻ:

---

١٣٩ رواه مسلم عن أنس بن مالك ﷺ، رقم ٤٥، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير. وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»**. رواه البخاري، رقم ١٣، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

١٤٠ رواه الترمذي، رقم ١٩٢٤، عن عبد الله بن عمرو، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس.

١٤١ رواه البخاري، في صحيحه، رقم ٧٣٧٦، من حديث جرير بن عبد الله، كتاب التوحيد؛ باب قوله تعالى: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ (الحجر،١٥ :٨٥-٨٦)

فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ (الزخرف،٤٣ :٨٩)

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ (الشورى، ٤٢، ٤٣)

والصفح من سُنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فسيدنا يوسف ﷺ يقول:

قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ (يوسف،١٢ :٩٠-٩٢)

وكذلك يقول سيدنا إبراهيم ﷺ:

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ (إبراهيم،١٤ :٣٦)

وكذلك قد صَفَح رسول الله ﷺ عن أهل مكة يوم الفتح، فقال: «**ما تقولون وما تظنون؟**»، قالوا: نقول ابن أخ وابن عَمٍّ حليم رحيم، فقال رسول الله ﷺ: «**أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**»، قال: فخرجوا كأنما نُشِروا من القبور[١٤٢].

والصفح يعني عدم الغضب أيضاً. يقول الله ﷻ:

وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ

---

١٤٢ رواه البيهقي، السنن الكبرى، ٩/ ١١٨.

تُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ (آل عمران،٣ :١٣٣-١٣٦)

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ (الشورى،٤٢ :٣٦-٤٢)

لكن الصفح فقط لا يكفي، فالمطلوب من المسلمين أن يردوا على الشيء السَّيِّئ بالشيء الحسن. قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:

ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ (المؤمنون،٢٣ :٩٦)

وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

(فصلت،٤١ :٣٤-٣٥)

وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾

سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ (الرعد،١٣ :٢١-٢٤)

وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ (النحل،١٦ :١٢٦)

وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ (الفرقان،٢٥ :٦٣)

وخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض الاحترام، وعدم الاعتداء، والقسط، والرحمة، والتعاطف والشعور مع الآخرين، والمغفرة، والصفح، وعدم البُغض، وحتى أن نحسِن لمن أساء إلينا وأن ندفع بالتي هي أحسن لكل إنسان مهما كان ومهما كانت ديانته (وحتى إن لم يكن له دين)، طالما لم يحارب المسلمين.

المطلب الثاني: حب أهل الكتاب

أمر الله ﷻ بالقسط والرحمة والتسامح بشكل عام كما أمر بالإحسان لكل جار، قريب أو بعيد، حتى ولو كان هذا الجار من غير ديننا بشكل خاص:

وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء،٤ :٣٦)

وإن ذكرنا سابقاً أن "الجار" يعني كل إنسان، سواء كان قريباً أم بعيداً، حسب تفسير القرطبي وتفسير الجلالين، فإنه من الجذير بالذكر أن ابن كثير يقول في تفسيره التالي:

"روي عن عكرمة، ومجاهد، وميمون بن مهران، والضحاك، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيّان، وقتادة. وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله:

﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾: يعني المسلم ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ يعني اليهودي والنصراني "[143].

ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ قد سمى نصارى نجران "مؤمنين"، ولعن من عذبهم. يقول الله ﷻ:

قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ (البروج،٨٥ :٤-٨)

وقال القرطبي في تفسيره عن هذه الآية:

"الذين خَدَّدوا الأخاديد وَقَعَدوا عليها يُلقون فيها المؤمنين وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقد اختلفت الرواة في حديثهم والمعنى متقارب"[144].

وكذلك أشار الله ﷻ إلى فرح المسلمين عند انتصار النصارى على الفرس المشركين:

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ (الروم،٣٠ :١-٤)

ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ يعلم أنّ المسلمين سيقاتلون (فيما بعد في معارك كثيرة ومنها معركة مؤتة أثناء حياة رسول الله ﷺ) النصارى أنفسهم الذين فرحَ المسلمون بنصرهم على المشركين. فإذا كان نصرهم يُفرّح

---

١٤٣ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ٤٨٠.

١٤٤ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي، ١٩/ ٢٥٧.

وقصة نصارى نجران مذكورة في صحيح مسلم، حديث رقم ٣٠٠٥ في كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، قصة الراهب والغلام.

المسلمين، – وإذا كان الله ﷻ يذكُرُ نصرهم كوعد حسن للمسلمين – فهذا يعني أن هناك مودة خاصة بين المسلمين والنصارى. وهذا ما يقوله الله ﷻ في الآية التالية:

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة،٥ :٨٢)

وإذا كان الله ﷻ قد حذّر الرسول ﷺ من اليهود في هذه الآية[١٤٥] – ومدح النصارى – ففي آيات أخرى مدح الله ﷻ بني إسرائيل (أو على الأقل الصالحين منهم) وفضّلهم على العالمين (في فترة ما [١٤٦]):

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ (السجدة،٣٢ :٢٣-٢٥)

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ (المائدة،٥ :٢٠)

---

١٤٥ يلاحظ أن الله ﷻ خاطب رسوله ﷺ بشكل فردي في هذه الآية ("لَتَجِدَن") وليس المؤمنين بشكل عام.

١٤٦ فيقول الله ﷻ:

فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ (النساء،٤ :١٥٥)

وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ (البقرة،٢ :٦٥)

(وانظر أيضاً إلى: البقرة،٢ :٧٨ و ٩١؛ المائدة،٥ :٦٠؛ الأعراف،٧ :١٦٦ وغيرها من الآيات في هذا الموضوع.)

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ (الجاثية،٤٥ :١٦-١٧)

وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ (الدخان،٤٤ :٣٢-٣٣)

نَبَّأَ الله ﷻ المسلمين أنه يوجد بين أهل الكتاب بشكل عام بعض الصالحين:

لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ (آل عمران،٣ :١١٣-١١٥)

وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ (الأعراف،٧ :١٧٠)

فخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ فرضَ – إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة بشكل عام – الإحسان نحو أهل الكتاب بشكل خاص، ونبه على مودة خاصة بين المسلمين والنصارى، والله أعلم.

المطلب الثالث: حب المؤمنين

إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والتسامح والصفح[١٤٧] والإحسان

---

١٤٧ يقول الله ﷻ:

وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ (النور: ٢٤: ٢٢)

والمودّة، فقد فَرض الله ﷻ رابطة الأُخوة بين المؤمنين بعضهم بعضاً:

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ (الحجرات،٤٩ :١٠)

كذلك جعل الله ﷻ المؤمنين إخوة، وذَكَّرَهم بحقوق الإخوة في اللفظ الكريم "وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ "، وربط رحمته ﷻ بتقوى الله ﷻ في الأخوَّة بين المؤمنين. وبمعنى آخر فإن الله ﷻ يقول إنه سيرحم من يحب أخاه المؤمن. والأُخوَّة بدورها تعني الحب – وليس أقل من الحب – بين المؤمنين:

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر،٥٩ :٩)

وفي هذه الآية الجميلة بَيَّن الله ﷻ أن الحب المطلوب بين المؤمنين ليس فقط شعوراً لا يُلزم المؤمن بشيء، ولكن من الحب حالة نفس صادقةٍ تُؤْثِر مصلحة الآخرين على ذاتها، وبالتالي تتغلّب فيها على "شُح النفس[١٤٨]".

---

١٤٨ فليس مسموحاً للمسلم أن يحكم على أخلاق المؤمنين، ناهيك عن طرده، يقول الله ﷻ عن سيدنا نوح عليه السلام:

فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ (هود، ١١: ٢٧ – ٣١)

۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ (الشعراء، ٢٦: ١١١ – ١١٥)

وخلاصة القول هنا هو أنه بالإضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والمودة والإحسان، يطلب الله ﷻ الحب بين المؤمنين، وهذا هو الحب الذي نسميه أحياناً "الحب في الله".

المطلب الرابع: حب الأصدقاء

ذكرَ الله ﷻ في كتابه درجات من الصداقة، بالإضافة إلى أخوة الإيمان التي ذكرناها. فالصحبة أقلُّ درجة من الصداقة. وذكرَ الله ﷻ "الصحبة" في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال في الآيتين التاليتين:

قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ (الكهف،١٨ :٧٦)

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ (يوسف،١٢ :٣٩)

عموماً لا تعني كلمة "صحبة" في القرآن الكريم مودّة خاصة لكن تعني الرفاق في أمر معين. فأصحاب النار لا يحب بعضهم بعضاً ولكنهم يتصاحبون في النار:

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ

ويقول الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ:

وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ (الأنعام، ٦: ٥٢)

أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ (الأعراف،٧ :٣٨-٣٩)

فكلمة "صحبة" تفيد أحياناً معنى "الامتلاك" كما هو الحال في "أَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ" – جيش أبرهة الحبشي الذي كان يمتلك فيلاً وحاول مهاجمة الكعبة في الجاهلية – يقول الله ﷻ:

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ (الفيل، ١٠٥: ١)

وأحياناً تفيد كلمة "صحبة" معنى "الصداقة" أو "مودة معينة" كما هو الحال في الآيتين التاليتين:

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة،٩ :٤٠)

أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ (الكهف،١٨ :٩)

بعد "الصحبة" تأتي "الصداقة"، وهي تعني درجة ثابتة من المحبة الخاصة والأُخوة. والله ﷻ بَيَّنَ وكرَّمَ ووطَّدَ هذه العلاقة الخاصة حتى في تشريعه:

لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ

أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (النور،٢٤ :٦١)

وفوق "الصداقة" يمكننا أن نميّز "الصداقة الحميمة"، فالله ﷻ يقول:

قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ (إبراهيم،١٤ :٣١)

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ (الشعراء،٢٦ :١٠١) [١٤٩]

وأخيراً هناك درجة من الصداقة أعلى حتى من "الصداقة الحميمة" وقد سمَّاها الله ﷻ: "الخُلَّة"[١٥٠]، يقول الله ﷻ:

ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف،٤٣ :٦٧)

فخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ ذكرَ في القرآن الكريم وشَرّع وبارك أربع درجات مختلفة من "الصداقة" والتي هي فوق الحب الموجود بين المؤمنين وهي: (١) الصحبة، (٢) الصداقة، (٣) الصداقة الحميمة، (٤) الخُلّة. وقد ذكرناها بالترتيب التصاعدي وتشكّل السلسلة الكاملة للصداقة بين المؤمنين وأعلى درجات الحب (غير الجنسي) بين الذين لا تربطهم صلة

---

١٤٩ انظر أيضاً إلى وصف "الحميم" في الآيات التالية: غافر،٤٠ :١٨؛ فصلت،٤١ :٣٤؛ الحاقة،٦٩ :٣٥؛ المعارج،٧٠ :١٠.

١٥٠ يمكن وصف هذه الصداقة بـ"الوليجة" – وهي صداقة حميمة أو حرفياً "صداقة مداخلة" – وهي ملائمة بين المؤمنين فقط (كما سنناقش لاحقاً في فصل أنواع الحب)، يقول الله ﷻ:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ (التوبة، ٩: ١٦)

القرابة[151] والله أعلم.

151 يُلاحظ أننا نكوّن الصداقات وفقاً للخير والجمال الداخلي الذي نراه في الآخرين – في حال كانت الصداقة صادقة ومخلصة – وبناء على الوقت الذي نمضيه مع أصدقائنا (وبالتالي بناء على ما نختبره من جمالهم الداخلي وما يختبرونه من جمالنا الداخلي).

١٨. الباب الثالث؛ الفصل السابع:

الحب الزوجي والحب الجنسي

خلقنا الله ﷻ جميعاً من نفس واحدة، وخلق من هذه النفس – وهي نفس آدم عليه السلام – زوجةً (وهي حواء أمنا جميعاً)، وخلق كل الناس من آدم عليه السلام وحواء معاً:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النساء،٤ :١)

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... (الزمر،٣٩ :٦)

وخَلَقَنا (عموماً[١٥٢]) زوجين، الذكر والأنثى[١٥٣]:

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ (النجم،٥٣ :٤٥)

---

١٥٢ قلنا "عموماً": لأنه ربما يكون في قوله ﷻ: "أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ " (الشورى،٤٢ :٥٠) إشارة إلى وجود "الخُنثى" الذي يجمع بين الذكر والأنثى في شخص واحد، أو إلى وجود الشخص الذي لا يعتبر ذكراً أو أنثى.

١٥٣ قال الراغب الأصفهاني في كلمة "زوج": "يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة "زوج"، ولكل قرينين فيها وفي غيرها "زوج"، كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثل له أو مضاد زوج، قال تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ (القيامة،٧٥ :٣٩) وقال: ... ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ... (البقرة،٢ :٣٥)". (الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٢٢٠).

فهكذا يقال لكل من الذكر والأنثى "زوج"، وهذا يدل على احتياج كل من الذكر والأنثى بعينه إلى زوجه حسب التعريف في اللغة العربية. ويقول الله ﷻ:

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ (يس،٣٦ :٣٦)

فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ (القيامة،٧٥ :٣٩)

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ (يس،٣٦ :٣٦)

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الشورى،٤٢ :٤٩-٥٠)

وفي خلق الزوجين، الذكر والأنثى، ذكرى للناس:

وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ (الذاريات،٥١ :٤٩)

ومن ناحية، مَيَّزَ الله ﷻ الذكر:

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ (النساء،٤ :٣٤)

ومن ناحية أخرى، مَيَّزَ الله ﷻ الأنثى:

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ (آل عمران،٣ :٣٦)

وقد أعطى الله ﷻ شهادة المرأة في الدفاع عن نفسها ثِقَلاً أكبر من شهادة زوجها:

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ (النور، ٢٤: ٦ – ٩)

ولكن جعلنا – الذكر والأنثى – بعضنا من بعض:

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَـٰجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ۝١٩٥﴾ (آل عمران،٣ :١٩٥)

وهكذا فإن مكافأة الله ﷻ للذَكَر تتساوى مع مكافأته ﷻ للأنثى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٥)

ولذلك فلدى – الذكر والأنثى – طبيعة إنسانية مشتركة بالرغم من الفروقات التي بيننا: فكل واحد مِنا له أب وله أم (باستثناء سيدنا عيسى ﵇) إذ ليس له أب وله أم، وسيدنا آدم ﵇ الذي ليس له أب ولا أم، وكل واحد منا (إذا كانت صحته أو صحتها طبيعية) يمكن له أن يُنْجِبَ ذكراً أو أنثى.

✵

فالطبيعة المشتركة بيننا تعني أيضاً أننا لسنا مكتملين من دون بعضنا البعض. الذكر يحتاج الأنثى والأنثى تحتاج الذكر، وعموماً نبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض

في النسل؛ (ب) في الحب الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحب الزوجي والجنسي بين الزوجين. (ومن الجدير بالذكر أنه يمكن لهذه الحاجات الثلاث أن تتزامل في علاقة ما، ويمكن لها أن تنفرد عن بعضها).

المطلب الأول: حاجة الزوجين لبعض في النسل

وبطبيعة الحال، لا يستطيع أحد منا أن يُنْجِبَ من غير زوج أو زوجة:

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ (النحل،١٦ :٧٢)

وهذا أمر واضح حتى في أيامنا هذه مع "أطفال الأنابيب" لأنه حتى في أطفال الأنابيب فإنهم يحتاجون إلى "ماء دافق" يجتمع فيه ما يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ (المؤمنون،٢٣ :١٢-١٤)

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ (المرسلات،٧٧ :٢٠-٢٣)

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ (الطارق،٨٦ :٥-٧)

ففي هذه الآيات الأخيرة جاء في تفسير الجلالين:

"﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء. جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها. ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ للرجل

﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ للمرأة وهي عظام الصدر "[154].

المطلب الثاني: الحب الزوجي غير الجسماني و"أزواج النفس"

نحتاج بعضنا بعضاً ليس للنسل فقط، ولكن من ناحية نفسية طبيعية أيضاً:

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف،٧ :١٨٩)

ويُلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ قال: "لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ" وليس "ليسكن معها" أو "ليسكن عندها"، الأمر الذي يَدل على أنه يوجد في السكن مع الزوجة سُكُون وسَكينة أيضاً، وتلك حاجات نفسية. والله ﷻ بيَّن هذا السكون في الدعاء المشترك بين الزوج والزوجة:

"لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾".

والله ﷻ قال في آية أخرى:

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم،٣٠ :٢١)

هذه الآية تحتوي على أسرار كثيرة كما تُشير لنا الكلمات الكريمة التالية: "إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾"؛ وسنتدبرها فيما يلي:

(أ) يُخبِرُنا الله ﷻ أن أزواجنا من "أنفسنا". وفي القرآن الكريم معنيان

---

١٥٤ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٨٠٢.

لكلمة "أنفسكم": المعنى الأول هو "أنتم"، ففي هذه الحالة "من أنفسكم" تعني فقط "منكم". المعنى الثاني لكلمة "أنفسكم" تعني "من نفوسكم": فالله ﷻ يذكُر "النفس" كحقيقة الإنسان غير الجسدية، وبالتالي الخالدة. وعلى سبيل المثال، ذكر الله ﷻ: "النفس الأمارة بالسوء" (يوسف،١٢ :٥٣)؛ و"النفس اللوامة" (القيامة،٧٥ :٢)، و"النفس المطمئنة" (الفجر،٨٩ :٢٧).

فما معنى اللفظ الكريم "خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا" بالتعريفين لكلمة "نفس"؟ ويأتي هذا اللفظ الكريم بكلمة "جَعلَ" أيضاً في الآية الكريمة التالية:

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ (الشورى،٤٢ :١١)

فالمعنى الأول لـ"مِّنْ أَنفُسِكُمْ" واضح، وهو أنّ الله ﷻ خَلَقَ لنا زوجات أو أزواجاً مثلنا من سلالة آدم عليه السلام وحواء.

المعنى الثاني – وهو معنى لطيف – هو أن لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو كـ"جَعْل" إلهي خاص فيما بعد الخَلْق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا – أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً – ولكن في الاحتمالين هذه الزوجة أو هذا الزوج مخلوق أو موجود (وفي هذا الحال يكون، "الخلق" الإلهي أتم من "الجَعْل" الإلهي، والله أعلم). وحسب هذا المعنى لـ "مِّنْ أَنفُسِكُمْ" يكون في اللفظ الكريم "وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا" إشارة إلى الأبدان: الأنعام تُشبه أجسام الناس في اقتصارها على وظائف الحياة الطبيعية كالمأكل والمشرب (وبالتالي تشبه أيضاً الكفار الذين ليس لهم هَمٌّ إلا إشباع رغبات أجسامهم). يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ (الأعراف،٧ :١٧٩)

... وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ (محمد،٤٧ :١٢)

فإذاً في زواج الأنعام إشارة إلى الزواج بين الناس الذين يغلب عليهم إشباع رغبات الأجسام، ولم يكن فيهم حُب حقيقي أو قلوب تفقه وتذكر الله ﷻ. وفي هذه الحالة يكون في اللفظ الكريم "يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ" (الشورى،٤٢ :١١) إشارة إلى وضع النفوس والأرواح في أجسام الناس: بمعنى آخر يُفهَم من هذا أن الله ﷻ ذرأ الأرواح والنفوس التي كانت قبل خلق الأجسام ووضعها في هذه الدنيا في أبدان من مادة تشبه الأنعام، في هذه الحياة الدنيا، والله أعلم.

الفائدة من هذه الإشارة هنا أنه بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يُكمل بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة – وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس" – بينما نجد بين بعض الناس سكوناً ومودّة ورحمة من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين زوج وزوجة متزوّجين منذ فترة طويلة، والله أعلم.

(ب) يُخبِرُنا الله ﷻ أننا نسكن "إلى" أزواجنا، وتطرقنا لمعنى كلمة "إلى" آنفاً، ونزيد هنا أن الفخر الرازي يقول فيها في تفسيره الكبير:

"يُقال "سكن إليه" للسكون القلبي ويقال "سكن عنده" للسكون الجسماني، لأن كلمة "عند" جاءت لظرف المكان وذلك للأجسام و"إلى"

للغاية وهي للقلوب"[155]. يقول الله ﷻ:

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف،٧ :١٨٩)

(ج) يُخبِرُنا الله ﷻ أنه جعل بيننا "مَّوَدَّة"، وسنتحدث فيما بعد إن شاء الله عن معنى "المودة" كنوع من أنواع الحب، ولكن يكفي هنا أنْ نلاحظ بأنّ "المودة" ليست حباً وحاجة جسمانية، بل هي نوع من أنواع "الحب الودِّيّ". فالله ﷻ يقول:

وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ (النساء،٤ :٧٣)

(د) يُخبِرُنا الله ﷻ أنه جعل بيننا "رَحْمَةً". وقد سبق أن تحدثنا عن معنى "الرحمة" وعلاقة "الرحمة" بـ"الرَحِم"، ويكفي هنا القول إن "الرحمة" أيضاً ليست حباً وليست حاجة جسمانية.

وأخيراً، في الآية الكريمة التالية، التي يصف فيها الله ﷻ الزوجة الصالحة، ويلاحظ في هذا الوصف أنّ معظم الصفات هي صفات نفس الزوجة وطبيعتها غير الجسمانية، الأمر الذي يؤكّد على الحب غير الجسماني في الزواج. يقول الله ﷻ:

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ (التحريم، ٦٦: ٥)

---

١٥٥ الفخر الرازي، التفسير الكبير، مجلد ٩، ص ٩١.

فالخلاصة هي إن الله ﷻ في الآية الكريمة آنفة الذِّكر (من سورة الروم) بَيَّن أنّ في الزواج حباً يمكن له أن يكون مجرّداً من كل علاقة جسمانية، وأنّ الزوجين كليهما بحاجة لهذا الحب من ناحية نفسية طبيعية.

ونرى آثار هذا الحب في دعاء الآية التالية:

وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان،٢٥ :٧٤)

كما نرى أيضاً آثار هذا الحب بـ "المعروف" كما في الآية التالية:

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ (الطلاق،٦٥ :٦)

المطلب الثالث: الحب الزوجي الجنسي

ما هو الذي يجعل الحب الزوجي والعلاقة الزوجية مختلفة تماماً عن سائر أنواع الحب الأخرى؟ الجواب هو أنه يوجد في الحب الزوجي مشاركة من جسم بني آدم، سواء كان ذكراً أو أنثى. ففي الحب العائلي وحب المؤمنين والأصدقاء لا توجد مشاركة بين أجسام بني آدم، بينما في الحب الزوجي يتلامس الزوجان ويختلط جسما الزوج والزوجة. وبمعنى آخر، سائر أنواع الحب الأخرى هي حب بين النفوس، بينما الحب الزوجي هو حب بين النفوس والأبدان معاً. والله ﷻ وصف أو أشار إلى مكونات وأسرار هذا الاحتكاك بين الأجسام في العلاقة الزوجية في آيات عدة. ويكفي هنا – بما أن هذا الموضوع له خصوصية معيّنة – أن نذكر رموز هذه الأسرار. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ

رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ (طه،٢٠ :١٣١)

فنفهم من هذه الآية أولاً أن في الزوجة جمالاً – لأن الزهرة جميلة – وثانياً نفهم من هذه الآية أن في الزواج حباً وبهجة – لأن الزهرة تجذب الحب والبهجة. ونفهم أيضاً من كلمة "مَتَّعْنَا" أن في الزواج متعة معيّنة.

يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ:

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء،٤ :٢٤)

ونفهم من هذه الآية أنه يوجدُ في العلاقة الجنسية، بالإضافة إلى "المتعة" التي ذكرناها، "استمتاع". ويقول الله جَلَّ جَلَالُهُ:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة،٢ :٢٢٢-٢٢٣)

ومن لفظ "حَرْثٌ لَّكُمْ" نفهم أمرين: الأمر الأول هو الخصوبة للزراعة، والأمر الثاني هو الرموز الجنسية في الحرث والأرض التي يحرثها المِحرَاثّ. ونفهم من لفظ "أَنَّىٰ شِئْتُمْ" أنه يوجد في العلاقة الجنسية رغبة معيّنة وحرية معينة في إشباعها. ومن هنا تأتي المتعة والاستمتاع اللذان ذكرناهما أعلاه. وتكون هذه الرغبة بطبيعة الحال قوية، وفي هذه الحالة تكون الرغبة "هَمَّاً". يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ

وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف،١٢ :٢٤)

ولشدة هذا "الهَم" أحل الله الرفث في ليالي رمضان، بعدما كان الصحابة ﷺ يمتنعون عنه. يقول الله ﷻ:

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ (البقرة،٢ :١٨٧)

ونفهم من كلمة "لِبَاس" أمرين أيضاً: الأمر الأول هو "السترة" التي تأتي مع اللباس، والأمر الثاني هو مس واحتكاك أعضاء الجسم الذي يأتي أيضاً مع اللباس. فإمكانية إشباع الرغبة، وإمكانية المتعة والاستمتاع في العلاقة الجنسية في الزواج، يأتي كـ"لباس" للزوجين يستر حاجاتهما الطبيعية. يقول الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ (النساء،٤ :٢١)[١٥٦].

---

١٥٦ يقول الإمام الراغب عن كلمة "أَفْضَىٰ":

"الفضاء المكان الواسع ومنه أفضى بيده إلى كذا وأفضى إلى امرأته في الكناية أبلغ وأقربُ إلى التصريح من قولهم خلا بها قال: "وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ" وقول الشاعر:

طعامهم فوضى فَضا في رِحالِهِم ....

أي مُباح كأنه موضوع في فَضاءِ يفيضُ فيه من يُريدُه". الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٣.

فنفهم من اللفظ الكريم "وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ" أنه في العلاقة الجنسية أولاً أمر يُفضي الزوج والزوجة (من مائهما)، وثانياً "فَضَاء" للزوج والزوجة: بمعنى آخر، العلاقة الجنسية فيها تفريغ وثمَّ انبساط وراحة. والله ﷻ يبيّن أن العلاقة الجنسية تولد صلة معيّنة ولا يمكن إبطال أثرها حتى بعد انتهاء العلاقة نفسها أو الزواج وأن هذه الصلة تستوجب المعروف والاحترام للأبد؛ ومن هنا يسأل الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ... (النساء،٤ :٢١).

لكن لهذه الأمور – وبالأحرى التعلّق الزائد بهذه الأمور – خطورة معيّنة على العبد الذي ينبغي عليه أن يتذكّر الله ﷻ واليوم الآخر أكثر من الدنيا، فيقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (التغابن،٦٤ :١٤)

وخلاصة القول هنا هو أن في القرآن الكريم بياناً لطيفاً للحاجات الجسمانية الطبيعية وللرغبة في الحب الزوجي، ووصفاً لكثير من أمور العلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة. وبالتالي فإن الله ﷻ يأمر بالزواج في الحالات التي يكون فيها ذلك ممكناً؛ يقول الله ﷻ:

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ (النور، ٢٤: ٣٢ – ٣٣)

❋

المطلب الرابع: الحب الزوجي الروحي

هل في العلاقات الجنسية والجِماع أمر آخر غير إنجاب الأولاد والمتعة الجسدية؟ بمعنى آخر هل في الجِماع ناحية روحية وليس فقط جسدية؟ كان رسول الله ﷺ كله لله:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (الأنعام،٦ : ١٦٢-١٦٣)

وكان متزوّجاً، ويُحب النساء:

«حُبب إليَّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»[157].

ونساؤه ﷺ لسن تماماً كالنساء:

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ (الأحزاب،٣٣ :٣٢)

فهل يُفهمُ من هذا كله أن الرسول ﷺ كان يُحب النساء من أجل النساء فقط، أم هل كان يحبهن (ونساؤه لم يكن "كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ") من أجل الله وذِكر الله؟

يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

---

١٥٧ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم٣٩٣٩و٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «**حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، ورواه أحمد ٣/ ١٢٨و١٩٩.

وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف،١٢ :٢٤)

ما هو الذي أوقف النبي يوسف ﷺ عن "الهَم" بزوجة العزيز؟ الجواب هو أنه رأى برهان ربّه. لكن زوجة العزيز لم تر برهان ربّها، وما رأت إلا النبي يوسف ﷺ وجماله المشهور، وبالتالي هَمّت به بالرغم من أنها متزوّجة. لكن زوجة العزيز كانت أيضاً جميلة، فما هو "برهان" ربّ يوسف ﷺ الذي رآهُ يوسف ﷺ ؟ يُفهَم من عدم ذِكِر أي شيء آخر في الآية أنّ يوسف ﷺ رأى "برهان ربه" في ذات جمال زوجة العزيز. يقول الله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ (النساء،٤ :١٧٤)

وكما ذكرنا سابقاً، يقول الله ﷻ:

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ (التين،٩٥ :٤)

ويقول الله ﷻ:

فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم،٣٠ :٥٠)

فهل نظر يوسف ﷺ إلى جمال زوجة العزيز ورأى في جمالها برهان ربه الذي خلقها في أحسن تقويم، فَتَذكر الله ﷻ فامتنع عن "الهَم" بها؟ فإذا كان الجواب "نعم"، فهذا يعني أنه يمكن أن يكون في الجمال الجسمي تذكّر لله يُبعد الذاكر تماماً عن "الهَمّ" الجسمي. وهذا يعني بدوره أيضاً أن رسول الله ﷺ – وهو الأسوة الحسنة "لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب،٣٣ :٢١) – كان يرى "برهان ربه" في زوجاته. والله أعلم، ولكن ربما يكون هنا إشارة في القرآن الكريم إلى أن في النظر إلى جمال الجسم حالة روحية في بعض الأحيان. فربما نفهم هذا تماماً من قول الله ﷻ بالنسبة لرسول الله ﷺ:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ

تَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ (المنافقون،٦٣ :٤)

✵

يقول الله ﷻ:

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة،٢ :٢٢٢-٢٢٣)

يُلاحظ من نصوص القرآن الكريم أن اللِّقاء مع الله ﷻ هو في الآخرة:

ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ (الأنعام،٦ :١٥٤)

وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ (يونس،١٠ :٤٥)[١٥٨]

لكن جاء في ثلاث آيات أخرى أنه ليس واضحاً إذا كان اللِّقاء المقصود هو في الآخرة فقط أم هو في الدنيا أيضاً، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ (الانشقاق،٨٤ :٦)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي

---

١٥٨ انظر أيضاً إلى: البقرة،٢ :٤٦؛ التوبة،٩ :٧٧؛ يونس،١٠ :٧؛ يونس،١٠ :١١؛ يونس،١٠ :١٥؛ هود،١١ :٢٩؛ الرعد،١٣ :٢؛ الكهف،١٨ :١٠٥؛ الكهف،١٨ :١١٠؛ المؤمنون،٢٣ :٣٣؛ الفرقان،٢٥ :٢١؛ العنكبوت،٢٩ :٥؛ العنكبوت،٢٩ :٢٣؛ الروم،٣٠ :٨؛ الروم،٣٠ :١٦؛ السجدة،٣٢ :١٠؛ السجدة،٣٢ :١٤؛ السجدة،٣٢ :٢٣؛ الزمر،٣٩ :٧١؛ فصلت،٤١ :٥٤؛ الجاثية،٤٥ :٣٤.

وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ (البقرة،٢ :٢٤٩-٢٥٠)

والآية الثالثة هي الآية التي سبق أن ذكرناها:

نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة،٢ : ٢٢٣)

القاسم المشترك بين هذه "اللِّقاءات" الثلاث في هذه الآيات الثلاثة هي أنها مذكورة بعد نوع من أنواع الهلاك: في الآية الأولى الـ"كَدْح" مذكور قبل لقاء الله ﷻ؛ في الآية الثانية لقاء الله ﷻ مذكور قبل معركة، وفي الآية الثالثة لقاء الله ﷻ مذكور بعد الجِماع. فما معنى هذا؟ هل هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ، وأنّ في الجِماع – وفي نشوة الجِماع و"الإفضاء" كما رأينا – نوعاً من أنواع الهلاك؟ وإن لم يكن هناك إشارة لهذا، فلماذا ذكَر الله لقاءه بعد الجِماع "أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ" ؟ وهل هذا كله إشارة إلى أنه يوجد في الجِماع أحياناً – وبفضل الله ولمن يشاء – حالة روحية في الجِماع؟ على أية حال، لو كان هذا صحيحاً فهذا اللِّقاء ليس كلقاء الآخرة، لأن الله ﷻ يقول:

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ (الشورى،٤٢ :١١)

ففي هذه الآية يأتي في القرآن الكريم – بعد ذِكر الأزواج – نفي شديد لتشبيه الله بخلقه وهو قوله ﷻ: "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ". وهذا يعني أنه حتى

لو وجدت حالة روحية في الجِماع، فهي لا تُشبه اللِّقاء مع الله في الآخرة، والله أعلم.

وهذا كُله لنقول إنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى حالة ذِكر الله ﷻ في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، كما أنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في الجماع، والله أعلم.

❋

المطلب الخامس: الحفاظ على الحب الزوجي

ناقشنا بشكل مفصّل الـ"مَّوَدَّةً" والـ"رَحْمَةً" (الروم، ٣٠: ٢١) التي جعلها الله ﷻ بين الأزواج. يبقى أن نقول إنه يجب رعاية المودة والرحمة والمحافظة عليهما بعناية وتأنٍ. والله ﷻ يذكر في القرآن الكريم دعاء المؤمنين:

وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

إذاً، فيجب على المؤمنين أن يرغبوا في الحفاظ على حبهم الزوجي وفي أن يستمروا بحب أزواجهم (حتى في الآخرة، وسنناقش هذا في الباب الخامس إن شاء الله). وللحفاظ على الحب الزوجي بغض النظر عن الجمال الجسماني (وحتى بعد تلاشي الجمال الجسماني)، فيجب المحافظة على جمال النفس وممارسة الأفعال الجميلة والمواظبة عليها بين الزوج والزوجة. فالجمال الداخلي يمكنه – بل يجب أن يكون – تعويضاً أكثر من كافٍ عن نقص الجمال الجسماني أو عن فقدانه الحتمي مع الزمن.

وفي القرآن الكريم أَمَرَ الله ﷻ الأزواجَ بالالتزام بعشر مبادئ (على الأقل) والحرص عليها: (١) المعروف؛ (٢) الإحسان؛ (٣) الفضل؛ (٤)

التشاور؛ (٥) التراضي؛ (٦) العدل والقسط؛ (٧) لا ضرر؛ (٨) إقامة الحدود التي حددها الله ﷻ ولا اعتداء عليها؛ (٩) لا ضيق؛ (١٠) الولاية. وهذا موضوع واسع ومهم جداً – وله أهمية قصوى في الأداء المتآلف للعائلة المسلمة وللمجتمع الإسلامي. وقد كتب غيرنا الكثير من الكتب المفصّلة عن هذا الموضوع المهم فلن نطيل النقاش فيه هنا.

إن التأكيد على المعروف في الزواج – وحتى في الطلاق – الذي أمر به الله ﷻ في القرآن الكريم مهم جداً. في الآيات الكريمة التالية، يذكر الله ﷻ "المعروف" عشر مرات، بالإضافة إلى: (٢) "الإحسان" – مرتين؛ (٣) "الفضل"؛ (٤) "التشاور"؛ (٥) "التراضي" – مرتين؛ (٦) "العدل" و/أو "القسط" – وهذا واضح من خلال المبادئ الموحاة في كلماته ﷻ: "لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا" و"وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ"؛ (٧) "لا ضرر" – مرتين؛ (٨) "إقامة الحدود" التي حددها الله ﷻ "ولا اعتداء عليها" – تسعة مرات؛ (٩) "لا ضيق" – وهذا واضح من خلال المبدأ الموحى في كلماته ﷻ: "فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ...":

وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ

وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ

مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٨-٢٣٧)

وهذه المبادئ نفسها واضحة أيضاً في الآيات التالية وغيرها:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ (الطلاق، ٦٥: ١-٧)

تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ (النساء، ٤: ١٩-٢١)

والعدالة المتساوية لكلا الزوجين أيضاً واضحة في قواعد التحكيم التالية المذكورة في القرآن الكريم:

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ (النساء، ٤: ٣٥)

كما ينبغي علينا ذِكر الآية الكريمة التي يقول فيها الله ﷻ إنه سمع امرأة تشتكي إلى الله في شأن زوجها (وفي هذا تحذير إلى الأزواج والرجال):

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ (المجادلة، ٥٨: ١)

وفي الختام نذكر أيضاً "الولاية" بين الرجال والنساء المذكورة في القرآن الكريم والتي تحمي الحب الزوجي والزواج والمجتمع بشكل عام،يقول الله ﷻ إنه سيرحم الذين هم "أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ":

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ (التوبة، ٩: ٧١)

وقد لخّص سيدنا محمد ﷺ كل هذه المبادئ بشكل مقتضب وفصيح حين قال: ((**خياركم خياركم لنسائهم**))[١٥٩]

١٥٩ رواه ابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٨٣).

وأيضاً قوله ﷺ :

((**أفضل دينار دينارٌ ينفقه الرجل على عياله، ودينارٌ ينفقه على فرسه في سبيل الله، ودينارٌ ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله**))[١٦٠].

١٦٠ رواه ابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥٠٣).

١٩. الباب الثالث؛ الفصل الثامن:

الحب والزنا

هل في الزنا حب أم هو إشباع للرغبة فقط؟ هل يمكن لنا أن نُحبَّ ما لا يحبه الله ﷻ؟ الزنا أمر مذموم في القرآن الكريم، وهو معاقب عليه بعذاب شديد في الدنيا والآخرة. يقول الله ﷻ:

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ (النور،٢٤ :١-٥)

ولكن بالرغم من هذا فإنه من المعروف أنه يوجد زنا كثير في العالم، حتى في المجتمعات الإسلامية، وحتى في أيام رسول الله ﷺ. فما هو الدافع للزنا الذي يجعل الزاني لا يبالي بأوامر الله ﷻ ولا بذم الناس ولا بعقوبة الشَرع؟ يقول الله ﷻ

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤ (يوسف،١٢ :٢٤)

وبعد "الهم" بيوسف ؑ، قامت امرأة العزيز بالفعل التالي:

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٥ (يوسف،١٢ :٢٥)

وحتى بعد فَشَلِها وفضحها بقيت مصرّة على نيتها وبقيت تخطط للأمر نفسه حتى أمام نسوة المدينة:

قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ (يوسف،١٢ :٣٢)

فنستنتجُ من هذا كله أنه لو وجد "هَمٌّ" (وبالتالي رغبة جسدية) فما الذي يدفع امرأة العزيز إلى هذا التصرف؟ هناك شيء آخر أيضاً، لأن الرغبة الجسدية تَخِفُّ أحياناً بمرور الزمن ومع الخوف، ولكن تلك المرأة بقيت على تعلُقها بيوسف عليه السلام حتى بعدما سُجن عليه السلام بضع سنين:

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ (يوسف،١٢ :٥٢)

فهذا يعني أنه لا يوجد "هَم" ورغبة جسدية فقط تدفع امرأة العزيز؛ بل يوجد كذلك ما يدفعها إلى ذلك وهو شيء من المَيل إلى الجمال، وبالتالي من الحب، حسب تَعريفِنا. ويقول الله جل جلاله:

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ (النساء،٤ :٢٧)

جاء في تفسير الجلالين، عن هذه الآية الكريمة:

"﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ كرره ليُبنى عليه ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة ﴿ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حُرم عليكم فتكونوا مثلهم"[١٦١].

فَبيّنَ الله جل جلاله هنا أنه يوجد في الزنا "ٱلشَّهَوَٰت " و"مَيْلًا عَظِيمًا"، وبمعنى آخر، يوجد حب بالإضافة إلى الشهوة والرغبة الجسمانية في الزنا. وهذا واضح أيضاً في استعمال كلمة "حب" في قوله جل جلاله:

١٦١ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ١٠٥.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

فمن هنا تأتي الخطورة العظيمة في الزنا ("عَظِيمًا"): الزنا ليس فاحشة فحسب، لكنه حب غير مشروع يسحبُ صاحبه بكل شدة الحب إلى دائرة عواطف وأفعال تُبعد الزاني عن الهدى والصراط المستقيم بشكل دائم ومستمر. والله ﷻ حذَّرَ من هذه الخطورة:

وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء،١٧ :٣٢)

من خلال اللفظ الكريم "وَسَآءَ سَبِيلًا"، يؤكّد الله ﷻ قوة الحب غير المشروع وخطورته على نفس الزاني (أو الزانية) وآخرته. ويصبح هذا الحب أحياناً حباً غامراً كأنه عبادة، ومع هذا لا يمكن لهذا الحب أن يصل درجة العبادة الحقيقية لله ﷻ. فيقول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

فنرى هنا أن الإنسان يمكن أن يُحب شيئاً لا يحبه الله ﷻ، ويمكن أن يُحب هذا الشيء حباً شديداً، ولو كان شرّاً له ولمحبوبه[١٦٢] (وهذا هو حال الزاني تماماً). يقول الله ﷻ:

... وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ

١٦٢ فالحب غير المشروع يؤذي المُحِب، ويمكن أن يؤذي – بعواقب أبدية قد تؤثر على حياته في الآخرة – المحبوب الذي يحبه أو يدّعي بأنه يحبه (وبالتالي ينبغي أن يريد الأفضل له). وهكذا فليس كل الحب يفيد المُحِب أو المحبوب! بعض أنواع الحب قد تدمرهما أبداً.

يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة،٢ :٢١٦)

"وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ" : فليحذر الزاني من حبه، وليبتعد المؤمن من الإعجاب الذي قد يؤدي إلى الزنا أو إلى ما لا يُرضي الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكَةٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة،٢ :٢٢١)

وأخيراً، فليلتزم الزاني والزانية ما أحبه الله ﷻ لهما، لأن حب الله ﷻ لا يُضّلهما عن مصلحتهما الحقيقية، ولكن حبهما يمكن أن يُضلهُما. يقول الله ﷻ عن الزوجات:

... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ (النساء،٤ :١٩)

٢٠. الباب الثالث؛ الفصل التاسع:

الحب والنظر

إن المؤمن قد يظهر لديه حقيقة إنسان آخر إما في وجه هذا الإنسان وإما في قوله. قال الله ﷻ:

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ (محمد،٤٧ :٣٠)

وقال رسول الله ﷺ:

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[١٦٣].

هذا هو الحال بشكل عام لدى المؤمنين، ولكن هناك شيء خاص وسر عظيم في عينَي الإنسان يمكنه أن: (١) يعبّر عن الحب، أو (٢) أن يولِّد الحب عند الناظر نفسه[١٦٤]، أو (٣) أن يُولّد الحب في من ينظر في عينَي الآخر. وبمعنى آخر فإنه يمكن أن: (١) يرى الآخرون الحب في عينَي الإنسان؛ (٢) أو أن يدخل الحب إلى نفس وقلب الإنسان من خلال عينيه ، و(٣) ربما تولّد العينان حباً في شخص آخر إذا التقت العيون. فقد أشار الله ﷻ إلى كل هذا الموضوع في قوله ﷻ:

يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ (غافر،٤٠ :١٩)

---

١٦٣ رواه الترمذي، رقم ٣١٢٧، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر.

١٦٤ ونرى أيضاً في قول الله ﷻ أن السعادة واللذة قد تأتي من النظر. يقول الله ﷻ:

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ (البقرة،٢ :٦٩)

يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ (الزخرف،٤٣ :٧١)

فالعيون تخون الحب الذي في النفس وفي القلب وتظهره، وهذا الحب قد يولّد حباً آخر عند التقاء العيون بأعين أخرى. ومن هنا نفهم الحديثين الشريفين:

عن ابن مسعود وحذيفة قال رسول الله ﷺ:

«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[165].

وعن سيدنا علي كرَّم الله وجهه قال رسول الله ﷺ:

«يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»[166].

ومن ناحية أخرى فقد جاء عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال الرسول ﷺ:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»[167].

ومن هنا قد نفهم أهمية غض البصر [168] الذي أمر الله ﷻ المؤمنين والمؤمنات به في قوله ﷻ:

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ

---

١٦٥ رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، المستدرك، رقم٤/ ٣٤٩، والطبراني في المعجم الكبير، رقم١٠/ ١٧٣.

١٦٦ رواه الترمذي، رقم٢٧٧٧، في كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة وحسَّنه، ورواه ابن حبان، في صحيحه، رقم١٢/ ٣٨١.

١٦٧ رواه الترمذي وحسَّنه برقم (١٠٨٧) في كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

١٦٨ تظهر قوة الأعين وخطورتها من ناحية أخرى وهي الحسد أو "العين". فقال الله ﷻ:

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ (الفلق،١١٣: ٥)

وقال رسول الله ﷺ: **«العين حق»**. (رواه البخاري، رقم٥٧٤٠ ، كتاب الطب، باب العين حق).

بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور،٢٤ :٣٠-٣١)

وكذلك أوصى الله ﷻ رسوله ﷺ بالتالي:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ (طه،٢٠ :١٣١)

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر،١٥ :٨٨)

وأخيراً نقول إن للأعين دوراً خاصاً في الحب يجعلها كنافذة للنفس وللقلب بحيث يدخل ويخرج الحب منها ويظهر هذا الحب عليها كما يظهر حب العبد لله على العبد حسب ما ذكرناه سابقاً في باب "أثر حب الله ﷻ على الإنسان"، والله أعلم.

الباب الرابع: الحب

٢١. الباب الرابع؛ الفصل الأول:
أنواع الحب

ذَكَرَ الله ﷻ أنواعاً عديدة من الحب في القرآن الكريم[١٦٩]، (مع اعتبار

---

١٦٩ **أنواع الحب عند العلماء**

ما نذكره أعلاه هو تخريج أنواع الحب من القرآن الكريم وتعريفه لغوياً، ولكن لا يفوتنا أن نذكر ما قاله بعض العلماء في أنواع الحب، مع أننا قد ذكرنا بعض ما يلي سابقاً في الهوامش.

قال الإمام **الغزالي** رحمه الله تعالى في الإحياء في "كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا" ص (٣٧٩): "فالحب عبارةٌ عن ميل الطبع إلى الشيء المُلذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سُمي عشقاً".

وقال (ص٤١٤): "اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق، إذ لا يتصّور الشوق إلا إلى محبوب، ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى ...".

وقال (ص٤٢١): "فإن الشوق طلب وتشوّف إلى أمر، والموجود لا يطلب، ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يُدرك من وجه، فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشتاق إليه .... وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط .... فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً ...._فإذاً محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جَرَم يشتاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذُّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى".

وقال (ص٤٣٦): "إذا غلب عليه [المُحب] الفرحُ بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصلٌ من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعةِ الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفتِ

إلى ما لم يدركه بعد؛ استبشر القلبُ بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنساً، وإن كان نظرهُ إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلبُ بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً. وهذه الأحوالُ تابعةٌ لهذه الملاحظات، والملاحظات تابعةٌ لأسباب لا يمكن حصرها، فالأنسُ معناه استبشار القلب وفرحُه بمطالعة الجمال، حتى أنه إذا غلب وتجرّد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرّقُ إليه من خطر الزوال عظمَ نعيمه ولذته، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له: أنت مشتاق؟ فقال: لا إنما الشوقُ إلى غائب، فإذا كان الغائب حاضراً فإلى من يشتاق؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألطاف".

وقال (ص٤٤١): "اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة، وهو من أعلى مقامات المقربين، وحقيقة غامضة على الأكثرين، وما يدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علَّمهُ الله تعالى التأويل وفهَّمه وفقَّهه في الدين". (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد٤، ص١٤١-٤٤١).

وقد ذكر **الشيخ محيي الدين ابن عربي** أن الحب مقام إلهي له أربعة ألقاب، كما يلي: "إعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهيّ فإنه وصَف به نفسه وتسمّى بالودود .... ولهذا المقام أربعة ألقاب: منها الحب وهو خلوصه إلى القلب وصفاؤه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه. واللقب الثاني: الودّ وله اسم إلهيّ وهو الودود، والودّ من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمّي الودّ ودّاً لثبوته في الأرض. واللقب الثالث: العشق وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشـدة الحب في قوله: (... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...) (البقرة:٢ :١٦٥) وهو قوله: (... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...) (يوسف:١٢ :٣٠) أي صار حبها يوسف عليه السلام على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطة، وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشق التفاف الحب على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة. واللقب الرابع: الهوى وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلّق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولحصوله سبب، نظرة أو خبر أو إحسان، وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع، وهذا منزلته فينا مسمّى الهوى .... واختلف الناس في حدّه فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي بل لا يتصوّر ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بنتائجه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد

أن بعضها من درجات الحب أيضاً) حسب المعاني اللغوية لتلك الألفاظ في معاجم العربية المعتبرة، ومنها ما يلي:

اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا: سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى إلاّ الستر فلا تحدّ. واعلم أن الأمور المعلومات على قسمين: منها ما يحد، ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها، المتكلمين فيها، من الأمور التي لا تحد، فَيَعرِفُهَا من قامت به ومن كانت صفته ولا يَعرفُ ما هي ولا ينكر وجودها .... إن الحب تعلقّ خاص من تعلّقات الإرادة". (الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد٢، ص٣١٧-٣٢٢).

قال **الأنصاري الهروي** (توفي سنة ٤٨١هـ): "وأما قسم الأحوال فهو عشرة أبواب وهي: المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدَّهَش، والهيمان، والبرق، والذوق". (الهروي، منازل السائرين، ص٨٨).

قال **ابن العريف** (توفي سنة ٥٣٦هـ): "وأما محبة العَوام فإنها تنبت من مطالعة المِنَّة، وتثبت باتباع السنة، وتنمو على الإجابة للعناية ... وأما محبة الخَواص فهي محبة خاطفة، تقطع العبارة، وتدقق الإشارة، ولا تنتهي بالنعوت، ولا تُعرف إلا بالحيرة والسكوت". (ابن العريف، النفائس ومحاسن المجالس، ص٦٩٦).

قال **ابن قيم الجوزية** (توفي سنة ٧٥١هـ): "وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب، فوضعوا له قريباً من ستين اسماً وهي: المحَبَّة، والعلاقة، والهوى، والصَّبوة، والصَّبابة، والشَّغف، والمِقَة، والوَجْد، والكلَف، والتَّتيُّم، والعِشق، والجَوى، والدَّنف، والشَّجْو، والشَّوق، والخِلابة، والبلابل، والتَّباريح، والسَّدم، والغَمَرات، والوَهَل، والشَّجن، واللاعج، والاكتِئاب، والوَصب، والحُزن، والكَمَد، واللَّذع، والحُرق، والسُّهد، والأرق، واللَّهف، والحنين، والاستكانة، والتَّبالة، واللَّوعة، والفُتون، والجُنون، واللَّمَم، والخَبل، والرسِيس، والداء المُخامِر، والودّ، والخُلَّة، والحِلم، والغَرَام، والهُيام، والتَّدلية، والوَلهُ، والتعَبُّد. وقد ذُكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه، وإنما هي من مُوجباته وأحكامه فتركنا ذكرها". (ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٢٠).

١. الحب:

الحب حُب، قد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

٢. مَحَبَّة:

قال الله ﷻ:

... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ (طه،٢٠ :٣٩)

(أ) قال الراغب: "والمحبة إرادة ما تراه أو تظنّه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه: محبة للَّذَّة كمحبة الرجل المرأة ومنه: وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا... (الإنسان،٧٦:٨)، ومحبة للنفع كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ (الصف،٦١ :١٣)، ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم، وربما فُسِّرت المحبة بالإرادة في نحو قوله ﷻ: ... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ... (التوبة،٩ :١٠٨) وليس كذلك، فإن المحبة أبلغ من الإرادة كما تقدّم آنفاً، فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة"[١٧٠].

(ب) وقال ابن منظور: "والمحبة أيضاً: اسم للحب"[١٧١].

(ج) وقال الزبيدي[١٧٢]: "والحب: الوداد والمحبة"[١٧٣].

---

١٧٠ المفردات، ص١١٢.

١٧١ لسان العرب، ١/ ٢٨٩.

١٧٢ تاج العروس، ١/ ٣٩١.

١٧٣ **مسألة:** هل "الحب" و "المحبة" نفس الشيء؟

نستخلص من مراجعة كتب اللغة في مادة "حب" الفرق بين معنى الحب والمحبة، بأن الحب أبلغ من المحبة وأقوى وأعلى بدرجات، قال ابن منظور: "والحُبُّ الوداد والمحبة، وكذلك الحِبُّ بالكسر"، (ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٢٨٩). وذكر الإمام الراغب في المفردات أن معنى الحِب بكسر الحاء هو "من فَرَطَ حُبُّه"، وقال الرازي في مختار الصحاح: "والحب أيضاً المحبة وكذا الحِبُّ بالكسر، والحِبُّ أيضاً الحبيب". وعرَّفوا المحبة بأنها: "إرادة

٣. الاستحباب:

قال الله ﷻ:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ (النحل،١٦ :١٠٧)

(أ) قال الراغب: "وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ (التوبة،٩ :٢٣) أي إن آثروه عليه، وحقيقة الاستحباب أن يتحرَّى الإنسان في الشيء أن يُحِبَّه"[١٧٤].

(ب) وقال ابن منظور: "واستحبَّه كأحبَّه، والاستحباب كالاستحسان"[١٧٥].

(ج) وقال الزبيدي[١٧٦]: "واستحبَّه كأحببته، والاستحباب كالاستحسان"[١٧٧].

ما تراه أو تظنه خيراً" وهي كما ذكروها من ثلاثة أوجه: محبة للذة، ومحبة للنفع، ومحبة للفضل، أما الحب كما يظهر من كلامهم فهو للذات نفسها. فيتبين من هذا كله أن كلمة "الحب" أقوى وأرفع من كلمة "المحبة".

على أن بعض المفسرين ذكروا أن معنى قوله ﷻ: ... ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ ... (طه،٢٠ :٣٩) هو أن الله ﷻ ألقى على سيدنا موسى ﵇ مِسحة جمال خاصة تجعل من رآه من الناس يحبونه، قال الفخر الرازي: "وألقيت عليك محبة حاصلة مني واقعة بخلقي فلذلك أحبَّتْك امرأة فرعون حتى قالت: ... ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ﴾ ... (القصص،٢٨ :٩)، ويروى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه ... قال القاضي: .. والمراد أن ما ذكرناه من كيفيته في الخِلقة يُسْتَحلى ويُغتبط فكذلك كانت حاله مع فرعون وامرأته فسهل الله ﷻ له منهما في التربية ما لا مزيد عليه". (الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ٨/ ٤٨). وفي هذه الحالة أيضاً فإن المحبة درجة دون الحب، لأنه المحبة من الناس أدنى من حب الله ﷻ، والله أعلم.

١٧٤ المفردات، ص ١١٣ .

١٧٥ لسان العرب، ١/ ٢٨٩.

١٧٦ تاج العروس، ١/ ٣٩٢.

٤. الرحمة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "الله ﷻ والحب".

قال الله ﷻ:

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم،٣٠ :٢١)

وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود،١١ :٩٠)

(أ) قال الراغب: "والرحمة رقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقّة المجرّدة وتارة في الإحسان المجرّد عن الرقّة، نحو: رَحم الله فلاناً، وإذا وُصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرّد دون الرقّة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقّة وتعطف"[١٧٨].

(ب) وقال ابن منظور: "الرحمة الرقّة والتلطف ... والرحمة في بني آدم عند العرب: رقّة القلب وعطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه"[١٧٩].

(ج) وقال الزبيدي: "الرحمة: الرِّقَّة، ... وقال الحرالي: الرحمة نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه، أدناه كشف الضر وكف الأذى، وأعلاه الاختصاص برفع الحجاب"[١٨٠].

---

١٧٧ **مسألة:** كيف يعتبر "الاستحباب" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للاستحباب أنه تحرِّي الإنسان في الشيء لكي يحبه وقد جاء في كلام ابن حزم حيث قال: "فترى الناظر لا يطرف، يتنقّل بتنقل المحبوب، وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٣).

١٧٨ المفردات، ص ١٩٧.

١٧٩ لسان العرب، ١٢/ ٢٣٠.

١٨٠ تاج العروس، ١٦/ ٢٧٤.

٥. الرأفة:

قال الله ﷻ:

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد،٥٧ :٢٧)

ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ (النور،٢٤ :٢)

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة،٩ :١٢٨)

(أ) قال الراغب: "الرأفة الرحمة وقد رَؤُف فهو رَؤُفٌ ورؤوف ... قال ﷻ: ... وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ..."[١٨١].

(ب) وقال ابن منظور: "الرأفة الرحمة، وقيل: أشد الرحمة ... ومن صفات الله ﷻ الرؤوف وهو الرحيم لعباده العطوف عليهم بأِلطافه <u>والرأفة أخص من الرحمة وأرق</u>"[١٨٢].

(ج) وقال الزبيدي[١٨٣]: "والرأفة: أشد الرحمة أو أرقها كما في الصحاح، والذي في المجمل: أنها مطلق الرحمة وأخص ولا تكاد تقع في الكراهية، والرحمة قد تقع في الكراهية للمصلحة. وقال الفخر الرازي: الرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة ... وما يستدرك عليه: الرؤوف من الأسماء الحسنى هو

---

١٨١ المفردات، ص ١٨٩.

١٨٢ لسان العرب، ٩/ ١١٢.

١٨٣ تاج العروس، ١٢/ ٢٢١.

الرحيم لعباده العطوف عليهم بألفاظه، وتراءَفَ الوالد بولده"[184].

٦. الوُد:

قال الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ (مريم،١٩ :٩٦)

(أ) قال الراغب: "الوُدُّ: محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين، على أن التمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما تودّه"[185].

(ب) وقال ابن منظور: "الود مصدره المودة. وقال ابن سيده: الود الحب يكون في جميع مداخل الخير"[186].

(ج) وقال الزبيدي: "الود والوداد الحب والصداقة، ثم استعير للتمني، وقال ابن سيده: الود الحب يكون في جميع مداخل الخير"[187].

٧. المودَّة:

قال الله ﷻ:

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم،٣٠ :٢١)

---

١٨٤ **مسألة:** كيف تعتبر "الرأفة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من كلام العلماء أعلاه وتعريفهم للرأفة أنها: أخص من الرحمة وأرق، والرحمة رقة تقتضي الإحسان والعطف، وعادة تتلازم الرقة مع المحبة لأنه يبعد أن يرأف الإنسان بمن يكرهه ولا يحبه، بل إن المحبوب للقلب تجد له في القلب رحمة ورأفة.

١٨٥ المفردات، ص ٥٣٢.

١٨٦ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣.

١٨٧ تاج العروس، ٥/ ٣٠٤.

... قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ... (الشورى،٤٢ :٢٣)

(أ) قال الراغب: "وفي المودّة التي تقتضي المحبة المجرّدة ... قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ... قال بعضهم مودّة الله لعباده هي مراعاته لهم "[١٨٨].

(ب) وقال ابن منظور: "الود مصدره المودة ... وقيل إنّها سمّيت بالمودّة التي هي المحبة "[١٨٩].

(ج) وقال الزبيدي: "سميت بالمودّة التي هي المحبة "[١٩٠].

٨. الوداد:

قال الله ﷻ:

لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(المجادلة،٥٨ :٢٢)

(أ) قال الراغب: "الود محبة الشيء ... وقوله ﷻ: لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...، فنهى عن موالاة الكفار وعن مظاهرتهم "[١٩١].

(ب) وقال ابن منظور: "قال ابن الأنباري: الوَدُودُ في أَسماءِ الله عز وجل

---

١٨٨ المفردات، ص ٥١٧.

١٨٩ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣.

١٩٠ تاج العروس، ٥/ ٣٤.

١٩١ المفردات، ص ٥١٦.

المحبُّ لعباده من قولك وَدِدْت الرجل أَوَدّه ودّاً ووِداداً وَوَداداً "[192].

(ج) قال الزبيدي: "وِدَادَةٌ بكسر الواو كما صرَّح به ابنُ السيد في المثلّث وحكى غيرُهم فيه الضَّمَّ أَيضاً فيكون مُثَلَّثاً كالودِّ الودادِ قاله شيخُنا. قلت: وفي الأَفعال لابنِ القطّاع: وَدِدْتُ الشيءَ وُدًّا ووَدًّا: أَحبَبْتُه ولو فَعل الشيءَ ودَادَةً أَي تَمنَّيْتُه هذا كلامُ العَرب ووَادَّ فُلانٌ فُلاناً وِدَاداً ووِدَادَةً ووَدَادَةً فِعْلُ الاثنينِ. فظهرَ منه أَن الوِدَاد بالكسر والوَدَادَةَ والوِدَادة بالفتح والكسر مصدرُ وَادَّه أَي باب المُفاعَلة "[193].

٩. الإرادة:

قال الله ﷻ:

وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ (البقرة،٢ :٢٢٨)

(أ) قال الراغب: "والإرادة في الأصل قوة مركَّبة من شهوة وحاجة وأمل، وجُعِلَ اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يُفْعَل، والمراودة أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد... قال ﷻ: ...هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ... وقال ﷻ: ... تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ...."[194].

(ب) وقال ابن منظور: "وأراد الشيء أحبَّه وعُنِيَ به "[195].

---

١٩٢ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣.

١٩٣ تاج العروس، ٢/ ٥٢٩.

١٩٤ المفردات، ص ٢٠٦-٢٠٧.

١٩٥ لسان العرب، ٣/ ١٩١.

(ج) وقال الزبيدي[196]: " قال ثعلب: الإِرادَةُ تكون محبةً وغير محبة "[197].

١٠. الشغف:

قال الله ﷻ:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ (يوسف،١٢ :٣٠)

(أ) قال الراغب: "شغفها حباً أي أصاب شغاف قلبها أي باطنه "[198].

(ب) وقال ابن منظور: " الشَّغَاف غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب وسويداؤه ... وشغفه الحبُّ يشغفه شَغْفَاً وشَغَفَاً وصل إلى شغاف قلبه، وقرأ ابن عباس قد شغَّفها حباً قال: دخل حُبُّه تحت الشَّغاف "[199].

(ج) وقال الزبيدي: "وفي الصِّحاحِ: شَغَفَهُ الحُبُّ أي: بَلَغَ شَغَافَهُ، قلتُ: وهو قَوْلُ ابنِ السِّكِّيتِ وقال الفَرَّاءُ: أَي خَرَقَ شَغَافَ قَلْبِهِ وقَرَأَ ابنُ عَبَّاسٍ: قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً قال: دَخَلَ حُبُّه تَحْتَ الشَّغافِ وقال اللَّيْثُ: أي أَصابَ حُبُّهُ شَغَافَهَا "[200].

---

١٩٦ تاج العروس، ٢/ ٣٥٨.

١٩٧ **مسألة:** كيف تعتبر "الإرادة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء أعلاه في تعريف الإرادة المقترنة بالمحبة أن الإرادة كما قال ابن منظور: "أراد الشيء أحبه وعني به". وفي ذلك يقول ابن حزم:

"تجد المحب يستدعي سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في أخباره ويجعلها هجيراه (أي: دأبه وعادته) ... فلو أمكن المحب ألا يكون حديث في مكان يكون فيه إلا ذُكِر من يحبه لما تعداه". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٥-١٦).

١٩٨ المفردات، ص ٢٦٣.

١٩٩ لسان العرب، ٩/ ١٧٩.

٢٠٠ تاج العروس، ٦/ ١٥٧.

١١. الهوى:

قال الله ﷻ:

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ (المائدة،٥ :٧٠)

أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ (الفرقان،٢٥ :٤٣)

إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ (النجم،٥٣ :٢٣)

بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ (الروم،٣٠ :٢٩)

(أ) قال الراغب: "الهوى ميل النفس إلى الشهوة، وقيل سُمِّيَ بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية"[٢٠١].

(ب) وقال ابن منظور: "قال ابن سيده: الهوى العشق يكون في مداخل الخير والشر"[٢٠٢].

(ج) وقال الزبيدي: "والهوى بالقصر العشق، وقال الليث: هوى الضمير، وقال الأزهرى: هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه ومنه قوله ﷻ: "...وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ" (النازعات،٧٩ :٤٠) أي عن شهواتها وما تدعو إليه من المعاصي، قال ابن سيده: يكون في مداخل الخير والشر، وقال غيره: من تكلَّم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسن وهوى موافق للصواب"[٢٠٣].

---

٢٠١ المفردات، ص ٥٤٨.

٢٠٢ لسان العرب، ١٥/ ٣٧٣.

٢٠٣ تاج العروس، ١٠/ ٤١٥.

١٢. الاستهواء:

قال الله جَلَّجَلَالُهُ:

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ (الأنعام،٦ :٧١)

(أ) قال الراغب: "كالذي استهوته الشياطين، أي حملته على اتباع الهوى"[٢٠٤].

(ب) وقال ابن منظور: "واسْتَهْوَتْه الشياطينُ ذهبت بهَواه وعَقْله وفي التنزيل العزيز "كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ" وقيل اسْتَهْوَتْه استَهامَتْه وحَيَّرَتْه وقيل زيَّنت الشياطينُ له هَواه حَيْرانَ في حال حيرته ويقال للمُسْتَهام الذي استَهامَتْه الجنُّ اسْتَهْوَته الشياطين القتيبي استَهْوته الشَّياطينُ هَوَتْ به وأَذْهَبَتْه جعله من هَوَى يَهْوي وجعله الزجاج من هَوِيَ يَهْوَى أَي زيَّنت له الشياطينُ هَواه"[٢٠٥].

(ج) وقال الزبيدي: "وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ... كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ... أي ذهبت بهواه وعقله، وقال القتيبي: أي هوت به وأذهبته، جعله من هوى يهوي، أو استهامته وحيرته أو زينت له هواه وهذا قول الزجاج جعله من هوى يهوى"[٢٠٦].

١٣. الغوى:

قال الله جَلَّجَلَالُهُ:

---

٢٠٤ المفردات، ص ٥٤٨.

٢٠٥ لسان العرب، ١٥/ ٣٧١.

٢٠٦ تاج العروس، ١٠/ ٤١٥.

وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ (الشعراء،٢٦ :٢٢٤)

(أ) قال الراغب: "قيل معنى غوى فسد عيشه من قولهم غَوِيَ الفصيل وغَوَى نحو هَوِيَ وهَوَى"[٢٠٧].

(ب) وقال ابن منظور: "وقوله ﷻ: ... وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ... قيل في تفسيره الغاوون الشياطِينُ وقيل أَيضاً الغاوُونَ من الناس قال الزَّجَّاج والمعنى أَنَّ الشاعرَ إِذا هَجَا بما لا يجوزُ هَوِيَ ذلك قَوْمٌ وأَحَبُّوه فهم الغاوون"[٢٠٨].

(ج) وقال الزبيدي[٢٠٩]: "وقوله ﷻ: ... وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ... جاء في التفسير: أي الشياطين أو من ضل من الناس أو الذين يحبون الشاعر إذا هجا قوماً بما لا يجوز، نقله الزَّجَّاج، أو يحبونه لمدحه إياهم بما ليس فيهم ويتابعونه على ذلك"[٢١٠].

١٤. الهَم:

قال الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف،١٢ :٢٤)

---

٢٠٧ مفردات، ص ٣٦٩.

٢٠٨ لسان العرب، ١٥/ ١٤٠.

٢٠٩ تاج العروس، ١٠/ ٢٧٣.

٢١٠ **مسألة:** كيف تعتبر "الغواية" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للغواية وخاصة عند تفسيرهم لقوله ﷻ: وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ (الشعراء،٢٦ :٢٢٤)، "أن الشاعر إذا هجا بما لا يجوز هوى ذلك قوم وأحبوه" كما يقول ابن منظور، إذاً يظهر من هذا أن الغواية نوع من أنواع الحب وهي أن يحب بعض الناس الشاعر إذا هجا قوماً بما لا يجوز، أو يحبون هذا الشاعر لمدحه إياهم، كما يقول الزبيدي في تاج العروس. (الزبيدي، تاج العروس، ١٠/ ٢٧٣).

(أ) قال الراغب: "والهم ما هممت به في نفسك"[211].

(ب) وقال ابن منظور: "وسئل ثعلب عن قوله ﷻ: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ... ، قال: همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك، وهم يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها فبين الهمتين فرق ... وقال أبو عبيد: هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها"[212].

(ج) وقال الزبيدي: "والهم ما هم به في نفسه أي نواه وأراده وعزم عليه وسئل ثعلب عن قوله ﷻ: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ... قال همّت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك وهمّ يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأت بها ولم يصر عليها فبين الهمين فرق وقال أبو حاتم عن أبى عبيدة هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها"[213].

١٥. الرغب:

قال الله ﷻ:

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ (النساء،٤ :١٢٧)

---

٢١١ المفردات، ص ٥٤٥.

٢١٢ لسان العرب، ١٢/ ٦٢٠.

٢١٣ تاج العروس، ٩/ ١٠٩.

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ (الأنبياء،٢١ :٩٠)

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة،٩ :٥٩)

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ (الشرح،٩٤ :٨)

(أ) قال الراغب: "والرَّغْبَة والرَّغَب والرُّغْبى السعة في الإرادة، قال ﷻ: ... وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ...، فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه قال ﷻ: ...إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ."[٢١٤]

(ب) وقال ابن منظور: "رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبة إِذا حَرَصَ على الشيءِ وطَمِعَ فيه، والرَّغْبة السُّؤالُ والطَّمَع وأَرْغَبَنِي في الشَّيءِ ورغَّبَنِي بمعنى ورَغَّبَه أَعْطاه ما رَغِبَ".[٢١٥]

(ج) وقال الزبيدي: "رغب فيه: ... أراده، ورغب إليه:... ابتهل".[٢١٦]

١٦. التقارب، المُقارَبة، القُرب:

قال الله ﷻ:

وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ (مريم،١٩ :٥٢)

لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ (النساء،٤ :١٧٢)

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ

---

٢١٤ المفردات، ص ١٩٨.

٢١٥ لسان العرب، ١/ ٤٢٢.

٢١٦ تاج العروس، ١/ ٢٧٣.

أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة،٥ :٨٢)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة،٢ :١٨٦)

(أ) قال الراغب: "القرب والبعد يتقابلان، ... ويستعمل ذلك في المكان وفي الزمان وفي النسبة وفي الحَظْوَة والرعاية ... في الحظوة: الملائكة المقربون، وقال في عيسى عليه السلام: وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين..." [٢١٧].

(ب) وقال ابن منظور: "وفي الحديث مَنْ تَقرَّب إليَّ شِبْراً تَقرَّبْتُ إليه ذِراعاً المرادُ بقُرْبِ العَبْدِ منَ اللّه عز وجل القُرْبُ بالذِّكْر والعمل الصالح لا قُرْبُ الذاتِ والمكان لأَن ذلك من صفات الأَجسام واللّه يَتعالى عن ذلك ويَتَقدَّسُ والمراد بقُرْبِ اللّه جل جلاله من العبد قُرْبُ نعَمِه وأَلطافه منه وبِرُّه وإِحسانُه إِليه وتَرادُف مِنَنِه عنده وفَيْضُ مَواهبه عليه" [٢١٨].

(ج) وقال الزبيدي: "والتَّقَرُّبُ: التَّدَنِّي إِلى شَيءٍ والتَّوَصُّلُ إِلى إِنسان بقُرْبَةٍ أَو بِحَقٍّ. والإِقْرَابُ: الدُّنُوُّ. يُقَال: قَرِبَ فُلاَنٌ أَهلَهُ قُرْبَاناً إِذا غَشِيَهَا" [٢١٩].

١٧. الغرام:

قال الله جل جلاله:

وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ (الفرقان،٢٥ :٦٥)

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ (الواقعة،٥٦ :٦٦)

---

٢١٧ المفردات، ص ٣٩٨.

٢١٨ لسان العرب، ١/ ٦٦٧.

٢١٩ تاج العروس، ١/ ٤٢٥.

(أ) قال الراغب: "قال ﷻ: ... إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا "[220]، من قولهم هو مُغرم بالنساء أي يلازمهن ملازمة الغريم"[221].

(ب) وقال ابن منظور: "والغَرامُ اللازم من العذاب والشرُّ الدائم والبَلاءُ والحُبُّ والعشق وما لا يستطاع أَن يُتَفَصَّى منه"[222].

(ج) وقال الزبيدي: "الغرام الولوع، وقد أغرم بالشيء أي أولع به، ... والمغرم كمكرم أسير الحب ومثقل الدَّين، والمراد بالحب حب النساء كما هو نص أبي عبيدة"[223].

١٨. الهيام:

قال الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ (الشعراء،٢٦: ٢٢٥)

(أ) قال الراغب: "يقال رجل هيمان وهائم شديد العطش، وهام على وجهه ذهب، والهيام داء يأخذ الإبل من العطش ويضرب به المثل فيمن اشتد به العشق، وهام ذهب في الأرض واشتد عشقه وعطش"[224].

(ب) وقال ابن منظور: "والهُيامُ كالجنون وفي التهذيب كالجنون من العشق ... والهائم ... الذاهبُ على وجهه عِشْقاً هامَ بها هَيْماً وهُيوماً وهِياماً

---

٢٢٠ قال القرطبي في تفسير قوله ﷻ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ (الفرقان،٢٥: ٦٥): "أي لازماً دائماً غير مفارق، ومنه سُمِّي الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا أي ملازم له مولع به". (تفسير القرطبي، ١٣/ ٧١).

٢٢١ المفردات، ص ٣٦٠.

٢٢٢ لسان العرب، ١٢/ ٤٣٦.

٢٢٣ تاج العروس، ٩/ ٣.

٢٢٤ المفردات، ص ٥٤٧.

وهَيَماناً وتَهْياماً "[225].

(ج) وقال الزبيدي: "والهيام بالضم كالجنون من العشق وهو مجاز وقد هام على وجهه يهيم ذهب من العشق "[226].

١٩. الخُلَّة:

قال الله ﷻ:

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾ (النساء،٤ :١٢٥)

ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف،٤٣ :٦٧)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ (البقرة،٢ :٢٥٤)

(أ) قال الراغب: "والخُلَّة المودَّة، إما لأنها تتخلّل النفس أي تتوسّطها وإما لأنها تُخِلُّ النفس فتؤثر فيه تأثير السهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال منه: خاللته مخالَّة وخلالاً فهو خليل ... فإن الخُلَّة من تخلل الود نفسه ومخالطته كقوله: قد تخللتَ مسلك الروح مني وبه سُمِّيَ الخليل خليلاً "[227].

(ب) وقال ابن منظور: "والخِلُّ الوُدُّ والصَّدِيق ... الخُلَّة بالضم الصداقة والمحبة التي تخلَّلت القلب فصارت خِلالَه أَي في باطنه والخَلِيل الصَّدِيق فَعِيل بمعنى مُفَاعِل وقد يكون بمعنى مفعول قال وإِنما قال ذلك لأَن خُلَّتَه كانت مقصورة على حب الله ﷻ فليس فيها لغيره مُتَّسَع ولا شَرِكة من مَحابِّ الدنيا والآخرة وهذه حال شريفة لا ينالها أَحد بكسب ولا اجتهاد فإِن الطباع

---

٢٢٥ لسان العرب، ١٢/ ٦٢٦.

٢٢٦ تاج العروس، ٩/ ١١٢.

٢٢٧ المفردات، ص ١٥٣.

غالبة وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أَجمعين "[228].

(ج) وقال الزبيدي: "والخُلَّة أيضاً الصداقة المختصة التي لا خلل فيها تكون في عفاف الحب وفي دعارة منه ... والخُلُّ بالكسر والضمِّ: الصَّديقُ المُختَصُّ أو لا يُضَمُّ إلاّ مع وُدٍّ يقال: كان لي وُدّاً وخُلاً ... قال اللّهُ ﷻ: ... وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا. أو قِيل: الخَلِيلُ: الصَّادِقُ عن ابنِ الأعرابيّ. وقال الزّجّاج: هو المُحِبُّ الذي لا خَلَلَ في مَحبَّتِه وبه فَسَّر الآية أي أحَبَّه مَحبَّةً تامّةً لا خَلَلَ فيها "[229].

٢٠. الصداقة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "حب الآخرين".

قال الله ﷻ:

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (النور،٢٤: ٦١)

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ (الشعراء،٢٦: ١٠١)

---

٢٢٨ لسان العرب، ١١/ ٢١١.

٢٢٩ تاج العروس، ٧/ ٣٠٨.

(أ) قال الراغب: "والصداقة صدق الاعتقاد في المودّة وذلك مختصّ بالإنسان دون غيره"[230].

(ب) وقال ابن منظور: "والصَّداقةُ مصدر الصَّدِيق واشتقاقُه أَنه صَدَقَه المودَّة والنصيحةَ والصَّدِيقُ المُصادِقُ لك والجمع صُدَقاء وصُدْقانٌ وأَصْدِقاء وأَصادِقُ"[231].

(ج) وقال الزبيدي: "والصَّدِيق كأمِير: الحَبِيبُ المُصادِقُ لكَ يُقال ذلك للواحِدِ والجَمْعِ والمؤَنّث"[232].

٢١. الصحبة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "حب الآخرين".

قال الله ﷻ:

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة،٩ :٤٠)

(أ) قال الراغب: "الصاحب الملازم، إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل، أو بالعناية والهمة ... ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته"[233].

(ب) وقال ابن منظور: "يقال صاحب وأَصْحاب كما يقال شاهِد وأَشهاد

---

٢٣٠ المفردات، ص ٢٧٨.

٢٣١ لسان العرب،١٠/ ١٩٣.

٢٣٢ تاج العروس، ٦/ ٤٠٤.

٢٣٣ المفردات، ص ٢٧٥.

وناصِرِ وأَنْصار ومن قال صاحب وصُحْبة فهو كقولك فارِه وفُرْهَة وغلامٌ رائِق والجمع رُوقَة والصُّحْبَةُ مصدر قولك صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً وقالوا في النساءِ هنَّ صواحِبُ يوسف وحكى الفارسي عن أَبي الحسن هنّ صواحبات يوسف جمعوا صَواحِبَ جمع السلامة كقوله فَهُنَّ يَعْلُكْنَ حَدائِداتِها وقوله جَذْب الصَّرارِيِّين بالكُرور والصِّحابَة مصدر قولك صاحبَك اللّهُ وأَحْسَن صحابَتَك وتقول للرجل عند التوديع مُعاناً مُصاحَباً ومن قال مُعانٌ مَصاحَبٌ فمعناه أَنت معان مُصاحَب ويقال إِنه لَمِصْحاب لنا بما يُحَبّ"[234].

(ج) وقال الزبيدي[235]: "صحبه ... عاشَرَهُ ... والصُّحْبَةُ مَصْدَرُ قَوْلِكَ: صَحِبَ يَصْحَب صُحْبَةً. وقالوا: في النِّسَاءِ: هُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفٍ. وحَكَى الفَارِسِيُّ عَنْ أَبِي الحَسَن: هُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُف. جَمَعُوا صَوَاحِبَ جَمْعَ السَّلاَمَة. والصَّحَابة بالكَسْرِ: مَصْدَرُ قَوْلك صَاحَبَك اللهُ وأَحْسَنَ صِحَابَتَك وهُو مَجَازٌ. واسْتَصْحَبَه: دَعَاهُ إِلَى الصُّحْبَة. ولازَمَه وكُلُّ ما لاَزَم شَيْئاً فَقَد اسْتَصْحَبَه"[236].

---

٢٣٤ لسان العرب، ١/ ٥١٩.

٢٣٥ تاج العروس، ١/ ٣٣٢.

٢٣٦ **مسألة:** كيف تعتبر "الصحبة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعاريف العلماء أعلاه للصحبة أنها تعني الملازمة وهي إما أن تكون ملازمة بالبدن أو بالعناية والهمة، وقالوا في اللغة عن النساء: "هن صواحب يوسف" أي اللاتي أحببنه، ولذا قال ابن حزم في هذا:

"فإنك بينما ترى المحبين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذي لا يُقْدَرُ يصلح عند الساكن النفس السالم من الأحقاد في الزمن الطويل ولا ينجبر عند الحقود أبداً، فلا تلبث أن تراهما قد عادا إلى أجمل الصُّحبة، وأهدرت المعاتبة، وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه إلى المضاحكة والمداعبة، هكذا في الوقت الواحد مراراً. وإذا رأيت هذا من اثنين فلا يخالجك شك ولا يداخلك ريب البتةَ ولا تتمارَ في أن بينهما سراً من الحب دفيناً". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٥).

٢٢. الإيثار:

قال الله ﷻ:

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر،٥٩ :٩)

قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ (يوسف،١٢ :٩١)

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ (الأعلى،٨٧ :١٦)

(أ) قال الراغب: "المآثر ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتفضّل، ومنه آثرته ... والاستئثار التفرُّد بالشيء من دون غيره، وقولهم: استأثر الله بفلان ... تنبيه أنه ممن اصطفاه وتفرَّد تعالى به من دون الورى تشريفاً له"[٢٣٧].

(ب) وقال ابن منظور: "آثَرْتُ فلاناً على نفسي من الإيثار، الأَصمعي: آثَرْتُك إيثاراً أَي فَضَّلْتُك وفلان أَثِيرٌ عند فلان وذُو أُثْرَة إِذا كان خاصّاً"[٢٣٨].

(ج) وقال الزبيدي[٢٣٩]: "يقال: فلانٌ أَثِيري أَي من خُلَصَائِي. وفي بعض الأُصول: أَي خُلْصانِي. وفلانٌ أَثِيرٌ عند فلان وذو أُثْرةٍ إذا كان خاصّاً. رجلٌ أَثِيرٌ: مَكِينٌ مُكْرَمٌ. وفي الأَساس: وهو أَثِيرِي أَي الذي أُوثِرُه وأُقَدِّمُه"[٢٤٠].

---

٢٣٧ المفردات، ص ١٠.

٢٣٨ لسان العرب، ٤/ ٥.

٢٣٩ تاج العروس، ٣/ ٦.

٢٤٠ **مسألة:** كيف يعتبر "الإيثار" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للإيثار أن المحب يؤثر محبوبه ويجعله مقدّماً ومُفَضَّلاً عنده على غيره من خاصته وفي هذا يقول ابن حزم:

٢٣. الضلال:

قال الله ﷻ:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ (يوسف،١٢ :٣٠)

قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ (يوسف،١٢ :٩٥)

(أ) قال الراغب: "وقال ﷻ في يعقوب ؑ: ...إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ، وقال أولاده: إن أبانا لفي ضلال مبين، إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك: قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين"[٢٤١].

(ب) وقال ابن منظور: "وقد تطلق الضَّالَّة على المعاني ومنه: الكلمة الحكيمةُ ضالَّةُ المؤمن، وفي رواية: ضالَّةُ كل حكيم، أَي لا يزال يَتَطَلَّبها كما يتطلب الرجُلُ ضالَّته"[٢٤٢].

(ج) وقال الزبيدي[٢٤٣]: "وقالَ الرَّاغِبُ: هوَ العُدُولُ عن الطريقِ المُسْتَقِيمِ وتُضَادُّه الهِدَايَةُ، قالَ اللهُ ﷻ: "...فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ ..." (يونس،١٠ :١٠٨)، ويُقالُ: الضَّلالُ: لِكُلِّ عُدُولٍ عن الحَقِّ عَمْداً كانَ أو سَهْواً يَسِيراً كانَ أو كثيراً فَإِنَّ الطَّرِيقَ المُسْتَقِيمَ الذي هو المُرْتَضَى صَعْبٌ جِداً، ولهذا قال ﷺ: «**اسْتَقِيمُوا ولن تُحْصُوا**»، ولذا صَحَّ أن يُسْتَعْمَلَ

"ترى المحب يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه ومن جميع خاصته". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٢). وهذا دليل على الإيثار بالحب حيث يقدّمه كما جاء في قوله ﷻ: ... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ... (الحشر،٥٩ :٩) .

٢٤١ المفردات، ص ٢٩٨.

٢٤٢ لسان العرب، ١١/ ٣٩٠.

٢٤٣ تاج العروس، ٧/ ٤١٠.

لَفْظُهُ فيمَن يكونُ منه خَطَأٌ مَّا ولذلكَ نُسِبَ إلى الأنْبِياءِ وإلى الكُفَّارِ وإنْ كانَ بَيْنَ الضّلالَيْن بَوْنٌ بَعِيدٌ، ألاَ تَرَى أنَّهُ قالَ في النّبِيِّ ﷺ: "وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَىٰ" (الضحى،٩٣ :٧)، أي غيرَ مُهْتَدٍ لِمَا سِيقَ إلَيْكَ من النُّبوَّةِ، وقالَ ﷻ في يَعْقُوبَ عليه السلام: ... إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ، وقال أولادُهُ: "...إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (يوسف،١٢ :٨)، إشَارَةً إلى شَغَفِهِ بيوسُفَ وشَوْقِهِ إليه"[٢٤٤].

٢٤. الرضى:

قال الله ﷻ:

قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ (المائدة،٥ :١١٩)

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ (البقرة،٢ :١٤٤)

---

٢٤٤ **مسألة:** كيف يعتبر "الضلال" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء أعلاه أن معنى الضلال في اللغة هو الشغف بحب المحبوب والشوق إليه، ومنه قوله ﷻ: ...قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ (يوسف،١٢ :٣٠) ويتبين بذلك أن الضلال من أنواع الحب، قال ابن منظور: "قال الفراء: شغفها حباً أي خرق شغاف قلبها". (ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ١٧٨). فالضلال على هذا منزلة ونوع من الحب يصل إلى صميم القلب وشغافه، يقول ابن حزم:

"والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها، ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام. فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فَعَل فِعل النار ...فنجد المحبين إذا تكافئا في المحبة وتأكدت بينهما تأكداً شديداً أكثر بهما جدُّهما بغير معنى". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٥).

تَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ (التوبة،٩ :٩٦)

وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ (مريم،١٩ :٥٥)

(أ) قال الراغب: "يقال: رضي يرضى رضاً فهو مرضي ومرضوٌّ، ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتهياً عن نهيه"[٢٤٥].

(ب) وقال ابن منظور: "الرِّضا ضد السَّخط ... قال القُحَيف العُقَيلي:

إذا رَضيت عليَّ بنو قُشَيرٍ .... لَعَمرُ اللهِ أعجبني رضاها

عَدَّاهُ بعلى لأنه إذا رَضِيت عنه أحببته وأقبلت عليه"[٢٤٦].

(ج) وقال الزبيدي: "وأنشد الأخفش ...

إذا رَضيت عليَّ بنو قُشَيرٍ .... لَعَمرُ اللهِ أعجبني رضاها

كما في الصحاح. وقال ابن سيده: عَدَّاه بعلى لأنها إذا رضيت عنه أحبَّته وأقبلت عليه ... والرضي كغني الضامن ... ووجد في نسخ التهذيب الضامر، وأيضاً: المُحِبُّ، كل ذلك عن ابن الأعرابي"[٢٤٧].

٢٥. الحنان:

قال الله ﷻ:

وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ (مريم،١٩ :١٣)

(أ) قال الراغب: "الحنين النزاع المتضمن للإشفاق، يقال: حنت المرأةُ والناقة لولدها، وقد يكون مع ذلك صوت ولذلك يُعَبَّر بالحنين عن الصوت الدال

---

٢٤٥ المفردات، ص ٢٠٣.

٢٤٦ لسان العرب، ١٤/ ٣٢٤.

٢٤٧ تاج العروس، ١٩/ ٤٦٢.

على النزاع والشفقة أو متصور بصورته وعلى ذلك حنين الجذع ... ولما كان الحنين متضمناً للإشفاق والإشفاق لا ينفك من الرحمة عُبِّرَ عن الرحمة به في نحو قوله ﷻ: وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا... ، ومنه قيل الحنان المنان"[248].

(ب) وقال ابن منظور: "الحَنّانُ من أَسماء الله ﷻ قال ابن الأَعرابي الحَنّانُ بتشديد النون بمعنى الرحيم قال ابن الأَثير الحَنَّانُ الرحيم بعبادِه ... ومنه قوله ﷻ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا... وفي الحديث أَنه دخل على أُمِّ سَلَمة رضي الله عنها وعندها غلامٌ يُسَمَّى الوليدَ فقال اتَّخَذْتُمْ الوليدَ حَناناً غَيِّرُوا اسمَه أَي تَتَعَطَّفُون على هذا الاسم فتُحِبُّونه"[249].

(ج) وقال الزبيدي: "الحَنَّان كشدَّاد مَنْ يَحِنُّ إلى الشيء ويعطف عليه والحنان اسم الله تعالى فعال من الحنة وهى الرحمة"[250].

٢٦. الإعجاب:

وقد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

قال الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة،٢ :٢٢١)

وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ

---

٢٤٨ المفردات، ص ١٣٣.

٢٤٩ لسان العرب، ١٣/ ١٢٩.

٢٥٠ تاج العروس، ٩/ ١٨٤.

تَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ (المنافقون،٦٣: ٤)

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب،٣٣: ٥٢)

أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ (هود،١١: ٧٣)

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ (الجن،٧٢: ١)

(أ) قال الراغب: "العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يُعْرَف سببه، ولهذا قيل: لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية، ... ويستعار – العجب – للمُونَق فيقال: أعجبني كذا أي راقني، ويقال لمن يَرُوقُهُ نفسُهُ فلان معجب بنفسه"[٢٥١].

(ب) وقال ابن منظور: "العُجْبُ والعَجَبُ إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقِلَّةِ اعْتِيادِه ... وإِن أُسْنِدَ إِلى اللّه فليس معناه من اللّه كمعناه من العباد ... والعُجْبُ الذي يُحِبُّ مُحادثةَ النساء ولا يأْتي الريبة والعُجْبُ والعَجْبُ والعِجْبُ الذي يُعْجِبُه القُعُود مع النساءِ"[٢٥٢].

(ج) وقال الزبيدي: "وأُعْجِبَ بِهِ مَبْنِيّاً للمَفْعُول: عَجِبَ وسُرَّ بِالضَّمِّ من السُّرور كَأَعْجَبَه الأَمْرُ إِذَا سَرَّه"[٢٥٣].

٢٧. الميل:

وقد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

---

٢٥١ المفردات، ص ٣٢٢.

٢٥٢ لسان العرب، ١/ ٥٨٠.

٢٥٣ تاج العروس، ١/ ٣٦٨.

قال الله ﷻ:

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ (النساء،٤ :٢٧)

وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ (النساء،٤ :١٢٩)

(أ) قال الراغب: "الميل العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين، ويستعمل في الجور ... يُقال مِلت إلى فلان إذا عاونته"[٢٥٤].

(ب) وقال ابن منظور: "المَيْلُ: العُدول إِلى الشيء والإِقبالُ عليه وكذلك المَيْلانَ ... و تمايَل في مِشْيته تمايُلاً واستَماله واسْتَمال بقلبه. والتَّمْييل بين الشيئين: كالترجيح بينهما ... وفي حديث أَبي هريرة عن النبي قال: «**صِنْفان من أَهل النار لم أَرهُما بعدُ قومٌ معهم سِياطٌ كأَذْنابِ البَقر يضربون الناس بها ونساءٌ كاسِياتٌ عارياتٌ مائِلاتٌ مُمِيلاتٌ رُؤُوسُهنَّ كأَسْنِمة البُخْتِ المائِلة لا يَدْخُلْن الجنة ولا يَجِدْن رِيحَها وإِنَّ رِيحَها**»"[٢٥٥].

(ج) وقال الزبيدي[٢٥٦]: "مالَ إِليهِ يَميلُ مَيْلاً ... عَدَلَ وأَقْبَلَ عليهِ ... المائلاتُ: يَمِلْنَ إلى الهَوى والغَيِّ عن العفافِ"[٢٥٧].

---

٢٥٤ المفردات، ص ٤٧٨.

٢٥٥ لسان العرب، ١١/ ٦٣٥.

٢٥٦ تاج العروس، ٨/ ١٢٢.

٢٥٧ **مسألة:** كيف يعتبر "الميل" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء اللغويين أعلاه للميل أنه: "العدول إلى الشيء والإقبال عليه" ومن الطبيعي أن نجد المحب يميل إلى محبوبه، فمن مراحل الحب التي يمر بها المحب الميل شيئاً فشيئاً إلى محبوبه، حتى إنه يصبح كما قال ابن حزم:

"فما يكاد يقبل على سوى محبوبه ولو تعمد غير ذلك، وإن التكلف ليستبين لمن يرمقه فيه، والإنصات لحديثه إذا حَدّث ... ومنها الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه،

٢٨. الشهوة:

قال الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ (الأعراف،٧ :٨١)

(أ) قال الراغب: "أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة، فالصادقة ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يختل من دونه، وقد يُسمَّى المشتهى شهوة، وقد يقال للقوة التي تَشْتَهي الشيء شهوة"[٢٥٨].

(ب) وقال ابن منظور: "شَهِيتُ الشيء بالكسر ... وشَهِيَ الشيءَ وشَهاهُ يَشْهاهُ شَهْوَةً واشْتَهاهُ وتَشَهّاهُ أَحَبَّه ورَغِب فيه"[٢٥٩].

(ج) وقال الزبيدي[٢٦٠]: "واشتهاه وتشهاه أحبَّه ورغب فيه، وفي المصباح: الشهوة اشتياق النفس إلى الشيء والجمع شهوات وأشهية"[٢٦١].

وتعمد القعود بقربه والدنو منه، واطراح الأشغال الموجبة للزوال عنه، والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقته والتباطؤ في الشيء عند القيام عنه". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٣).

٢٥٨ المفردات، ص ٢٧٠.

٢٥٩ لسان العرب، ١٤/ ٤٤٥.

٢٦٠ تاج العروس، ١٠/ ٢٠٥.

٢٦١ **مسألة:** كيف تعتبر "الشهوة" نوعاً من أنواع الحب؟

٢٩. الصَبَا:

قال الله ﷻ:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣﴾ (يوسف،١٢ :٣٣)

(أ) قال الراغب: "صبا فلانٌ يصبو صبواً وصبوةً إذا نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان، قال:...أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ...، وأصباني فصبوت" [٢٦٢].

(ب) وقال ابن منظور: "الصَّبْوَة جَهْلَة الفُتُوَّةِ واللَّهْوِ من الغَزَل، ومنه التَّصابي والصِّبا صَبا صَبْواً وصُبُوّاً وصِبىً وصَباءً" [٢٦٣].

(ج) وقال الزبيدي[٢٦٤]: "الصبوة جهلة الفتوة، زاد الليث: واللهو من الغزل" [٢٦٥].

نستخلص مما قاله العلماء اللغويون أعلاه في تعريف الشهوة، أن الشهوة هي المشتهى المحبوب المرغوب فيه، فالشهوة إذاً هي الرغبة إلى المحبوب، وفي قول ابن منظور، التالي: "وتشهاه أحبه ورغب فيه" فمعناه: أن المحبوب مشتهى، فالمحب يشتهي محبوبه من جهات عدة ومنها أنه يشتهي الجلوس والحديث معه والنظر إليه حتى أنه كما قال ابن حزم:
"والحب أعزّك الله داء عياء وفيه الدواء منه على قدر المعاملة، ومقام مستلذ، وعلة مشتهاة لا يودّ سليمها البرء، ولا يتمنى عليلها الإفاقة. يُزّين للمرء ما كان يأنف منه، ويسهّل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبائع المركبة والجبلة المخلوقة ... وإني لأسمع كثيراً ممن يقول: الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء، فأطيل العجب من ذلك، وإن لي قولاً لا أحول عنه: الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشيئين سواء". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٢).

٢٦٢ المفردات، ص ٢٧٤.

٢٦٣ لسان العرب، ١٤/ ٤٤٩.

٢٦٤ تاج العروس، ١٠/ ٢٠٦.

٢٦٥ **مسألة:** كيف تعتبر "الصبوة" نوعاً من أنواع الحب؟

٣٠. الابتغاء:

قال الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة،٢ :٢٠٧)

أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ (الأنعام،٦ :١١٤)

قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ (الأنعام،٦ :١٦٤)

(أ) قال الراغب: "يُقال بَغيتَ الشيء إذا طَلَبْتَ أكثر ما يجب وابتغيت كذلك ... وابتغيتك أعنتك على طلبه ... "[٢٦٦].

(ب) وقال ابن منظور: "بغى الشيء بغواً: نظر إليه كيف هو ... وبغاه بَغياً نظر إليه كيف هو، وبغاه بغياً رقَبَهُ وانتظره ... وابتغاه وتبغَّاه واستَبغَاه كل

نستخلص من التأمل في كلام العلماء أعلاه أن معنى الصبا، كما يقول الراغب: "صبا فلان ... إذا نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان"، وقد أوضح هذا ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة) وفصَّله فقال واصفاً كيف يفعل الحب بصاحبه:

"فكم بخيل جاد، وقَطُوب تَطَلَّق، وجبان تشجع، وغليظ الطبع تطرَّب، وجاهل تأدب، وتفِلٍ تزيَّن، وفقير تجمل، وذي سنٍّ تفتَّى، وناسك تفتَّك، ومصون تبدَّل ... ومن علاقاته وشواهده الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد ... وكثرة الغمز الخفي، والميل بالاتكاء، والتعمد لِمَسِّ اليد عند المحادثة، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة، وشرب فضلة ما أبقى المحبوب في الإناء، وتحري المكان الذي يقابله فيه". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٤-١٥).

٢٦٦ المفردات، ص ٦٥.

ذلك طلبه "[267].

(ج) وقال الزبيدي[268]: "بغيته أي الشيء ما كان خيراً أو شراً طلبته ... كابتغيته وتبغيته واستبغيته ... وشاهد الابتغاء قوله ﷻ: ... فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ...، وقال الراغب: الابتغاء خص بالاجتهاد في الطلب، فمتى كان الطلب لشيء محمود فالابتغاء فيه محمود نحو: ... ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا ... وقوله ﷻ: ... إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ...، والباغي: الطالب"[269].

٣١. التفضيل:

قال الله ﷻ:

ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأَٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ (الإسراء،١٧ :٢١)

وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ (الإسراء،١٧ :٧٠)

(أ) قال الراغب: "الفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضلٌ من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان وعلى

---

٢٦٧ لسان العرب، ١٤/ ٧٥.

٢٦٨ تاج العروس، ١٩/ ٢٠٤.

٢٦٩ **مسألة:** كيف يعتبر "الابتغاء" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه لـ"الابتغاء" بأنه: الاجتهاد في الطلب، والمحب مجتهد في طلب محبوبه بلا ريب، حتى قال ابن حزم:

"ومن آياته مراعاة المحب لمحبوبه، وحفظه لكل ما يقع منه، وبحثه عن أخباره حتى لا تسقط عنه دقيقة ولا جليلة، وتتبعه لحركاته". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص٢٠).

هذا النحو قوله ﷻ: ...وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ... إلى قوله: ... تَفْضِيلا ... وفضل من حيث الذات كفضل رَجُل على آخر، فالأولان جوهريان لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه ... والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله ﷻ: وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ... (النحل،١٦ :٧١) "[٢٧٠].

(ب) وقال ابن منظور: "وقوله ﷻ: ... وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً، قيل تأويله أن الله فضلهم بالتمييز، وقال: ...عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا ...، ولم يقل على كل لأن الله ﷻ فضَّلَ الملائكة فقال: وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ... وفضَّلتهُ على غيره تفضيلاً إذا حكمت له بذلك أو صيَّرتُهُ كذلك"[٢٧١].

(ج) وقال الزبيدي: "الفضْل معروف وهو ضد النقص، ... ورجل فاضِل ذو فضْل ... كثير الفضْل والمعروف والخير والسماح، وهي مِفضالة ومُفَضَّلة ذات فضّل سمحة، والفضيلة خلاف النقيصة وهي الدرجة الرفيعة في الفضل، والاسم من ذلك الفاضّلة ... وفضَّلَهُ على غيره تفضيلاً مَزَّاهُ أي أثبت له مَزيَّة أي خِصلة تميزهُ عن غيره أو فَضَّله حكم له بالتفضيل أو صيَّرهُ كذلك"[٢٧٢].

٣٢. الزنا:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "الحب والزنا"، ويكون في الزنا حبٌ أحياناً.

قال الله ﷻ:

٢٧٠ المفردات، ص ٣٨٣.

٢٧١ لسان العرب، ١١/ ٥٢٤.

٢٧٢ تاج العروس، ٨/ ٦١.

وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء،١٧ :٣٢)

(أ) قال الراغب: "الزنا وطءُ المرأة من غير عقد شرعي"[٢٧٣].

(ب) وقال ابن منظور: "الزنا يمد ويقصر، زنى الرجل يزني زِنى مقصور وزنا ممدود وكذلك المرأة"[٢٧٤].

(ج) وقال الزبيدي[٢٧٥]: "زنى الرجُل يزني زناً وزناءً بكسرهما ... فَجَرَ، وكذلك المرأة ... قال المُناوي: الزنا ... شرعاً: إيلاج الحشفة بِفَرج مُحَرَّم بعينه خال عن شبهة مشتهى"[٢٧٦].

٣٣. الحفاوة:

قال الله ﷻ:

---

٢٧٣ المفردات، ص ٢٢٠.

٢٧٤ لسان العرب، ١٤/ ٣٥٩.

٢٧٥ تاج العروس، ١٩/ ٤٩٧.

٢٧٦ **مسألة:** كيف يعتبر "الزنا" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للزنا أنه: اتجاه بالحب بين الجنسين الذكر والأنثى إلى مرحلة وحالة مضادة ومعاكسة للشرائع والدين، ولكنه لولا وجود الحب والرغبة والزيادة على ذلك بالانسياق وراء الشهوة دون ضوابط لا يحصل الزنا ولا يقع. يقول ابن حزم واصفاً هذه العلاقة:

"وكثيرٌ من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم ويتبعون أهواءهم، ويرفضون أديانهم، ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه ورتبه في الألباب السليمة من العفة وترك المعاصي ومقارعة الهوى، ويخالفون الله ربهم ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة المُعْطِبة فيواقعون المعصية في حبهم .... الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشيئين سواء، وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال ذلك ولم يكن ثَمَّ مانع إلا وقع في شَرَكِ الشيطان واستهوته المعاصي واستفزه الحرص وتغوَّله الطمع، وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتماً مقضياً وحكماً نافذاً لا محيد عنه البته". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٢٠).

قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ (مريم،١٩ :٤٧)

(أ) قال الراغب: "الحفيُّ البَرُّ اللطيف قوله ﷻ: ... إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا، ويقال أحفيتُ بفلان وتحفيّتُ به إذا عُنِيتُ بذكرانه"[277].

(ب) وقال ابن منظور: "والحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في أمره ... تقول منه: حَفِيتُ بالكسر حفاوةً وتَحَفَيتُ به أي بالغت في إكرامه وإلطافِهِ"[278].

(ج) وقال الزبيدي: "وتحفى به تَحَفياً واحتفى به: بالغ في إكرامه وأظهر السرور والفرح. يُقال: هو حفيٌّ أي بَرٌّ مبالغ في الكرامة والتحفِّي الكلام واللِّقاء الحَسَن، وقال الزَجاج في قوله ﷻ: ...إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا، أي لطيفاً يُقال: حَفيَّ فلان بفلان حِفوةً إذا بَرَهُ وأَلطَفَهُ"[279].

٣٤. الشفقة:

قال الله ﷻ:

يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ (الأنبياء،٢١ :٢٨)

نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ (المؤمنون،٢٣ :٥٧)

(أ) قال الراغب: "الإشفاق عناية مختلطة بَخوف لأن المُشفِق يُحب المُشفَق عليه ويَخَاف ما يلحقه"[280].

---

٢٧٧ المفردات، ص١٣٢.

٢٧٨ لسان العرب، ١٤/ ١٨٨.

٢٧٩ تاج العروس، ١٩/ ٣٣٠.

٢٨٠ المفردات، ص ٢٦٧.

(ب) وقال ابن منظور: "الشفق الخِيفة ... تقول أنا مُشفق عليك أي أخاف ... والشفقة: رِقَّة من نُصحٍ أو حُبٍ يؤدي إلى خوف"[281].

(ج) وقال الزبيدي: "الشفقة حِرص الناصح على صَلاح المَنصوح، يُقال: لي عليه شَفَقة أي رحمة ورِقة وخوف من حلول مكروه به مع نُصح وقد أشفق عليه أن ينالهُ مكروه ..."[282].

٣٥. الولاية:

قال الله ﷻ:

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ (البقرة،٢ :٢٥٧)

وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ (فصلت،٤١ :٣٤)

(أ) قال الراغب: "الوَلاءُ والتَّوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حُصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويُستعار ذلك للقُرب من حيث المكان ومن حيث النِّسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنُّصرة والاعتقاد"[283].

(ب) قال ابن منظور: "وقوله ﷺ: "**اللهم والِ من والاه**" أي أحبب من أحبه ... ووالى فلان فلاناً إذا أحبه"[284].

(ج) وقال الزبيدي: "والوليُّ له معانٍ كثيرة: فمنها المُحِبُ، وهو ضد العدو،

---

٢٨١ لسان العرب، ١٠/ ١٨٠.

٢٨٢ تاج العروس، ١٣/ ٢٤٤.

٢٨٣ المفردات، ص٥٤٧.

٢٨٤ لسان العرب، ١٥/ ٤٠٩.

اسم من والاهُ إذا أحبه "[285].

٣٦. الصَغى:

قال الله ﷻ:

وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ (الأنعام، ٦: ١١٣)

(أ) قال الراغب: "الصغو: الميل، يقال: ’صغت النجوم والشمس صغواً: مالت للغروب‘ [286] ".

(ب) قال ابن منظور: "صغا إليه يصغى ويصغو صَغْواً وصُغُوَاً وصَغاً مال ... وقال ابن السكيت: ‘صغيت إلى الشيء أصغى صُغِيَّاً إذاً مِلْت وصغوت أصغو صغوا ... قال الله تعالى: "وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ" أي ولتميل وصغوه معك وصغوه وصغاه أي ميله معك، وصاغية الرجل الذين يميلون إليه ويأتونه ويطلبون ما عنده ويغشونه ... وفي حديث ابن عوف: كاتبت أمية بن خلف أن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة . هم خاصة الإنسان والمائلون إليه ... وصغا على القوم صغا إذا كان هواه مع غيرهم. "[287]

(ج) وقال الزبيدي: "صغى يصغى صغاً: مال ... وصاغيتك الذين يميلون اليك ويأتونك في حوائجهم"[288].

---

٢٨٥ تاج العروس، ٢٠/ ٣١٠.

٢٨٦ المفردات، صفحة ٢٨٥.

٢٨٧ لسان العرب، مجلد ١٤، صفحة ٤٦١.

٢٨٨ تاج العروس، مجلد رقم ١٠، صفحة ٢١٠.

٣٧. الوليجة:

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ (التوبة، ٩: ١٦)

(أ) قال الراغب: "الوليجة: كل ما يتخذه الإنسان معتمداً عليه، وليس من أهله، من قولهم: فلان وليجة في القوم: إذا لحق بهم وليس منهم؛ إنساناً كان أو غيره. قال تعالى: "وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً" (التوبة، ٩: ١٦) وذلك مثل قوله: "۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ " (المائدة، ٥: ٥١)[٢٨٩].

(ب) قال ابن منظور: "ووليجة الرجل: بطانته وخاصته ودخلته؛ وفي التنزيل: "وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً". قال أبو عبيدة: الوليجة البطانة، وهي مأخوذة من ولج يلج ولوجاً ولجة إذا دخل، أي ولم يتخذوا بينهم وبين الكافرين دخيلة مودة؛ وقال أيضاً: وليجة: كل شيء أولجته فيه وليس منه، فهو وليجة؛ والرجل يكون في القوم وليس منهم، فهو وليجة فيهم، يقول: 'ولا يتخذوا أولياء ليسوا من المؤمنين دون الله ورسوله '".[٢٩٠]

(ج) وقال الزبيدي: "قال أبو عبيدة: الوليجة: البطانة والدخيلة وخاصتك من الرجال، تطلق على الواحد وغيره . وفي العناية في آل عمران: استعيرت لمن اختص بك بدليل قولهم: لبست فلاناً، إذا اختصصته. قلت: فهو إذن مجاز. الوليجة: من تتخذه معتمداً عليه من غير أهلك"[٢٩١].

---

٢٨٩ المفردات، صفحة ٥٣٣.

٢٩٠ لسان العرب، مجلد ٢، صفحة ٣٩٩.

٢٩١ تاج العروس، مجلد ٦، صفحة ٢٦٢.

٣٨. الألفة:

قال الله ﷻ:

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ (آل عمران، ٣: ١٠٣)

وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ (الأنفال، ٨: ٦٢ – ٦٣)

(أ) قال الراغب: "والإلْفُ اجتماعٌ من التئام، يقال: ألّفْتُ بينهم، ومنه الأُلْفَةُ، ويقال للمألوف: إلفٌ وآلفٌ، قال تعالى: إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ (آل عمران،٣: ١٠٣)، وقال لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ (الأنفال، ٨: ٦٣)."

وفي الكلام يقول الراغب عن المودة: "ودد: الوُدّ مَحبّةُ الشيء وتمنّي كونِهِ، ويُستعمَل في كلّ واحد من المَعنيينِ على أن التَمَنّي يتضمّن معنى الوُدّ لأنّ التمنّي هو تَشَهّي حصول ما تَوَدُّه، وقوله: وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً (الروم، ٣٠: ٢١) وقولهُ: سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا (مريم، ١٩: ٩٦) فإشارة إلى ما أوقَع بينهم من الألفةِ المذكورة في قوله: لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ (الأنفال، ٨: ٦٣)".[٢٩٢]

(ب) وقال ابن منظور: "إئتَلَفَ الشيءُ: أَلِفَ بعضُه بعضاً، وأَلَّفَه: جمع بعضه إلى بعض، وتَأَلَّفَ: تَنظَّمَ. والإلْف: الأَلِيفُ. يقال: حَنَّتِ الإلْفُ إلى

---

٢٩٢ المفردات، صفحة ٢٣.

الإلْفِ"[293].

(ج) وقال الزبيدي: "وفي الحديث ((فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)) قال الكسائي يعني أن يكون بينكما المحبة والائتلاف"[294].

✵

في الخلاصة، فإن الله ﷻ يذكر سبعة وثلاثين نوعاً من الحب في القرآن الكريم. وكل نوع من الحب يختلف قليلاً عن الأنواع الأخرى، فلا ترادف في اللغة العربية، ولكل كلمة معنى فريد ومحدد مع اختلاف بسيط في المعنى. وأنواع الحب المختلفة المذكورة في القرآن الكريم هي: (١)الحب؛ (٢) المحبة؛ (٣) الاستحباب؛ (٤) الرحمة؛ (٥) الرأفة؛ (٦) الوُد؛ (٧) المودّة؛ (٨) الوداد؛ (٩) الإرادة؛ (١٠) الشغف؛ (١١) الهوى؛ (١٢) الاستهواء؛ (١٣) الغوى؛ (١٤) الهَم؛ (١٥) الرَغَب؛ (١٦) التقارب، المقاربة، القرب؛ (١٧) الغرام؛ (١٨) الهيام؛ (١٩) الخُلّة؛ (٢٠) الصداقة؛ (٢١) الصحبة؛ (٢٢) الإيثار؛ (٢٣) الضلال؛ (٢٤) الرضى؛ (٢٥) الحنان؛ (٢٦) الإعجاب؛ (٢٧) الميل؛ (٢٨) الشهوة؛ (٢٩) الصَبَا؛ (٣٠) الابتغاء؛ (٣١) التفضيل؛ (٣٢) الزنا؛ (٣٣) الحفاوة؛ (٣٤) الشفقة؛ (٣٥) الولاية؛ (٣٦) الصغى؛ (٣٧) الوليجة؛ (٣٨) الألفة.

---

٢٩٣ لسان العرب، مجلد ٩ ، صفحة ٩.

٢٩٤ تاج العروس، مجلد ٨ ، صفحة ١٨٠.

٢٢. الباب الرابع؛ الفصل الثاني:
مراحل الحب

وصف الله ﷻ في القرآن الكريم مراحل عدة للحب البشري ، وسنقسمها إلى ثلاثة أصناف نذكرها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يتضمن مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلّق بحب الناس لله ﷻ، وتتعلّق أيضاً بحب الناس للناس، فهي تتضمّن النوعين فتَعُم علاقة حب الناس لله ﷻ وكذلك علاقة حب الناس للناس. وهذه المراحل هي[٢٩٥]:

---

٢٩٥ وجدنا عند بعض العلماء وصف بعض مراحل الحب ، ولكن هذه المراحل غير مبنية على مصطلحات وآيات القرآن الكريم، فلم نذكرها في رسالتنا هذه، وممن ذكر تلك المراحل من العلماء:

قال **الأنصاري الهروي** (توفي سنة ٤٨١هـ): "والمحبة هي سمة الطائفة، وعنوان الطريقة، ومعقد النسبة. وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: محبةٌ تقطع الوساوس، وتلذّ الخدمة، وتسلى عن المصائب. وهي محبة تنبت من مطالعة المنة، وتثبت باتباع السنة، وتنمو على الإجابة للفاقة. والدرجة الثانية: محبةٌ تبعث على إيثار الحق على غيره، وتُلهج اللسان بذكره، وتعلق القلب بشهوده. وهي محبةٌ تظهر من مطالعة الصفات، والنظر في الآيات، والارتياض بالمقامات. والدرجة الثالثة: محبةٌ خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة، ولا تنتهي بالنعوت. وهذه المحبة هي قطب هذا الشأن، وما دونها محاب نادت عليها الألسن، وادّعتها الخليقة، وأوجبتها العقول". (الهروي، منازل السائرين، ص٨٩-٩٠).

وقال **ابن الجوزي** (توفي سنة ٥٩٧هـ): "أول ما يتجدد الاستحسان للشخص، ثم يجلب إرادة القرب منه، ثم المودة، وهو أن يود أن لو ملكه، ثم يقوى الود فيصير محبة، ثم يصير خُلَّة، ثم يصير هوى، فيهوي بصاحبه في محابِّ المحبوب من غير تمالُكٍ، ثم يصير عشقاً، ثم يصير تتيُّماً. والتتيُّم حالة يصير بها المعشوق مالكاً للعاشق، لا يوجد في قلبه سواه، ومنه

١. الفراغ:

الفراغ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى فراغ مسبق من أي حب آخر. يقول الله ﷻ:

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤)

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ (القصص،٢٨ :١٠)

فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ (الشرح،٩٤ :٧)

٢. الفقر:

الفقر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى فقر مسبق. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ (فاطر،٣٥ :١٥)

تيْم الله. ثم يزيد التتيم فيصير وَلَهاً، والولَه الخروج عن حد الترتيب، والتعطل عن أحوال التمييز. (ابن الجوزي، ذم الهوى، ص٢٣٠–٢٣١).

وقال **ابن تيمية** (توفي سنة ٧٢٨هـ): "محبة القلب للبشر على طبقات: أحدها العلاقة: وهو تعلق القلب بالمحبوب. ثم الصبابة: وهو انصباب القلب إليه. ثم الغرام: وهو الحب اللازم. ثم العشق، وآخر المراتب هو التتيم: وهو التعبد للمحبوب، والمتيم المعبود، وتيم الله عبد الله فإن المحب يبقى ذاكراً معبداً مذللاً لمحبوبه. وأيضاً فاسم الإنابة إليه يقتضي المحبة أيضاً، وما أشبه ذلك من الأسماء كما تقدم". (ابن تيمية، التحفة العراقية، ص٨٨).

هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ (محمد،٤٧ :٣٨)

وقال موسى عليه السلام في القرآن الكريم:

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ (القصص،٢٨ :٢٤)

٣. التزيُّن:

التزيُّن مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حُب الناس لله جل جلاله وحب الناس للناس إلى تزيُّن مسبق في نظر أو نفس أو قلب الذي يُحبُّ. يقول الله جل جلاله:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾ (الفتح،٤٨ :١٢)

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ (الحجر،١٥ :٣٩)

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات،٤٩ :٧)

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ

ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ (البقرة،٢ :٢١٢)[٢٩٦]

وسنشرح هذا الأمر لاحقاً في فصل "مثلث الحب".

٤. الإعجاب:

الإعجاب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الإعجاب. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة،٢ :٢٢١)

وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ (المنافقون،٦٣ :٤)

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥٢)

قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ (هود،١١ :٧٣)

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ (الجن،٧٢ :١)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

---

٢٩٦ وانظر إلى: الأنعام،٦ :٤٣؛ الأنعام،٦ :١٣٧؛ الأنفال،٨ :٤٨؛ النحل،١٦ :٦٣؛ النمل،٢٧ :٢٤؛ العنكبوت،٢٩ :٣٨؛ الأنعام،٦ :١٠٨؛ النمل،٢٧ :٤؛ فصلت،٤١ :٢٥؛ الأنعام،٦ :١٢٢؛ التوبة،٩ :٣٧؛ يونس،١٠ :١٢؛ الرعد،١٣ :٣٣؛ فاطر،٣٥ :٨؛ غافر،٤٠ :٣٧؛ محمد،٤٧ :١٤؛ يونس،١٠ :٢٤.

٥. الحُب:

الحُب كلمة تستعمل في معنى عام وفي معنى خاص، فهناك مرحلة من مراحل الحب هي مرحلة الحب. يقول الله ﷻ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

ففي هذه الآية الكريمة نرى أن كلمة "الحب" تطلق على مراحل متفاوتة من الحب وعلى ظاهرة الحب بشكل عام، والله أعلم.

وقد ذكرناه سابقاً في فصل "أنواع الحب".

٦. الرِّضا:

الرِّضا مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرِّضا. يقول الله ﷻ:

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ (المائدة،٥ :١١٩)

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (التوبة،٩ :١٠٠)

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

(المجادلة،٥٨ :٢٢)

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ (البينة،٩٨ :٨)

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ (التوبة،٩ :٩٦)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٧. التقرُّب:

التقرُّب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى التقرُّب. يقول الله ﷻ:

وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ (مريم،١٩ :٥٢)

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة،٥ :٨٢)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨: الإرادة:

الإرادة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الإرادة. يقول الله ﷻ:

وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ (البقرة،٢ :٢٢٨)

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ (الكهف،١٨ :٢٨)

وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ (الأنعام،٦ :٥٢)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٩. الابتغاء:

الابتغاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الابتغاء. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة،٢ :٢٠٧)

إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ (الليل،٩٢ :٢٠)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٠. الرَّغَب:

الرَّغَبُ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرَّغَب. يقول الله ﷻ:

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ (الشرح،٩٤ :٨)

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ (النساء،٤ :١٢٧)

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ (الأنبياء،٢١ :٩٠)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١١. الولاية:

الولاية مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الولاية. يقول الله ﷻ:

إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ (الأعراف،٧ :١٩٦)

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ (يونس،١٠ :٦٢)

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ (يوسف،١٢ :١٠١)

لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ (آل عمران،٣ :٢٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٢. الخُلَّة:

الخُلَّة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الخُلَّة. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

شَفَٰعَةٌۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ (البقرة،٢ :٢٥٤)

ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف،٤٣ ،٦٧)

وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ (النساء،٤ :١٢٥)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

١٣. الفرح:

الفرح مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الفرح. يقول الله ﷻ:

قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ (يونس،١٠ :٥٨)

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ (آل عمران،٣ :١٧٠)

ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ (الرعد،١٣ :٢٦)

فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ (المؤمنون،٢٣ :٥٣)

١٤. السكن:

السكن مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى السكن. يقول الله ﷻ:

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم،٣٠ :٢١)

١٥. الرَّجاء:

الرَّجاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الرَّجاء. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ (يونس،١٠ :٧)

وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ (النساء،٤ :١٠٤)

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢١)

وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ (النور،٢٤ :٦٠)

١٦. العمل:

العمل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى العمل. يقول الله ﷻ:

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ (يوسف،١٢ :٢٥)

قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ (يوسف،١٢ :٣٢)

وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ (هود،١١ :١٢١)

١٧. الذِّكر:

الذِّكر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الذِّكر. يقول الله ﷻ:

قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ (يوسف،١٢ :٨٥)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤١)

فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ (البقرة، ٢: ١٥٢)

فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ (البقرة،٢ :٢٠٠)

١٨. النجوى:

النجوى مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى النجوى. يقول الله ﷻ:

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ (مريم،١٩ :٥٢)

نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ (الإسراء،١٧ :٤٧)

١٩. الابتلاء:

الابتلاء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الابتلاء في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ (الأحزاب،٣٣ :١١)

۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن

ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ (البقرة، ٢: ١٢٤)

٢٠. الاطمئنان:

الاطمئنان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الاطمئنان. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ (يونس،١٠ :٧)

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد،١٣ :٢٨)

٢١. العلم:

العلم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى العلم. يقول الله ﷻ:

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ (طه،٢٠ :١١٤)

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ (يوسف، ١٢: ٥١ – ٥٢)

٢٢. المعرفة:

المعرفة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى المعرفة. يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ (البقرة،٢ :١٤٦)

وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ (المائدة،٥ :٨٣)

وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ (يونس،١٠ :٤٥)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ (الحجرات،٤٩ :١٣)

وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ (النمل،٢٧ : ٤٣-٤٤)

٢٣. المشيئة:

المشيئة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى المشيئة. يقول الله ﷻ:

نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة،٢ :٢٢٣)

تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ (الشورى،٤٢ :٢٢)

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ (الزمر،٣٩ :٣٤)

٢٤. الخوف:

الخوف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الخوف. يقول الله ﷻ:

وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ (الأعراف،٧ :٢٠٥)

يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ (النحل،١٦ :٥٠)

وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ (النساء،٤ :٩)

٢٥. الحزن:

الحزن مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الحزن في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ (يوسف،١٢ :١٣)

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ (يوسف،١٢ :٨٤)

تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥١)

وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (التوبة،٩ :٩٢)

٢٦. الألم:

الألم مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الألم في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ (النساء،٤ :١٠٤)

٢٧. البُكاء:

البُكاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى البُكاء. يقول الله ﷻ:

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ (مريم،١٩ :٥٨)

وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (التوبة،٩ :٩٢)

٢٨. التغيير:

التغيير مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى التغيير. يقول الله ﷻ:

وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ (الزمر،٣٩ :٥٤-٥٥)

ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ

نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ (يوسف،١٢ :٥٢-٥٣)

يحصل في الحب تغيير بمن يُحِب، فهذه امرأة العزيز، بعدما خانت زوجها، أبت أن تخون يوسف ﷺ. وكذلك في حب الناس الله ﷻ يحصلُ تسليم وإنابة، وهذا يعني تغييراً في النفس.

٢٩. القبض:

القبض مرحلة من مراحل الحب، ويحصل القبض في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة،٢ :٢٤٥)

٣٠. البَسط:

البَسط مرحلة من مراحل الحب، ويحصل البسط في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة،٢ :٢٤٥)

٣١. الحاجة إلى الخلوة:

الحاجة إلى الخلوة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الحاجة إلى الخلوة. يقول الله ﷻ:

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف،١٢ :٣٣)

ويلاحظ هنا أن يوسف ﵇، من بعد ما رأى "برهان ربّه"، لم يقل "السجن أفضل إلي"، ولكن قال "ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ"، فنستنبط من هذا أن يوسف ﵇ كان يحبُ أن يدخل السجن لكي يذكر ربّه خالياً ومن غير إزعاج.

٣٢. الصبر:

الصبر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الصبر. يقول الله ﷻ:

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (يوسف،١٢ :١٨)

قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسف،١٢ :٨٣)

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ (مريم،١٩ :٦٥)

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ (الكهف،١٨ :٢٨)

٣٣. الأمل:

الأمل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الأمل. يقول الله ﷻ:

قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ

ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف،١٢ :٨٦-٨٧)

ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ (الكهف،١٨ :٤٦)

ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ (الحجر،١٥ :٣)

٣٤. الغيرة:

الغيرة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس إلى الغيرة. يقول الله ﷻ:

مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ (يوسف،١٢ :٤٠)

إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ (يوسف،١٢ :٨-٩)

... وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ (الأعراف،٧ :١٤٣)

وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ (الذاريات،٥١ :٥٦)

قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ (الأنعام،٦ : ١٤)

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ (الإسراء،١٧ :٢٣)

قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ (الزخرف،٤٣ :٨١)

يلاحظ هنا أن إخوة يوسف عليه السلام غاروا من حب أبيهم له. ويلاحظ هنا أن الرسول ﷺ أُمرّ أن يقول: "فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ"، وأن موسى عليه السلام قال: "وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ"، فنستنبط هنا أنه يحصل عند الرُسل نوع من الغيرة من شدة حبُهم لله جل جلاله، والله أعلم. وهل يمكن لنا أن نعتبر نهي الله جل جلاله عن الشرك به نوعاً من أنواع الغيرة على عبادهِ؟ الله أعلم.

وأخيراً نلاحظ أنه في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، إذا حصل طلاق البينونة الكبرى بين الزوجين، فلا يمكنهما الزواج من بعضهما مرة أخرى إلا إذا تزوجت المرأة من رجل آخر ثم طلّقته (إن أرادت ذلك بالطبع). يقول الله جل جلاله:

فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٣٠)

وهنا نرى كيف تساعد الغيرة (وغيرها من العواطف) على إنعاش الحب وسرّه.

٣٥. اللّقاء:

اللّقاء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل اللّقاء في حب الناس لله جل جلاله وحب الناس للناس. يقول الله جل جلاله:

نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة،٢ :٢٢٣)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي

وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ (البقرة،٢ :٢٤٩)

ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ (البقرة،٢ :٤٦)

كما ذكرناه سابقاً في فصل "الحب الزوجي".

٣٦. المعية:

المعية مرحلة من مراحل الحب، وتحصل المعية في حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ (الفتح،٤٨ :٢٩)

إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ (الأنفال،٨ :١٩)

٣٧. قرّة العين:

أن يكون المحبوب قرة العين مرحلة من مراحل الحب، ويحصل في حب الناس لله ﷻ وفي حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ (الطور،٥٢ :٤٨)

وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان،٢٥ :٧٤)

المطلب الثاني: ويتضمّن مراحل حب الناس لله ﷻ

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلّق بحب الناس لله ﷻ (وقد تنطبق أو لا تنطبق على حب الناس لبعضهم البعض، ولكن لم نجد هذه المراحل من الحب بين الناس في القرآن الكريم)، وهذه المراحل هي:

٣٨. الوُدّ:

الوُدّ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الوُدّ. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مريم،١٩ :٩٦)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٣٩. الشفقة:

الشفقة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الشفقة. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ (المؤمنون،٢٣ :٥٧)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٤٠. الاستئناس، الأنس:

الاستئناس مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الاستئناس في حب

الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡىِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡىِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥٣)

٤١. السلام:

السلام مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى السلام. يقول الله ﷻ:

لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ (الواقعة،٥٦ :٢٥-٢٦)

وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ (يونس،١٠ :٢٥)

سَلَـٰمٌ قَوۡلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ (يس،٣٦ :٥٨)

لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾ (القدر، ٩٧: ٣ – ٥)

٤٢. الاكتفاء:

الاكتفاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الاكتفاء. يقول الله ﷻ:

فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ (البقرة،٢ :١٣٧)

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٦)

٤٣. الشُكر:

الشُكر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الشُكر. يقول الله ﷻ:

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ (الأحقاف،٤٦ :١٥)

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

(إبراهيم،١٤ :٧)

٤٤: التوكُّل:

التوكُّل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التوكُّل. يقول الله ﷻ:

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ (الطلاق،٦٥ :٣)

٤٥. "انشراح الصدر" :

"انشراح الصدر" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "انشراح الصدر". يقول الله ﷻ:

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ

ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ (الزمر،٣٩: ٢٢)

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ (الشرح،٩٤: ١)

٤٦. "لين الجلد":

"لين الجلد" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "لين الجلد". يقول الله ﷻ:

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ (الزمر،٣٩: ٢٣)

٤٧. "لين القلب":

"لين القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "لين القلب". يقول الله ﷻ:

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ (الزمر،٣٩: ٢٣)

٤٨. "قشعريرة الجلد":

" قشعريرة الجلد" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "قشعريرة الجلد". يقول الله ﷻ:

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن

يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ (الزمر،٣٩ :٢٣)

٤٩. "وجل القلب":

"وجل القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "وجل القلب". يقول الله ﷻ:

ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ (الأنفال، ٨ :٢)

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ (الحج،٢٢ :٣٥)

٥٠. التبتُّل:

التبتُّل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التبتُّل. يقول الله ﷻ:

وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ (المزمل،٧٣ :٨)

٥١. الإخبات:

الإخبات مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإخبات. يقول الله ﷻ:

وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ (الحج،٢٢ :٣٤)

٥٢. الإنابة:

الإنابة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإنابة.

يقول الله ﷻ:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ (الرعد،١٣ :٢٧)

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (الزمر،٣٩ :٥٤)

٥٣. التضرّع:

التضرّع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التضرّع. يقول الله ﷻ:

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الأعراف، ٧: ٥٥)

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ (الأعراف،٧: ٢٠٥)

٥٤. التوبة:

التوبة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التوبة.

يقول الله ﷻ:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ (الأعراف، ٧ :١٤٣)

٥٥. الاستغفار:

الاستغفار مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الاستغفار. يقول الله ﷻ:

وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ (هود،١١ :٩٠)

... وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾ (المزمل،٧٣ :٢٠)

وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ (هود،١١ :٣)

فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ (نوح،٧١ :١٠)

٥٦. "العَجَل للترضية":

"العَجَل للترضية" مرحلة من مراحل الحب لترضيه المحبوب، ويحصل "العَجَل لترضية" المحبوب في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ (طه،٢٠ :٨٤)

وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ (الأحقاف،٤٦ :١٥)

٥٧. الدعاء:

الدعاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الدعاء. يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ

حَمۡلاً خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٩)

وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٍ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة، ٢: ١٨٦)

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ (غافر، ٤٠: ٦٠)

٥٨. التذكُّر:

التذكُّر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التذكُّر. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ (الأعراف، ٧: ٢٠١)

٥٩. الاتباع:

الاتباع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الاتباع. يقول الله ﷻ:

قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

٦٠. "تمحيص القلب":

"تمحيص القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحصل "تمحيص القلب" في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ (آل عمران،٣ :١٤١)

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٍۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ (آل عمران،٣ :١٥٤)

٦١. الشَّكّ:

الشَّكّ مرحلة من مراحل الحب، أي الشّكّ في صدق الحب حرصاً على صفائه، ويحصل الشك في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ (يونس،١٠ :٩٤)

٦٢. الرَّيب:

الرَّيب مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الريب في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ

عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ (الحج، ٢٢: ٥)

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ (البقرة،٢ :٢٣)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٦٠)

٦٣. الظن:

الظن مرحلة من مراحل الحب، أي الخوف من طرد المحبوب، ويحصل الظن في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ (ص،٣٨ :٢٤)

إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ (الأحزاب،٣٣ :١٠)

٦٤. النظر:

النظر مرحلة من مراحل الحب، أي النظر بالقلب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى النظر. يقول الله ﷻ:

فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ (الروم،٣٠ :٥٠)

٦٥. التفكّر:

التفكّر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التفكّر. يقول الله ﷻ:

أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ (الروم،٣٠ :٨)

ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ (آل عمران،٣ :١٩١)

٦٦. التدبُّر:

التدبُّر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى التدبُّر. يقول الله ﷻ:

أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ (المؤمنون،٢٣ :٦٨)

كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ (ص،٣٨ :٢٩)

٦٧. "استعمال العقل":

"استعمال العقل" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى "استعمال العقل". يقول الله ﷻ:

إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ

فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ (البقرة،٢ :١٦٤)

٦٨. التبصُّر:

التبصُّر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى البصيرة. يقول الله ﷻ:

قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ (الأنعام،٦ :١٠٤)

٦٩. اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين):

اليقين مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى اليقين. يقول الله ﷻ:

كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥﴾ (التكاثر،١٠٢ :٥)

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾ (التكاثر،١٠٢ :٧)

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ (الواقعة،٥٦ :٩٥)

٧٠. الطمع:

الطمع مرحلة من مراحل الحب، وهو الأمل في حصول المطلوب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الطمع. يقول الله ﷻ:

وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف،٧ :٥٦)

٧١. الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة:

الحاجة إلى الناس مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج الناس أناساً آخرين يخالطونهم في حبهم لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ (الضحى،٩٣ :١١)

٧٢. التأوُّه:

التأوُّه مرحلة من مراحل الحب، ويحصل التأوُّه في حب الناس لله ﷻ.

يقول الله ﷻ:

وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (التوبة،٩ :١١٤)

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ (هود،١١ :٧٥)

٧٣. الأوب:

الأوب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الأوب. يقول الله ﷻ:

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ (ق ،٥٠ :٣٢)

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

(الإسراء،١٧ :٢٥)

٧٤. القنوت:

القنوت مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى القنوت. يقول الله ﷻ:

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ

يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ (الزمر،٣٩ :٩)

٧٥. القهر:

القهر مرحلة من مراحل الحب، وهو الشعور بالهيمنة المطلقة للمحبوب، ويحصل القهر في حب الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ (يوسف،١٢ :٣٩)

٧٦. الإسلام:

الإسلام مرحلة من مراحل الحب، وهو الاستسلام المطلق لإرادة المحبوب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإسلام. يقول الله ﷻ:

قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ (النمل،٢٧ :٤٤)

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ (الأنعام،٦ :١٢٥)

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ (الزمر،٣٩ :٢٢)

٧٧. الإيمان:

الإيمان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإيمان. يقول الله ﷻ:

قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (الحجرات،٤٩ :١٤)

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات،٤٩ :٧)

٧٨. الإحسان:

الإحسان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإحسان. يقول الله ﷻ:

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ (العنكبوت،٢٩ :٦٩)

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ (النحل،١٦ :١٢٨)

وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف،٧ :٥٦)

٧٩. الإخلاص:

الإخلاص مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى الإخلاص. يقول الله ﷻ:

إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ (الزمر،٣٩ :٢-٣)

المطلب الثالث: ويتضمّن مراحل حب الناس للناس

نذكر في هذا المطلب مراحل الحب التي تتعلّق بحب الناس للناس فقط، وهذه المراحل هي:

٨٠. المحبَّة:

المحبة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس لله ﷻ إلى المحبة. يقول الله ﷻ:

أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ (طه،٢٠ :٣٩)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب" وشرحنا أنها نوع من الحب بين الناس أو نوع من الحب من الله ﷻ إلى الناس.

٨١. "وجود الجمال":

"وجود الجمال" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى "وجود الجمال" الحسي والمعنوي. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ (طه،٢٠ :١٣١)

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف،١٢ :٣١)

٨٢. التعارف:

التعارف مرحلة من مراحل الحب، ويحصل التعارف في حب الناس للناس، يقول الله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ (الحجرات،٤٩ :١٣)

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ٤٥﴾ (يونس،١٠ :٤٥)

٨٣. المَيْل:

المَيْل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المَيْل.

يقول الله ﷻ:

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ (النساء،٤ :٢٧)

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ (النساء،٤ :١٢٩)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٤. المودَّة:

المودَّة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المودَّة.

يقول الله ﷻ:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ (الروم،٣٠ :٢١)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٥: الرَّأفة:

الرَّأفة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الرَّأفة.

يقول الله ﷻ:

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة،٩ :١٢٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٦. الشهوة:

الشهوة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الشهوة أي الرغبة في القُرب الحسِّي والمعنوي. يقول الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ (النساء،٤ :٢٧)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٧. الهوى:

الهوى مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الهوى.

يقول الله ﷻ:

أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ (الفرقان،٢٥ :٤٣)

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ (النجم،٥٣ :٣)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٨. الهَمّ:

الهَمِّ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الهَمِّ أي توجه القلب. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف،١٢ :٢٤)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحب في فصل "أنواع الحب".

٨٩. المتعة:

المتعة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المتعة. يقول الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

٩٠. الاستمتاع:

الاستمتاع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الاستمتاع. يقول الله ﷻ:

وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ

فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء، ٤: ٢٤)

٩١. الكرم:

الكرم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الكرم.

يقول الله ﷻ:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

٩٢. الرحمة:

الرحمة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الرحمة.

يقول الله ﷻ:

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٦)

ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ (غافر، ٤٠: ٧)

وبما أن رحمة الله ﷻ "وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ" وهي مكتوبة "لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" فهي تشمل حب الناس لبعضهم البعض.

٩٣. اللُّطف:

اللطف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى اللُّطف. يقول الله ﷻ:

ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ (الشورى،٤٢ :١٩)

ولأن الله ﷻ هو اللطيف و "لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ" و "يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ" منهم، نفهم أن حب "مَن يَشَآءُ" منهم لبعضهم البعض يتطلّب اللطف.

٩٤. المغفرة، الغفران:

المغفرة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المغفرة. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (التغابن،٦٤ :١٤)

٩٥. العفو:

العفو مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى العفو. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (التغابن،٦٤ :١٤)

٩٦. الصَّفح:

الصَّفح مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى الصَّفح. يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (التغابن،٦٤ :١٤)

٩٧. المعروف:

المعروف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حب الناس للناس إلى المعروف. يقول الله ﷻ:

أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ (الطلاق،٦٥ :٦)

٩٨. المراودة:

المراودة مرحلة من مراحل الحب، وتحصل المراودة في حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ (يوسف،١٢ :٢٦)

وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ (يوسف،١٢ :٣٠)[٢٩٧]

---

٢٩٧ **مسألة:** لمَ تعتبر المراودة مرحلة من مراحل الحب؟

قال ابن منظور: "وراود جاريته عن نفسها، وراودته هي عن نفسه إذا حاول كل واحد من صاحبه الوطء والجماع، ومنه قوله تعالى: ... تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ... فجعل الفعل لها، وراوَدْتُهُ على كذا مراودة ورِواداً أي: أَرَدْتُهُ". (ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ١٨٧).

وقال الفيروزأبادي: "المراجعة والمراودة"، وقال في موضع آخر: "وراودته عن الأمر وعليه: داريته"، كما قال في موضع آخر أيضاً: "والمراوغة: المراودة". وقال أيضاً في مادة

وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ (القمر، ٥٤: ٣٧)

٩٩. الاستحياء:

الاستحياء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الاستحياء في حب الناس للناس. يقول الله ﷻ:

فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا

فرغل: "وقولهم في المثل: أغزل من فُرغُل هو من الغزل والمراودة". وقال أيضاً: "والمراودة: المراجعة والمراددة"، (الفيروزآبادي، القاموس المحيط). وقال الرازي: "وراوده على كذا مراودة ... أي أراده". (الرازي، مختار الصحاح، ص١١٠).

فنستخلص من أقوال العلماء أعلاه أن المراودة لها عدة معان، منها: الدعوة إلى الوطء والجماع، ومنها: المراجعة، فتكون المراجعة والمحاولة في الحب ليصل المحبوب إلى الاقتناع بحب محبه، ومن معانيها أيضاً: الغزل، والغزل شعار الحب. فتكون المراودة هنا هي تكرار المحاولات لوصول المحب إلى قلب محبوبه. فهي إحدى مراحل الحب والوصول للمحبوب.

فالمراودة جزء من الحب كما أن الغيرة جزء من الحب وعلامة على وجوده، فالغيرة مثلاً تقتضي أن المحب يُحب محبوبه، والمراودة لها جانب جنسي كما تقدم في التعريفات السابقة وهي تحصل بين الزوجين، فتكون مراودة مباحة أو مشروعة، وإذا حصلت بين غير الزوجين فإنها تكون مذمومة ومحرمة في الشرع. وهنا نقول بما أنه قد جاء في اللغة أن من معاني المراودة "المراجعة" وإرادة الوصول لحب المحبوب ورضاه فإن العبد أيضاً حريص على مراجعة ربه ﷻ بالثبات على أداء الفرائض والإكثار من النوافل مرة بعد مرة ليصل إلى مقام محبة الله ﷻ له، وفي ذلك جاء الحديث القدسي:

«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». (رواه البخاري، رقم ٦٥٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع).

سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ (القصص،٢٨ :٢٥)

١٠٠. عدم الإحساس بالحال:

عدم الإحساس بالحال مرحلة من مراحل الحب، ويحصل عدم الإحساس بالحال في حب الناس. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف،١٢ :٣١)

✵

في الخلاصة: فقد جمعنا في هذه المطالب الثلاثة جميع مراحل الحب التي استطعنا أن نستنبطها من القرآن الكريم، ورتّبناها ضمن ثلاثة مطالب:

(أ) مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس؛ وهي:

(١) الفراغ؛ (٢) الفقر؛ (٣) التزيّن؛ (٤) الإعجاب؛ (٥) الحب؛ (٦) الرّضا؛ (٧) التقرّب؛ (٨) الإرادة؛ (٩) الابتغاء؛ (١٠) الرّغَب؛ (١١) الولاية؛ (١٢) الخُلّة؛ (١٣) الفرح؛ (١٤) السكن؛ (١٥) الرّجاء؛ (١٦) العمل؛ (١٧) الذِكر؛ (١٨) النجوى؛ (١٩) الابتلاء؛ (٢٠) الاطمئنان؛ (٢١) العلم؛ (٢٢) المعرفة؛ (٢٣) المشيئة؛ (٢٤) الخوف؛ (٢٥) الحزن؛ (٢٦) الألم؛ (٢٧) البكاء؛ (٢٨) التغيير؛ (٢٩) القبض؛(٣٠) البَسط؛ (٣١) الحاجة إلى الخلوة؛ (٣٢) الصبر؛ (٣٣) الأمل؛ (٣٤) الغيرة؛ (٣٥) اللقاء؛ (٣٦) المعية؛ (٣٧) قرّة العين.

(ب) مراحل حب الناس لله ﷻ؛ وهي:

(٣٨) الود؛ (٣٩) الشفقة؛ (٤٠) الاستئناس، الأنس؛ (٤١) السلام؛ (٤٢) الاكتفاء؛ (٤٣) الشكر؛ (٤٤) التوكل؛ (٤٥) انشراح الصدر؛ (٤٦) لين الجلد؛ (٤٧) لين القلب؛ (٤٨) قشعريرة الجلد؛ (٤٩) وجل القلب؛ (٥٠) التبتّل؛ (٥١) الإخبات؛ (٥٢) الإنابة؛ (٥٣) التضرّع؛ (٥٤) التوبة؛ (٥٥) الاستغفار؛ (٥٦) العَجَل للترضية؛ (٥٧) الدعاء؛ (٥٨) التذكّر؛ (٥٩) الاتباع؛ (٦٠) تمحيص القلب؛ (٦١) الشكّ؛ (٦٢) الريب؛ (٦٣) الظن؛ (٦٤) النظر؛ (٦٥) التفكّر؛ (٦٦) التدبّر؛ (٦٧) استعمال العقل؛ (٦٨) التبصر؛ (٦٩) اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين)؛ (٧٠) الطمع؛ (٧١) الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة؛ (٧٢) التأوّه؛ (٧٣) الأوب؛ (٧٤) القنوت؛ (٧٥) القهر؛ (٧٦) الإسلام؛ (٧٧) الإيمان؛ (٧٨) الإحسان؛ (٧٩) الإخلاص.

(ج) مراحل حب الناس للناس؛ وهي:

(٨٠) المحبة؛ (٨١) وجود الجمال؛ (٨٢) التعارف؛ (٨٣) الميل؛ (٨٤) المودة؛ (٨٥) الرأفة؛ (٨٦) الشهوة؛ (٨٧) الهوى؛ (٨٨) الهمّ؛ (٨٩) المتعة؛ (٩٠) الاستمتاع؛ (٩١) الكرم؛ (٩٢) الرحمة؛ (٩٣) اللطف؛ (٩٤) المغفرة، الغفران؛ (٩٥) العفو؛ (٩٦) الصفح؛ (٩٧) المعروف؛ (٩٨) المراودة؛ (٩٩) الاستحياء؛ (١٠٠) عدم الإحساس بالحال.

فبلغ مجموعها مائة مرحلة تتضمّن جميعها الحب البشري. فالحب البشري مكوّن من هذه المراحل جميعاً، لأن الحب البشري هو ما يحصل في الإنسان أثناء الحب وليس ما يحصل في محبوب الإنسان أثناء الحب. فالحب البشري الكامل مكون من جميع هذه المراحل. ولا نقطع بأن هذه هي جميع مراحل الحب الموجودة في القرآن الكريم، وأنه لا يستنبط منه غيرها، ولكن هذه المراحل التي ذكرناها تشكل – إن شاء الله ﷻ – معظم مراحل الحب

الرئيسة بقدر ما أفاض الله ﷻ علينا به، وتعطينا صورة واضحة لعملية مسار الحب، واستنباط سر ما يجري في وقوع الحب أيضاً، كما سنرى إن شاء الله في الفصل الذي يليه عن "الوقوع في الحب".

❋

مسألة: ما الفرق بين حب البشر لله ﷻ وحب البشر للبشر؟

الجواب: إن هناك بعض الفروق بين هذين الحبين، منها: أن حب البشر لله ﷻ أشد، ... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ... (البقرة،٢ :١٦٥)، ومنها أيضاً: أن أعلى ملكتين وهبهما الله ﷻ للإنسان وهما اللب والفؤاد لا دور لهما في حب البشر للبشر: فقد ذكرنا في فصل "الوقوع في الحب" أن اللب لا عيب فيه ولا عمى ولا ريب ولا يحتاج إلى تثبيت، ويكون دائما تقياً ذاكراً بصيراً، كما قال ﷻ: وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ (ص،٣٨ :٢٩)، فلا يصل حب الإنسان للإنسان إلى اللب، لأن حب الإنسان للإنسان يتضمن التغيير والاختلاف. وأما بالنسبة للفؤاد، فهو يحتاج إلى تثبيت، ويهوى الخير عند المؤمنين ويصغي عند الكافرين، وهو يرى، قال ﷻ: مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ (النجم،٥٣ :١١)، فلا يصل حب الإنسان للإنسان إلى الفؤاد لأن حب الإنسان للإنسان لا يتضمن رؤية الفؤاد من خلال نور الله ﷻ كما هو الحال في الحب لله ﷻ. أما بالنسبة للقلب وما دون ذلك من ملكات الصدر والنفس فهي تشترك في الحب لله ﷻ والحب للبشر، والله أعلم.

أما بالنسبة للحب الجنسي (وهو حب يتعلق بجسم الإنسان) فلا علاقة له بحب الإنسان لله ﷻ، إلا أن محبي الله ﷻ الصادقين الذين بلغوا الدرجات العُلى في الحب تتفاعل عند ذكر الله ﷻ جميع ذرات وأجزاء البدن لديهم بالإضافة إلى القلب والعقل والجوارح فيكون لها دور في حب الله ﷻ، ونرى

هذا في قوله ﷻ:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ (الأنعام،٦ :١٦٢-١٦٣).

والله ﷻ أعلم.

✵

٢٣. الباب الرابع؛ الفصل الثالث:
الوقوع في الحب

المطلب الأول: مكوّنات الإنسان وملكاته

قبل أن نعرف ما هو الوقوع في الحب، يجب علينا أن نعرف من هو الإنسان؛ فالوقوع في الحب شيء يحدث في داخل الإنسان، وشيء يحدث للإنسان. ومن غير المنطقي أن نسعى إلى فهم أفعال شيء ما من دون أن نفهم الشيء نفسه.

الإنسان مخلوق من ثلاثة عناصر رئيسة: الجسم، والنفس، والروح. والجسم فردي ومادي؛ والنفس فردي ولكن لطيف؛ والروح فوق الفردي وفوق المادي.

(أ) الجسم:

ذكر الله ﷻ أجسام الناس في القرآن الكريم. يقول الله ﷻ:

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ (البقرة،٢ :٢٤٧)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ (المنافقون،٦٣ :٤)

وللجسم حَواس مثل السمع والبصر. يقول الله ﷻ:

يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ (البقرة،٢ :٢٠)

وأشار الله ﷻ إلى حواس الجسم الأخرى وهي التذوّق، والشم، واللّمس. فأشار ﷻ إلى التذوّق في الآيتين التاليتين:

وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾ (المؤمنون،٢٣ :٢٠)

وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ (الرعد،١٣ :٤)

وذكر الله ﷻ اللّمس في الآية التالية:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ (النساء،٤ :٤٣)

وأشار الله ﷻ إلى الشم في الآية التالية:

وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ (الرحمن،٥٥ :١٢)

"وَٱلرَّيۡحَان" هو "الورق المشموم"[٢٩٨].

(ب) النفس:

ذكر الله ﷻ ثلاثة "أنواع" أو "أجزاء" من النفس، وهي: "النفس الأمارة بالسوء"، "النفس اللوامة"، "النفس المطمئنة". يقول الله ﷻ:

---

٢٩٨ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٧٠٩.

وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾
(يوسف،١٢ :٥٣)

وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ (القيامة،٧٥ :٢)

يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ (الفجر،٨٩ :٢٧)[٢٩٩]

وذكر الله ﷻ ملكات نفس الإنسان. كما ذكر الله ﷻ عقل الإنسان.

يقول الله ﷻ:

أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ (البقرة،٢ ،٧٥)

أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ (البقرة،٢ :٤٤)

وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ (الملك،٦٧ :١٠)

وذكر الله ﷻ قُدرة الإنسان على التعلُّم:

ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ (العلق،٩٦ :٣-٥)

وذكر الله ﷻ قُدرة الإنسان على الكلام:

قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ (البقرة،٢ :٣٣)

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ (الرحمن،٥٥ :١-٤)

وذكر الله ﷻ إرادة الإنسان (مع أن الإرادة تعتبر نوعاً من أنواع الحب، كما رأينا في فصل "أنواع الحب"):

---

٢٩٩ وذكر الإمام الغزالي – وربما هذا أفضل ما كُتب في هذا الموضوع – معاني النفس والقلب والعقل والروح في كتابه "كتاب شرح عجائب القلب" وهو الجزء الحادي والعشرون من كتابه العظيم "إحياء علوم الدين"، ولكننا أحببنا أن نتكلم على الحب من القرآن الكريم.

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

(الإسراء،١٧ :١٩)

وذكر الله ﷻ عاطفة الإنسان: وهذا ما رأيناه في آخر فصلين ("أنواع الحب" و"مراحل الحب") بالذات لأن الحب عاطفة عند الإنسان بالإضافة إلى "مَيل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن". يقول الله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة،٥ :٥٤)

وذكر الله ﷻ ذاكرة الإنسان:

وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ (يوسف،١٢ :٤٥)

وذكر الله ﷻ خَيَال الإنسان:

قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ (طه،٢٠ :٦٦)

وذكر الله ﷻ إحساس الإنسان:

يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف،١٢ :٨٧).

وذكر الله ﷻ شعور الإنسان:

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ (الشعراء،٢٦ :١١٣).

وذكر الله ﷻ إيناس الإنسان:

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ (القصص،٢٨ :٢٩)

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ

تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ (النمل،٢٧ :٧).

وذكر الله ﷻ بَصِيرة الإنسان:

قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ (الأنعام،٦ :١٠٤)

وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ (التحريم،٦٦ :٣)

قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف،١٢ :٨٦-٨٧)[٣٠٠]

وقد رأينا في مطلبٍ في الفصل الأول من الباب الثالث،: في حب الإنسان لله ﷻ، النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى الإنسان في حبّ الله ﷻ أنّ ملَكات النفس البشرية الرئيسية الثلاث هي: الإرادة والعاطفة والعقل. ووفقاً لذلك يمكن القول إن مَلَكة الكلام هي جزء من – أو امتداد – للإرادة والعقل؛ وإن الشعور البشري هو جزء من – أو امتداد – للعاطفة؛ وإن مَلَكة التعلّم هي جزء من – أو امتداد – للعقل؛ وإن "الإيناس" "يربط" النفس بالجسم؛ وإن الإحساس والبصيرة "يربطان" النفس بالروح؛ وإن الذاكرة والخيال يربطان النفس بالماضي والمستقبل على

٣٠٠ وذكر الإمام الغزالي – في كتابه الفلسفي "مقاصد الفلاسفة"، الفن الثالث "في الطبيعيات" – الحواس الباطنية للإنسان وهي: الحس المشترك، والقوة المُتصَورة، والقوة المتخيلة، والقوة الوهمية، والقوة الذاكرة، [ص ٣٥٦]؛ كما ذكر قوتين للنفس وهما: القوة العالمة، والقوة العاملة، [ص ٣٥٩]، ولكننا أحببنا أن نتكلم على الحب من القرآن الكريم.

التوالي، والله أعلم.

(ج) الروح:

ذكر الله ﷻ أنه نفخ في الإنسان من روحهِ:

ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ (السجدة،٣٢ :٩)

وبالنسبة للروح، لا يمكن للإنسان أن يعلم الكثير عنها لأن الله ﷻ قال:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ (الإسراء،١٧ :٨٥)

❋

وذكر الله ﷻ حقائق أخرى للإنسان، وهي: الصدر، والقلب، والفؤاد، واللُّب (وكأنها تأتي بين النفس والروح).

أما بالنسبة للصدر فهو مركز الكُفر، والوسواس، ولكنه أيضاً مركز للانشراح. يقول الله ﷻ:

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ (النحل،١٦ :١٠٦)

مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ (الناس،١١٤ :٤-٦)

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ

لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ (الأنعام،٦ :١٢٥)

أما بالنسبة للقلب فهو يَعمى، ويكون فيه ريب، وغِلّ، ولكنه أيضاً يكون فيه إيمان، واطمئنان، وسكينة. يقول الله ﷻ:

أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ (الحج،٢٢ :٤٦)

إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ (التوبة،٩ :٤٥)

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ (الحشر،٥٩ :١٠)

قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (الحجرات،٤٩ :١٤)

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ (الفتح،٤٨ :٤)

أما بالنسبة للفؤاد، فقد يكون فارغاً، ويحتاج إلى تثبيت، ويَهوى الخير في الدنيا عند المؤمنين، ويُصغي عند الكافرين (ويهوى الشر عند الكافرين في الآخرة)، ولكنه يَرى. يقول الله ﷻ:

وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ (القصص،٢٨ :١٠)

وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ (هود،١١ :١٢٠)

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ

وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ (الفرقان،٢٥ :٣٢)

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ (إبراهيم،١٤ :٣٧)

وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ (الأنعام،٦ :١١٣)

مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾ (إبراهيم،١٤ :٤٣)

مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ (النجم،٥٣ :١١)

وأخيراً، بالنسبة للُّب، فلا عيب فيه، ولا عمى، ولا ريب، ولا يحتاج إلى تثبيت، ويكون دائماً تقياً ذاكراً وبصيراً:

قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ (المائدة،٥ :١٠٠)

ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ (البقرة،٢ :١٩٧)

يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ (البقرة،٢ :٢٦٩)

هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ (إبراهيم،١٤ ،٥٢)

كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ (ص،٣٨ :٢٩)

من الواضح أنّ القلب أرقى وأطهر من الصدر، وأن الفؤاد أرقى وأطهر من القلب، وأن اللُّب أرقى وأطهر من الفؤاد. كما هو واضح أيضاً

أن القلب والصدر والفؤاد واللُّب ليست حقائق جسمانية فحسب، ولكنها حقائق لطيفة تتسلل بين النفس والروح: فالصدر كأنه يشترك مع النفس في شُحِها. يقول الله ﷻ:

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ (النساء،٤ :١٢٨)

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر،٥٩ :٩)

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرًا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ (التغابن،٦٤ :١٦)

وكذلك كأن اللُّب يشترك مع الروح في سِرِه وعلمه. يقول الله ﷻ:

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ (غافر،٤٠ :١٥)

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف،١٢ :٨٧)

والله أعلم[٣٠١].

٣٠١ وذكر الحكيم الترمذي – وربما هذا أفضل ما كُتب في هذا الموضوع – معاني الصدر والقلب والفؤاد واللب في كتابه "بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللُّب"، ولكننا أحببنا أن نأتي بالمادة من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: سر الوقوع في الحب

بعدما رأينا وسمّينا مكوّنات وملَكات الإنسان، نستطيع الآن – إن شاء الله ﷻ – أن نفهم سِر الوقوع في الحب وماذا يحصل في جميع مراحل الحب التي ذكرناها سابقاً في فصل "مراحل الحب" وتنبثق من إحدى مكوّنات أو ملكات الإنسان على الشكل التالي:

١. الجسم: المتعة، الاستمتاع، الألم، "قشعريرة الجلد"، "لين الجلد"، عدم الإحساس بالحال.

٢. النفس: الفراغ، الفقر، الابتلاء، الحزن، الألم، البُكاء، التغيير، القبض، البَسط، الحاجة إلى الخلوة، المعية، الحاجة إلى الناس، التأوّه، القهر.

٣. النفس الأمّارة بالسوء: المراودة.

٤. النفس اللوامة: الكرم، الرحمة، اللطف، المغفرة، العفو، الصَّفح، المعروف، الاستحياء، التبتُّل، الإخبات، الإنابة، التضرُّع، التوبة، الاستغفار، الأوبة، القنوط.

٥. النفس المطمئنة: السكون، السلام، الاكتفاء، الشُّكر، التوكُّل.

٦. العقل: العلم، المعرفة، الشَّكّ، الرَّيب، الظَّن، النَّظر، التفكُّر، التدبُّر، "استعمال العقل"، "التعارف".

٧. قدرة الإنسان على التعلم: الاتِّباع.

٨. قدرة الإنسان على الكلام: النجوى.

٩. إرادة الإنسان: العمل، المشيئة، الخوف، الصبر، الأمل، الغيرة، "العجل للترضية"، الدعاء.

١٠. عاطفة الإنسان: الإعجاب، الميل، الحُب، المحبَّة، الوُدّ، المودَّة، الرِّضا، الشفقة، الرأفة، التقرُّب، الإرادة، الابتغاء، الرّغب، الولاية، الشهوة، الهوى، الهَم، الفرح، الرَّجاء، قرة العين، الطمع.

١١. الذاكرة: الذِّكر، التذكُّر.

١٢. الخيال: التزيُّن.

١٣. الإحساس: "وجود الجمال".

١٤. الشعور: الألم، العلم.

١٥. الإيناس: الاستئناس، اليقين (علم اليقين).

١٦. البصيرة: البصيرة، اليقين (عين اليقين، حق اليقين).

١٧. الصدر: "لين الجلد"، الإسلام.

١٨: القلب: الاطمئنان، "لين القلب"، "وجل القلب"، "تمحيص القلب"، الإيمان.

١٩. الفؤاد: الإحسان، الفراغ.

٢٠. اللُّب: الإخلاص.

٢١. الروح: اللِّقاء.

ومن هنا يتضح نمط معين: كل مراحل الحب ترجع إلى مكونات ومَلَكات الإنسان بأكملها؛ وكل مكونات ومَلَكات الإنسان تنخرط – كل بطريقتها الخاصة وحسب طبيعتها – في الحب. بعبارة أخرى، فإن كل شيء يحدث أثناء الوقوع في الحب – من الرجاء إلى الخوف؛ ومن الفرح إلى الغيرة؛ ومن القبض والحاجة إلى الخلوة إلى البسط والحاجة إلى الناس والحاجة إلى الجلوة؛ ومن الاستهواء والهمّ والرغب إلى الحزن والألم والبكاء – كلها نتائج مباشرة لعملية قيام جسد ونفس أو روح المُحِب بالتعلّق والارتباط بالمحبوب. ومن هنا يمكن لنا أن نرى بسهولة ما هو الوقوع في الحب: الوقوع في الحب هو "مَيل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسن، من بعد الإعجاب به". أي أن الوقوع في الحب هو ميْل كل ما في الإنسان إلى المحبوب.

وهذا قد يأتي تدريجياً أو فجأة بناءً على الحالة لدى محب، أو محبوبين

مختلفين، ولكن في جميع الأحوال يأتي بالطريقة نفسها والعملية نفسها لأن مُكونات ومَلَكات الإنسان لا تختلف بعينها من شخص إلى آخر. والله ﷻ يقول:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم،٣٠ :٣٠)

فكل مراحل الحب – من متعة وألم[٣٠٢] وخوف وطمع وشعور وتفكير – ما هي إلا مَلَكات الجسم والنفس والروح في عملية ميلها وارتباطها بمحبوب معين. فالحب يتطلب كل ما في الإنسان، فكل ما في المحب من ملكات وغيرها تتشارك في الميل نحو حبيبه، وهذا هو السِر العظيم في الوقوع في الحب[٣٠٣]، والله أعلم.

---

٣٠٢ هذه المراحل تكون أحياناً مؤلمة وأحياناً بلذة، بالتوالي أو معاً، حسب (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله في فصل "طبيعة الحب") حالات القبض والبسط وتأثيرهما على ملكات الإنسان المختلفة. يقول الله ﷻ:

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة،٢ :٢٤٥)

ولكن بعد القبض سيكون إن شاء الله للمؤمن دائماً بسط وتيسير. يقول الله ﷻ:

.... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ (الطلاق،٦٥ :٤)

.... سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ (الطلاق،٦٥ :٧)

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ (الشرح،٩٤ :٥-٨)

٣٠٣ وهذا هو سبب عدم فهم الفكر الحديث للحب: فالعلم الحديث يختصر الإنسان ويبسّطه ليصبح مجرد كائن حيّ يمكن تعريفه من خلال علم الأحياء والفيزياء والكيمياء، ويصبح الحب في نظر الفكر الحديث حالة من الشهوة المهذبة أو المشتدة وليدة الدوافع الكيميائية أو الكهربائية. والعلم الحديث لا يميّز ملكات الإنسان على هذا النحو وينكر وجود "مكونات" الإنسان العليا كالنفس والقلب (الروحي) والروح. لذلك لا يمكن للعلم الحديث أن يرى العملية التي تميل فيها الملكات البشرية و"المكونات" الروحية بشكل منهجي

❋

مسألة: ما الفرق بين الحب البشري لله وحب الأشياء والجمادات لله ﷻ؟

الجواب: إن الحب البشري لله ﷻ يتميز بما وهب الله ﷻ الإنسان من ملكات (كالنفس والروح والعقل والقلب والخيال والإرادة ... إلى آخره كما وصفنا سابقاً) بينما حب الأشياء والجمادات لله ﷻ هو حب فطري طبيعي ولا يتطلب الملكات الخاصة بالإنسان. فإنه يوجد في الحب البشري مراحل وأنواع للحب، وهذه الأنواع والمراحل تعود أصلاً كل واحدة منها إلى إحدى الملكات الخاصة بالإنسان أو أكثر، ولكن لا توجد هذه المراحل والأنواع من الحب في حب الجمادات الطبيعي الفطري لله ﷻ. فالملائكة لا تملك أجساماً مادية، ولكنها تحب الله ﷻ، والصخور مثلاً لا قلب لها ولكنها تحب الله ﷻ أيضاً. فهذا هو الفرق بينهما، وهذا هو تفسير الحب البشري في ضوء الحب الكوني الشامل.

❋

تجاه المحبوب. لذلك فلا يمكنه أن يميز أو يفهم الحب أو الوقوع في الحب بشكل صحيح. وبالطبع نحن لا ننكر العمليات الكيميائية والبيولوجية والجسدية التي تتجلّى في الجسم عند وقوع الإنسان في الحب؛ نحن فقط نؤكد أنها آثار الحب وليست سببها – أو على الأقل في حالة الناس الذين تسيطر أنفسهم على أجسادهم إلى درجة ما.

٢٤. الباب الرابع؛ الفصل الرابع:
نمو الحب

المطلب الأول: كيف ينمو الحب؟

ونقصد بهذا كيف يشتّد الحب، وكيف يتحوّل الحب إلى درجة أعمق وأشد؟ يقول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

فهذه الآية تثبت أن للحب درجات مع أن تعريف الحب – هو "ميل من بعد الإعجاب بالحُسن" – ينطبق على جميع درجات شدة الحب وأنواعه. فكيف تشتدُّ قوة الحب أحياناً، ولِمَ يشتدُّ الحب في بعض الأحيان، ويفتر ويموت أحياناً أخرى؟

قد رأينا في الفصل السابق ("الوقوع في الحب")، أن الوقوع في الحب هو: "مَيل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسن من بعد الإعجاب به". فيترتّب على هذا أن الحب ينمو من خلال مَيل مكونات ومَلَكات الإنسان واحدة تِلوَ الأخرى إلى المحبوب. وبالفعل نرى في القرآن الكريم أن الملكات تُغذّي بعضها بعضاً وتقوِّي بعضها بعضاً إذا اجتمعت على هدف واحد. فعلى سبيل المثال ممارسة الإرادة والعقل تستطيعان أن تُنميا قدرة العاطفة على الحب، كما أن ممارسة العاطفة والعقل تستطيعان أن تُقويا قوة الإرادة، كما أن ممارسة العاطفة والإرادة تستطيعان أن تُعمقا قدرة العقل على الفَهم. وهذا شيء يعرفهُ كل معلّم وكل رب أسرة: فالطفل الذي يحب

شيئاً أو مادة يفهمها بسهولة أكثر من الطفل الذي لا يحبها، وكذلك الطفل الذي يُريد أن يفهم شيئاً يفهمه بسهولة أكثر من الطفل الذي لا يريد هذا الشيء، وهلم جرًّا. والله ﷻ بيَّن نماذج عدة لهذا المبدء في القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال ما يلي:

الإيمان يؤدي إلى هداية القلب، والسمع والطاعة، والعُلو:

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ (التغابن،٦٤ : ١١)

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة،٢ :٢٨٥)

وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ (آل عمران،٣ :١٣٩)

والإيمان + الكفر بالطاغوت يؤديان إلى الاستمساك بالعروة الوثقى:

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ (البقرة،٢ :٢٥٦)

والإيمان + العمل الصالح يؤديان إلى الهدى، وتكفير السيئات:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ (يونس،١٠ :٩)

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ (التغابن،٦٤ :٩)

والإيمان + التقوى يؤديان إلى الفرقان وتكفير السيئات، وإلى كِفْلَين من رحمة الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ (الأنفال،٨ :٢٩)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ (الحديد،٥٧ :٢٨)

والإيمان + العلم يؤديان إلى رفع الدرجات:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ (المجادلة،٥٨ :١١)

والتقوى تؤدي إلى العلم، وإلى المَخرج والرِّزق:

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ (البقرة،٢ :٢٨٢)

فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ (الطلاق،٦٥ :٢-٣)

والتقوى + السمع والطاعة +الإنفاق يؤدوا إلى وقاية شُح النفس:

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ (التغابن،٦٤ :١٦)

والتقوى + الإعطاء + التصديق بالحسنى يؤدي إلى اليُسرى:

فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ (الليل،٩٢ :٥-٧)

والتقوى + الإحسان يؤديان إلى المعية:

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ (النحل،١٦ :١٢٨)

والإحسان يؤدي إلى العلم والحُكم:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ (يوسف،١٢: ٢٢)

والهدى يؤدي إلى زيادة الهدى:

وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ (محمد،٤٧: ١٧)

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ (البقرة،٢: ٢٨٢)

والتقوى تؤدي إلى العلم والعلم يؤدي إلى خشية الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ (فاطر،٣٥: ٢٨)

والاستقامة + ذِكر الله ﷻ يؤديان إلى تنزيل الملائكة بالبِشَارات وعدم الخوف والحَزَن:

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾

(فصلت،٤١ :٣٠-٣٢)

والجهاد في الله ﷻ يؤدي إلى الهدى:

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ (العنكبوت،٢٩: ٦٩)

ومن ناحية عكسية، مرض القلب + الرجس يؤديان إلى زيادة الرجس:

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ (التوبة،٩: ١٢٥)

أما بالنسبة إلى الحب خاصة، فالله ﷻ وعدَ الوعد التالي:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ (مريم،١٩: ٩٦)

فالإيمان + العمل الصالح يؤديان إلى ود كـ"جعل إلهي". وربما في

نفس السياق، ألقى الله ﷻ "محبة منه" على موسى ﵇، بشكل خاص:

أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ (طه،٢٠ :٣٩)

ومن ناحية أخرى، الحب لله + اتباع السنة يؤديان إلى حب الله ﷻ للعبد (لأن هذين العنصرين يعنيان أن النفس تكون كلها بكاملها جميلة لأنها تتبع الرسول الذي هو على "خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم،٦٨ :٤)"). يقول الله ﷻ:

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران،٣ :٣١)

فها هي عاطفة الحب تزداد من خلال مَيل المَلَكَات الأخرى إلى المحبوب، والحب لله ﷻ بالإضافة إلى اتباع السنة يُكَافَأ من الله ﷻ بحب منه للعبد، والله أعلم.

✵

المطلب الثاني: كيف نتحكّم في حبنا؟

إذا كان الحب يزداد من خلال مَيل جميع مكونات ومَلَكات الإنسان إلى المحبوب، فكيف يُنَمِّي الإنسان حباً معيناً، وكيف يُعطل حباً معيناً؟ بعبارة أخرى، كيف يستطيع الإنسان أن يتحكّم فيما يحبه وما لا يحبه؟ كيف تستطيع الإرادة وحدها التحكّم في ميل كل المَلَكات الأخرى بما فيها النفس الأمّارة بالسوء؟ فربما يُريد الإنسان أن لا يحب شيئاً لا خير أو لا أمل فيه. وعلى العكس، ربما يُريد الإنسان أن يحب شيئاً فيه خير كثير ولكن لا يَميل إليه بشكل طبيعي. يقول الله ﷻ:

... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ (النساء،٤ :١٩)

قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ (المائدة،٥ :١٠٠)

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة،٢ :٢١٦)

الحياة الروحية والأخلاقية تتمحور حول السيطرة على ما يحبه المرء وما لا يحبه؛ وهكذا يمكن لهذا الموضوع أن يكون معقداً جداً. والقرآن الكريم يعطينا مفاتيح محددة تُرينا كيف يمكن لنا تقوية أو إضعاف الحب بشكل أسهل.

أما بالنسبة لتقوية حُب ما ينفع الإنسان، فقد رأينا أنها تأتي بشكل طبيعي بالإيمان والعمل الصالح بشكل عام؛ يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ (مريم،١٩ :٩٦)

فالأمر بسيط؛ مفتاح تقوية الحب الحسن لأمر نافع هو الأعمال الصالحة، وبالتالي فهي التصرف بإحسان. فالإحسان هو جائزة ومكافأة بحد ذاتها. يقول الله ﷻ:

هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ (الرحمن، ٥٥ :٦٠)

ومن ناحية أخرى فإن إضعاف حب ما لا ينفع الإنسان ليس أمراً سهلاً ولكنه ممكن بعون الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ (البقرة، ٢: ٤٤ – ٤٦)

وهكذا فإن التغيير الداخلي صعب ولكنه ليس مستحيلاً. وهو يتطلب إيماناً مسبقاً بالله ﷻ "ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ"، ورجاءً في الله وخوفاً منه ﷻ "وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ". ولكن بالإضافة إلى الإيمان والرجاء والخوف (وقد ناقشنا سابقاً في فصل "حب الإنسان لله ﷻ" أن هذه هي الدوافع الأساسية الثلاثة التي يقبلها الله ﷻ في حب الإنسان له وفي كل أفعالنا) فإن التغيير الداخلي يحتاج إلى ثلاث فضائل رئيسية هي: (١) الصبر؛ (٢) التواضع؛ (٣) الصلاة وذِكر الله ﷻ.

أولاً، بالنسبة للتواضع (فضيلة رقم ٢)، يجب أن نقول إن التواضع الحقيقي يأتي من معرفة النفس؛ ومعرفة النفس تتطلب من الناحية العملية مراقبة النفس بحذر. يقول الله ﷻ:

بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ (القيامة،٧٥ :١٤-١٥)

ومراقبة النفس تعني أنه على الإنسان أن يسيطر على ما يسمح لنفسه بأن يستمتع به. يقول الله ﷻ:

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ (التوبة،٩ :٦٩)

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ (الطور،٥٢ :١١-١٢)

فإذا كانت نفس الإنسان ومكوِّناته وملَكاته مستمتعة ومتعلقة بمحبوب ليس من مصلحته الحقيقية أن يحبه، (وكان حقاً يريد أن يتوقف عن هذا الحب المؤذي) فعليه أن يَكُفَّ عن هذا الاستمتاع وأن يتوقف عن التفكير فيه. ولتحقيق هذا فعليه التفكير في شيء آخر والانشغال بالتفكير في الله ﷻ وتحديداً ذِكر الله (فضيلة رقم ٣). يقول الله ﷻ:

أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾
(الحديد،٥٧ :١٦)

ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٤٥)

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد،١٣ :٢٧-٢٨)

وليحذر من إصرار الشيطان على تلهيته بصوته واستفزازه. يقول الله ﷻ:

وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ (الإسراء،١٧ :٦٤-٦٥)

لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ (النساء،٤ :١١٨-١٢٠)

فشرّ الوسواس الخنّاس "ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾" (الناس،١١٤ :٥) عائق كبير في الحياة الروحية ويمكن له تعطيل أفضل جهودنا إن سمحنا له. ففضيلة الصبر (فضيلة رقم ١) أمر أساسي. من دون الصبر في الصلاة وذِكر الله ﷻ لا توجد طريقة – نفسياً وروحياً – للهروب من الأفكار والشهوات المؤذية والسلبية. والبشر داخلياً عالقون بين بديلَين: أن

يكون لهم "قرين" أو أن ينشغلوا في ذِكر الله ﷻ، وهو الرحمن الرحيم. يقول الله ﷻ:

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ (الزخرف،٤٣ :٣٦)

وليخلّص الإنسان نفسه من حب سلبي، عليه أن يذكر الله كثيراً – إن لم يكن باستمرار – وأن يتجاهل الإغراءات أو الأفكار السلبية. بالنسبة لتجاهل الإغراءات والأفكار السلبية، يقول الله ﷻ:

قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ (الأنعام، ٦ : ٩١)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ (المنافقون،٦٣ :٩-١٠)

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ (طه، ٢٠، ١٢٤)

وبالنسبة لذكر الله ﷻ كثيراً، يقول الله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤١-٤٢)

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ (الكهف، ١٨ : ٢٣ – ٢٤)

ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ (طه،٢٠ :٤٢)

فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ (النساء،٤ :١٠٣)

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ (آل عمران،٣ :١٩٠-١٩١)

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ (الإنسان،٧٦ :٢٥)

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ (المزمل،٧٣ :٨) [٣٠٤]

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

من خلال ذِكر الله المستمر[٣٠٥] – بتواضع وصبر ومثابرة – يصبح من الممكن أن يتغلّب الإنسان على الهوى وأن يتغلّب على شهواته، بالإضافة إلى التغلّب على الحب الكاذب والرغبات الدنيوية. والله ﷻ يساعد المتقي و "يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا":

...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ (الطلاق، ٦٥: ٢ – ٣)

فيصبح الحب حب الشيء الحَسَن أو البَر، وهذا الحب يفيد المُحِب. وحب الشيء الحَسَن والبَر وعدم حب ما هو شر يؤدّي إلى الجنة والفلاح. يقول الله ﷻ:

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ (النازعات، ٧٩: ٤٠ -٤١)

❋

٣٠٤ انظر أيضاً إلى: البقرة،٢ :٢٠٠؛ الأعراف،٧ : ٥٥–٥٦ و ١٨٠ و ٢٠٥؛ الأنفال،٨ :٤٥؛ النور،٢٤ :٣٧؛ الشعراء، ٢٦ :٢٢٧؛ الجمعة، ٦٢ :٩–١٠؛ الأعلى، ٨٧: ١٤ – ١٥.

٣٠٥ انظر أيضاً: البقرة، ٢: ١١٤؛ النساء، ٤: ١٤٢؛ الأعراف، ٧: ١٧٩ – ١٨٠؛ الكهف، ١٨: ٢٨، ١٠٠ – ١٠١؛ طه، ٢٠: ٩٩ – ١٠١، ١٢٤ – ١٢٧؛ الفرقان، ٢٥: ١٨؛ الزمر، ٣٩: ٢٢ – ٢٣؛ النجم، ٢٩: ٣٠؛ المجادلة، ٥٨: ١٩؛ الجن، ٧٢: ١٧؛ الماعون، ١٠٧: ٤ – ٦.

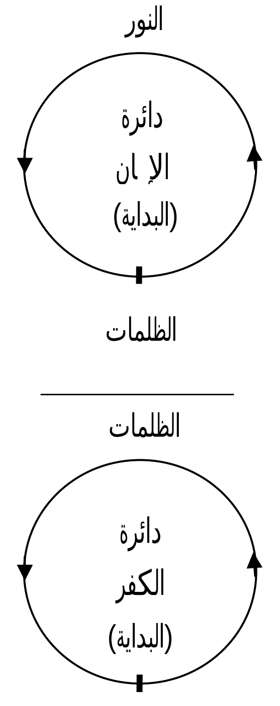
٢٥. الباب الرابع؛ الفصل الخامس:

دائرتا الحب

قد رأينا في الفصل السابق ("نمو الحب") أن الحب ينمو من خلال مَيل وممارسة جميع مكونات ومَلَكات الإنسان نحو المحبوب. وقد رأينا أيضاً أنه من ناحية عكسية أن مرض القلب والرجس يؤديان إلى زيادة الرجس. فما الذي يحصل بعد هذا النمو من الحب أو هذه الزيادة من الرجس؟ يقول الله ﷻ:

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ (البقرة،٢ : ٢٥٧)

يُلاحظ أنّ حال الذين آمنوا في أول أمرهم في هذه الآية هو الظلمات (يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ) بالنسبة إلى ما سيكونون عليه (إِلَى ٱلنُّورِ)، بينما حال الذين كفروا في أول أمرهم في هذه الآية هو النور (يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ) بالنسبة إلى ما سيكونون عليه (إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ)، وهذا بالرغم من أن "ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ"، و أن "ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ"، على الشكل التالي:



ما معنى هذا؟ الجواب في الآية نفسها: الله ﷻ يُخرجِ الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، فهذا يعني أنهم سيصبحون في النور بالنسبة للظلمات التي كانوا فيها. فهنا يبدأ صعود المؤمنين مما يُعتبر ظلمات بالنسبة إلى النور الذي سيصعدون إليه، ولكن هذا لا يعني أن ظلمات المؤمنين أشد ظلمة من نور الذين كفروا. وكذلك بالنسبة للذين كفروا: يبدؤون فيما يُعتبر نوراً بالنسبة إلى الظلمات التي سيهبطون إليها، ولكن لا يعني هذا أن نور الذين كفروا

أسطع من ظلمات المؤمنين.[306]

ربما نرى نفس هذا الوضع أيضاً في قول الله ﷻ:

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ

---

٣٠٦ وهنا نضرب مثالاً آخر يبين من خلاله أن أول مقامات المؤمن بالنسبة لآخر المقامات التي يصل إليها من الإيمان والمعرفة كنسبة النور إلى الظلمات، وهو: أن سيدنا رسول الله ﷺ خاطبه رب العزة ﷻ بقوله: وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ (الضحى،٩٣ :٧). وأننا نعلم أن رسول الله ﷺ لم يكن ضالاً بمعنى الانحراف والغي وعمل أعمال شِرار الخلق: فقد تواتر عنه ﷺ في كتب السيرة أنه كان معروفاً في الجاهلية بـ"الصادق الأمين" لما فيه من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة؛ وقد غسَّلت الملائكة صدره الشريف وقلبه منذ طفولته كما جاء في كتب التفسير في معنى قوله ﷻ: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ (الشرح،٩٤ :١) ؛ وقد جاء في الصحاح أيضاً أنه ﷺ كان يختلي في غار حراء الليالي ذوات العدد يتفكر ويتحنَّث، وكان مبتعداً عما كان يفعله أهل الجاهلية من الآثام واللهو؛ فالله ﷻ شهد على كل ذلك في بداية البعثة بقوله ﷻ: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم،٦٨ :٤)، ثم بقوله ﷻ في سيدنا رسول الله ﷺ: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ (النجم،٥٣ :٢). فهذا معناه أن الرسول ﷺ لم يكن ضالاً بمعنى الانحراف الذي ذكرناه سابقاً، وإنما معنى الضلال هنا هو أنه كان لم يصل بعد لدرجة النبوة ولا لدرجة خاتم الرسل التي كانت تنتظره فيما بعد. فكان مقامه أولاً بالنسبة إلى ما صار إليه من دوام الارتقاء وعلو المنزلة كنسبة الضلال إلى الهدى والظلمات إلى النور.

لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ (آل عمران:٣ :١٣ -١٦)

ففي هذه الآيات أيضاً: فئتان متمثلتان في دائرتين، دائرة حب الله ﷻ والجنة والأزواج المطهرة والرضوان، ودائرة حب الدنيا المتمثلة بحب الشهوات وتقديمها على طاعة الله ﷻ. وهاتان الدائرتان تمثلان الفئتين اللتين اقتتلتا حيث إن إحداهما مؤمنة تقاتل في سبيل الله والأخرى كافرة.

ومما تقدَّم يتبين أن كلاً من الذين آمنوا والذين كفروا في ازدياد دائم لما هم فيه. فالمؤمنون في حالة ترقٍ دائم وصعود في الدرجات العُلى من مقام إلى مقام، والكافرون بعكس ذلك لأنهم في نزول وهبوط دائم في الدركات السفلى. والمقصود هنا بـ"المؤمنين" هم المؤمنون الصادقون الذين لم يخلطوا إيمانهم وطاعاتهم بالمعاصي والكبائر[٣٠٧]. وكذلك المقصود بـ"الكافرين" هنا الذين لم يعملوا أعمالاً صالحة. أما إذا وجدت فئة خلطت بين الإيمان والنفاق أو بين الإيمان والطاعات وبعض المعاصي فحالهم مختلف، وهؤلاء هم الذين قال الله ﷻ عنهم:

وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ (التوبة،٩ :١٠٢)

ووضع هؤلاء غير واضح تماماً، و"عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ". أما بالنسبة للذين آمنوا والذين كفروا حقاً، فوضعهم في زيادة واستمرار فيما هم عليه كما ذكرنا. وبالنسبة للمؤمنين نرى هذا أيضاً في جزائهم على حسناتهم الذي أقَلّهُ ضعف حسناتهم:

---

٣٠٧ يقول الله ﷻ:

إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ (النساء،٤ :٣١)

وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ (الشورى،٤٢ :٣٧)

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ (النساء، ٤: ٤٠)

وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ (سبأ، ٣٤: ٣٧)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٨)

أو قد يكون جزاؤهم عشرة أضعاف حسناتهم:

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ (الأنعام،٦ :١٦٠)

أو قد يكون جزاؤهم أضعافاً كثيرة:

مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ (الحديد، ٥٧: ١١)

إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾ (الحديد، ٥٧، ١٨)

إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ (التغابن، ٦٤: ١٧)

أو قد يكون جزاؤهم سبعمائة ضعف حسناتهم:

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ (البقرة،٢ :٢٦١)

أو قد يكون جزاؤهم من غير حساب على الإطلاق:

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ

ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ (البقرة،٢، ٢١٢)

تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ (آل عمران،٣، ٢٧)

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (آل عمران،٣، ٣٧)

لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ (النور،٢٤ :٣٨)

قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ (الزمر،٣٩ :١٠)

مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ (غافر،٤٠ :٤٠)

بطبيعة الحال، حُب المؤمن لله ﷻ وحب الله ﷻ للمؤمن هما أفضل رزق وجزاء. فنفهم من "أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ" أن الله ﷻ سيعطي المؤمنين حباً حقيقياً له وسيعمّق إيمانهم به ﷻ. وبالتالي فإن حب المؤمن لله ﷻ وحب الله للمؤمن يزيد مع زيادة إيمان المؤمن. و"صعود" المؤمن هو زيادة مستمرة في الحب – بالإضافة إلى زيادة مستمرة في الإيمان – وهكذا يمكن أن نسميها "الدائرة الأعلى للحب". وفي هذه الدائرة فإن حب الله ﷻ يُجمّل نفس المؤمن والذي يملك الآن قدرة أكبر على الحب، وهذا بدوره يؤدي إلى حب أعظم وهلم جرّاً إلى ما لا نهاية في دائرة مغلقة ومستديمة من الحب ("الأعلى"). وهذه دائرة مغلقة تماماً أمام الكافرين، وفي هذه الدائرة الحب يُكَافَأ بمزيد من الحب والمزيد من الحب يُكَافَأ بمزيد آخر وهلم جرًّا "بِغَيۡرِ

حِسَابٍ" . يقول الله ﷻ:

هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ (الرحمن،٥٥ :٦٠)

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ (يونس،١٠ :٢٦)

وأما بالنسبة للذين كفروا، فالله ﷻ أطلق عليهم لفظ "دائرة السوء":

وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ (الفتح،٤٨ :٦)

فالهبوط المستمر الذي تغذيه عملية الهبوط نفسها هي أيضاً ما نراه في حالة الزاني: فالزنا – ولو كان فيه نوع من أنواع الحب (كما رأينا سابقا في فصل "الحب والزنا") – يُغذي الحب "الأسفل" الذي بدأ به، وهذا واضح من كلام الله ﷻ:

وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء،١٧ :٣٢)

"وَسَآءَ سَبِيلًا": السبيل يسوء لأن الزنا يزيد شِدة حب الزاني في الزنا، وهذا بالتالي يُخرِّب أي سبيل نحو الله ﷻ وحبه ويُحيط ويغلق على الزاني في "دائرة السوء". وربما من هنا تأتي خطورة مجرد النظر إلى جمال المرأة خارج الزواج المشروع. يقول الله ﷻ:

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور،٢٤ :٣١)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥٩)

فهناك دائرتان مغلقتان ومستديمتان للحب واحدة منهما عُليا وهي: دائرة الحب المشروع أو حب الله ﷻ، والأخرى: سُفلى وهي دائرة الحب غير المشروع.

*

وبما أن كِلا الدائرتين في نمو مستمر، فهل دائرة السوء تؤدي إلى نفس شِدَّة دائرة حُب الخير نفسها؟ كلا، لأن المحبوب في دائرة حب الخير هو الله ﷻ، وحب الله ﷻ يبقى مختلفاً عن حب السوء ولو أشتد حب السوء. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

وبعبارة أخرى، مهما اشتدّ حبٌ سيءٌ، لا يمكن أن يكون بقوة حبّ الله ﷻ. حب الله ﷻ يمكن له أن يصبح غير محدود لأنه "أُلقي" من الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ (طه،٢٠ :٣٩)

❋

مسألة: هل الحب لمصلحة الذي يُحِب أم الذي يُحَب؟

رأينا أعلاه أن الحب "الأعلى" يؤدي بطبيعة الحال إلى مزيد من الحب الأعلى، بينما الحب "الأسفل" يؤدي إلى مزيد من الحب الأسفل. فهذا يعني أن الحب يفيد أو يضرّ الذي يُحِب حسب نيته: فالحب "الأعلى" يزيد إيمان وحب المؤمن – وهذا لمصلحته بالتأكيد؛ بينما الحب "الأسفل" يزيد كفر وشهوة الظالم – وهذا ضد مصلحته بالتأكيد.

وهذا عكس ما يظنه الناس عموماً: فإن كثيراً من الناس يعتقدون أن الحب يفيد المحبوب أكثر مما يفيد أو يضر الذي يحب، كأن الحب هدية تأتي من الذي يحب إلى المحبوب لكي يستفيد منها المحبوب. وواقع الأمر أنه قد لا يعلم أو يشعر المحبوب بحب شخص يحبه حتى ولو استفاد من ذلك الحب. فعلى سبيل المثال إن حَبَّ شخصٌ شجرة هل تعلم هذه الشجرة بحبه ولو أنها استفادت من حمايته وسقايته لها؟ وقد لا يريد المحبوب حب من يحبه (وقد يكون مضراً له) مثل ما وقع لسيدنا يوسف ﵇ الذي فضّل السجن على حب إمرأة العزيز فقال:

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف،١٢ :٣٣) .

فخلاصة الأمر هي أن الحب دائماً يفيد أو يضر المحب حسب طبيعة هذا الحب، وبالنسبة للمحبوب قد يفيد أو قد يضر وقد لا يفيد ولا يضر ولا يؤثر، والله أعلم.

٢٦. الباب الرابع؛ الفصل السادس:

مثلث الحب

المطلب الأول: لِمَ يحتاج الحب إلى تزيّن مسبق

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "مراحل الحب") أن التزيُّن مرحلة من مراحل الحب، وأن حُب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس يحتاج إلى تزيُّن مسبق في نظر أو نفس أو قلب الذي يُحبُ. وذكرنا الآيات التالية وأشرنا إلى آيات أخرى:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ (الفتح،٤٨ :١٢)

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ (الحجر،١٥ :٣٩)

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات،٤٩ :٧)

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ

ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ (البقرة،٢ :٢١٢)[٣٠٨]

السؤال الذي يُسأل هنا هو لِمَ يحتاج الحب إلى تزيُّن مسبق؟ يقول الله ﷻ:

وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ (الأعراف،٧ :١٧٢)

فهذه الآية[٣٠٩] تُنبئُنَا أنه كان عندنا عِلم فطري بوجود الله عند خلق سيدنا آدم ﷺ وقبل حياتنا الدنيا، وبالتالي فهذه الآية تَعني أنه يوجد في نفس أو في روح الإنسان هذا العلم. ولكن لا يوجد عند الإنسان عِلم بمدركات الأشياء الأخرى عند ولادته. يقول الله ﷻ:

وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ (النحل،١٦ :٧٨)

---

٣٠٨ وانظر إلى: الأنعام،٦ :٤٣؛ الأنعام،٦ :١٣٧؛ الأنفال،٨ :٤٨؛ النحل،١٦ :٦٣؛ النمل،٢٧ :٢٤؛ العنكبوت،٢٩ :٣٨؛ الأنعام،٦ :١٠٨؛ النمل،٢٧ :٤؛ فصلت،٤١ :٢٥؛ الأنعام،٦ :١٢٢؛ التوبة،٩ :٣٧؛ يونس،١٠ :١٢؛ الرعد،١٣ :٣٣؛ فاطر،٣٥ :٨؛ غافر،٤٠ :٣٧؛ محمد،٤٧ :١٤؛ يونس،١٠ :٢٤.

٣٠٩ وقد شرح **ابن كثير** هذه الآية كالتالي: " يُخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابه ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو". (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص٧٩٧). وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

«**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قُبلا، قال:** أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ...». (رواه أحمد في مسنده، رقم١/ ٢٧٢).

لكن هنالك استثناء[310] – والله أعلم – لهذه الآية كعيسى عليه السلام الذي كلَّم الناس في المهد. يقول الله جل جلاله:

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

(المائدة،٥ :١١٠)[311]

أما بالنسبة للإنسان بعامة (باستثناء من أكرمهم الله جل جلاله كسيدنا عيسى عليه السلام) فإنه كان لا يعلم شيئاً عند ولادته، ولكن كما ذكرنا (في فصل "الوقوع في الحب") أن كل إنسان طبيعي يمتلك مَلَكة القدرة على التعلُّم. وبما أنه لا يعلم شيئاً، لا يعلم أيضاً ما هي مراتب الجمال، وماذا يجب عليه أن يحب. وبالتالي يحتاج الإنسان للتزيُّن لكي يحب. وبالنسبة للإيمان، فالله جل جلاله يُزيِّن الجمال في قلب المؤمن. يقول الله جل جلاله:

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ

---

٣١٠ لقد ورد في الحديث الشريف المروي في الصحيحين أن هناك استثناء لثلاثة من البشر تكلموا في المهد وهم: سيدنا عيسى عليه السلام، والطفل الذي تكلم في براءة جريج الراهب، وطفلٌ رضيعٌ في بني إسرائيل. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج .... وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل .... فقال: اللهم اجعلني مثلها ....**». رواه البخاري، رقم ٣٤٣٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم، ومسلم، رقم ٢٥٥٠، في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

٣١١ انظر إلى: آل عمران،٣ :٤٦؛ مريم،١٩ :٢٩.

إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات،٤٩ :٧)

وأما بالنسبة للحياة الدنيا، فالشيطان يُزيّن لأتباعه جمالها:

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ (الحجر،١٥ :٣٩)

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ (الأنعام،٦ :١٣٧)

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ ٱللَّهُ+و شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ (الأنفال،٨ :٤٨)

تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ (النحل،١٦ :٦٣)

وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ (النمل،٢٧ :٢٤)

وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ (العنكبوت،٢٩ :٣٨)

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ (فصلت،٤١ :٢٥)

ويبدو – والله أعلم – أنه حتى تزيُّن الأشياء من قِبَل الشيطان هو في طبيعة الإنسان نفسه، لأن تزيُّن أعمال الكافرين السيئة أيضاً من الله، أو من ذات الإنسان:

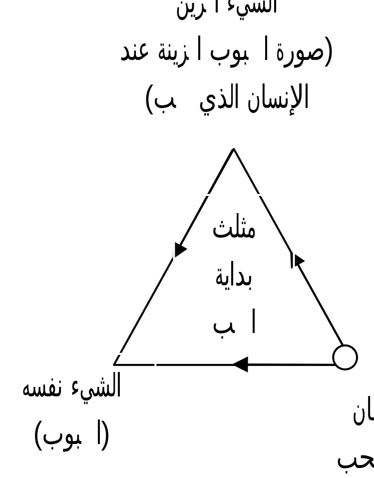
إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ (النمل،٢٧ :٤)

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ (فاطر،٣٥: ٨)

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ (محمد،٤٧: ١٤)

فعلى أية حال، ومهما كان مصدر الحب فهو يحتاج إلى تزيُّن مسبق، كما رأينا مِراراً.

وبما أن الإنسان يحب من خلال التزيُّن، يمكن لنا أن نقول أنَّ الإنسان (في بداية الحب على الأقل)، لا يُحب محبوبه بشكل مباشر بقدر ما يُحب التزيُّن. فتصبح عملية الحب مثلثاً على الشكل التالي:



فنرى في هذا المثلث أن الإنسان في بداية الحب يُحب صورة مزيَّنة (في عقله أو في نفسه أو في قلبه) عن المحبوب بنفس القدر الذي يُحب "المحبوب" حقيقةً، فبالتالي يُحب محبوبه من خلال صورته الخاصة عن هذا المحبوب بغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة تمثل حقيقة المحبوب أم لا: وهذا هو

معنى الأسهم في الصورة أعلاه. وهذا الأمر هو الذي يُفسِّر كيف يمكن للإنسان أن يحب شيئاً من دون أن يعرفه حق المعرفة: فإنه يحب الصورة التي عنده في عقله أكثر أو بنفس القدر الذي يحب المحبوب، وقد لا يعرف المحبوب حقاً ولكن يظن أنه يعرفه لأن لديه حباً لصورته عنده.

على سبيل المثال لو تصورنا أن قيساً هو الإنسان (في أسفل يمين المثلث) وليلى هي محبوبه (في أسفل يسار المثلث) وصورة ليلى في عقل قيس التي في سنام هذا المثلث، فالمثلث يُبين لنا أن قيساً يحب صورة ليلى عنده بنفس القدر الذي يُحب حقيقة ليلى فيه، وهذه الصورة لليلى عنده هي التي تثير الحب عنده، لأنه لا يعرف حقيقة ليلى. وعند اكتشافه لحقيقة ليلى مع الخبرة فيها ربما ينصرف عن حبها لأنها ليست كالصورة المزيَّنة في عقله. فكم من حب انتهى عند اكتشاف حقيقة المحبوب!

هذا المثلث صحيح بشكل عام في بداية الحب، فالمحبوب مُبعَد بدرجة عن الذي يُحبه. في بعض الأحيان – وعلى سبيل المثال في حالة الشهوات – يكون المحبوب مُبعَداً بأكثر من درجة. يقول الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

في هذه الآية نرى أن بين الناس و"ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ" على الأقل درجتين: الأولى: هي التزيُّن والثانية: هي الحب، والثالثة: هي الشهوة، أو قد يكون التزيُّن أول درجة ثم حب الشهوة ثاني درجة. أي، بمعنى آخر، أن الناس يُحبون الشهوة نفسها أو حتى يُحبون أن يُحبوا الشهوة من خلال التزيُّن قبل أن يُحبوا "ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ

ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ". الفائدة من هذا الموضوع هي أولاً: أنه يَتبيَّن لنا أن هذا النوع من الحب ليس له أية علاقة بالحقيقة ذاتها، وثانياً: أنه بالإمكان لنا أن نقطع هذا الحب برفض تزيُّنِه، كما ذكرنا سابقاً (في فصل "الوقوع في الحب") وحسب قول الله ﷻ:

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ (النازعات،٧٩ :٤٠-٤١)

✵

مسألة: هل الإنسان مُبعد عن مَحبوبه حتى يحب الله ﷻ ؟ نَعلمُ أنّ الله ﷻ قريب:

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة،٢ :١٨٦)

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ (البقرة،٢ :١١٥)

ونعلم أنه يوجد في الإنسان شيء يشهدُ على حقيقة وجود الله ﷻ:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ (الأعراف،٧ :١٧٢)

ولكن نعلم أن الإنسان لا يدرك الله ﷻ من خلال بصره:

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ (الأنعام،٦ :١٠٣)

فكيف يُحب الإنسان ما لا يُدركه؟ لقد بيَّن الله ﷻ جواب هذا السؤال في القرآن الكريم. يقول الله ﷻ:

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات،٤٩ :٧)

ففي هذه الآية نرى أنّ الإنسان يحب الله ﷻ أولاً من خلال الإيمان الذي زيَّنهُ الله ﷻ في قلبه. بعد هذا يبدأ الإنسان بمعرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته (التي كان لا يعلم منها إلا لفظها من دون أن يفهم حقائقها) من خلال أفعال الله ﷻ وآياته. يقول الله ﷻ عن قصة يوسف ﷺ في القرآن الكريم:

لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ (يوسف،١٢ ،٧)

نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ (يوسف، ١٢ :٧٦)

ولكن كيف يحدث هذا بالضبط؟ كيف يعرف البشر الله ﷻ؟

المطلب الثاني: كيف يصل الإنسان إلى معرفة ربه؟

الله ﷻ وضع اثني عشر نوعاً من الأفعال والآيات التي يعرف المؤمن من خلالها الله ﷻ ففي دعاء يوسف ﷺ يقول الله ﷻ:

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ (يوسف،١٢ :١٠١)

فالمؤمن يبدأ بمعرفة الله ﷻ:

أولاً: من خلال الإيمان بالله ﷻ (وهذا مفهوم في الدعاء: "رَبِّ").

وثانياً: من خلال التواضع (ونفهم هذا لأن سيدنا يوسف ﷺ ينادي الله ﷻ "رَبِّ" – فالشيطان يؤمن بالله ﷻ ولكنه يفتقد التواضع).

ثالثاً: من خلال التفكّر في نِعَم الله بامتنان ("قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ").

ورابعاً: من خلال الرُؤَى التي يُنعم الله ﷻ على عباده بها ("وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ").

وخامساً: من خلال الطبيعة وجمالها وعظمتها ("فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ")[312].

---

312 آيات الله ﷻ في أفعاله وخلقه

هنا مسألة مهمة جداً وهي: أن سيدنا موسى ﷺ لـمَّا سأله فرعون "ما رب العالمين؟"، لم يُجِب بشيء أو بوصف عن نفس الله ﷻ، ولكنه أشار إلى أفعال الله ﷻ من خلال الخلق والطبيعة. وهذا يعني أن الخلق والطبيعة يحتويان على أقوى دليل لمعرفة الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ (الشعراء،٢٦ :٢٣-٢٩)

ومعرفة الخلق والطبيعة يدلان على الله ﷻ ويؤديان إلى الهدى أيضاً ففي آية أخرى أشار سيدنا موسى ﷺ إلى فرعون على الله ﷻ وعلى الهدى من خلال الطبيعة، يقول الله ﷻ:

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ (طه،٢٠ :٤٩-٥٠)

وكذلك أُمِرَ سيدنا رسول الله ﷺ أن يشير إلى الله ﷻ ويستدل منطقياً وعقلياً وحتى بالبصيرة على وجوده ﷻ من خلال الخلق والطبيعة في آيات عدة، منها الآيات التالية:

قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ (يونس، ١٠: ١٠١)

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ (الأنعام،٦ :١٤)

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾ (الرعد،١٣ :١٦)

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ (المؤمنون،٢٣ :٨٦)

أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا

وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ (النمل،٢٧ :٦٠-٦٤)

سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ (الزخرف،٤٣ :٨٢)

(انظر أيضاً: البقرة، ٢: ١٦٤ – ١٦٥؛ آل عمران، ٣: ١٨٩ – ١٩١ والرحمن، ٥٥: ١ – ١٣).

وكذلك سيدنا إبراهيم ﵇ أشار إلى الله ﷻ من خلال الخلق والطبيعة:

إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ (الانعام،٦ :٧٩-٨٠)

قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ (الأنبياء،٢١ :٥٦)

وكذلك الأنبياء مثل سيدنا نوح ﵇ وسيدنا هود ﵇ وسيدنا صالح ﵇ كُلهم أمروا أن يُشيروا إلى وجود الله ﷻ ومعرفته من خلال الخلق والطبيعة. يقول الله ﷻ:

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ (إبراهيم،١٤ :١٠)

وكذلك أهل الكهف عرَّفوا على الله ﷻ من خلال الطبيعة:

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ (الكهف،١٨ :١٠)

والله ﷻ يقول للبشرية بشكل مباشر:

فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

وسادساً : من خلال حب الله ﷻ له (" أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ").

وسابعاً: من خلال التدبّر – أو على الأقل من خلال التفكّر في –

فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ (عبس، ٨٠: ٢٤ – ٣٢)

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ (الغاشية، ٨٨: ١٧ – ٢١)

والعالَم الجَلي هو ما يشير إلى ما هو غير جلي (فـ" مَدَّ ٱلظِّلَّ" هو رمز لما هو غير جلي لأنه موعود في الجنة كما في سورة الواقعة (٥٦: ٣٠): " وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ"؛ يقول الله ﷻ:

أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ (الفرقان، ٢٥: ٤٥ – ٤٦)

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ (الطور، ٥٢: ١)

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر بأن الله ﷻ عرَّف على عظمة الخلق والطبيعة من خلال إقسامه بهم، كقوله ﷻ:

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ (الشمس،٩١ :١–٧)

وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴿٥﴾ (الفجر،٨٩ :١–٥)

وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ (العصر،١٠٣ :١)

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ (العاديات،١٠٠ :١)

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ (التين،٩٥ :١–٢)

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ (الليل،٩٢ :١–٢)

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ (الضحى،٩٣ :١–٢)

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ (الواقعة،٥٦ :٧٥–٧٦)

والله ﷻ يقسم بنفسه كربّ الخَلْق والطبيعة:

فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ (الذاريات، ٥١: ٢٣)

صفات وأسماء الله الحسنى في كل لحظة وفي كل ظرف، وآثارها على الإنسان ("أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ").

وثامناً: من خلال التفكّر في حقيقة الموت وعجز كل إنسان أمام الموت ("تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ")[313].

وتاسعاً: من خلال الإسلام لله والقيام بالأعمال الصالحة ("مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ").

وعاشراً: من خلال ممارسة الدعاء والصلاة (وهذه الآية نفسها هي صلاة) وخاصة الصلاة في العزلة (وقد رأينا في فصل "حب الإنسان لله ﷻ" كيف أن السجن كان أمراً يحبه سيدنا يوسف ﵇ بسبب جمال ذِكر الله في العزلة).

وحادي عشر: من خلال النظر إلى استجابة الله ﷻ للدعاء (وهذا مفهوم ضمناً في دعاء سيدنا يوسف ﵇) والنظر إلى كيف يحدد الله الأقدار.

وثاني عشر وأخيراً: – وهذا يُفهم ضمنياً من قراءة هذه الآية من القرآن الكريم – من خلال كلام الله ﷻ، أي من خلال القرآن الكريم.

باختصار فإن معرفة الله ﷻ تزداد من خلال الإيمان والتواضع والحب والأعمال الصالحة والتدبّر والتفكير في كل شيء داخل النفس وفي العالَم. وبعبارة أخرى، فإن معرفة الله ﷻ تنمو بالطريقة نفسها التي ينمو فيها حب الله ﷻ، وذلك من خلال التركيز والتعلّق التدريجي للقلب والنفس وكل ملكاتهما ومكوناتهما على ما يُراد معرفته – أي الله ﷻ. فبعد النظر إلى أعمال الله ﷻ وآياته من خلال هذه الطرق الإثني عشر، يبدأ المؤمن بالتعرّف

---

٣١٣ يقول الله ﷻ:

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ (يونس، ١٠: ١٠٤)

على أسماء الله ﷻ وصفاته بشكل متزايد وبالتالي يبدأ بحب الله ﷻ بشكل "مباشر" أكثر، أو على الأقل ببُعدٍ أقل، والله أعلم. وبعد أن يَعرف المؤمن آيات الله ﷻ من خلال هذه الطرق يكون عند المؤمن شيء من المعرفة بالله ﷻ وبالتالي يبدأ حُبُه لله ﷻ "مباشرة" أو بدرجة أقل من البُعد، والله أعلم.

✵

إضافة إلى هذا، إذا كان عند المؤمن درجة كافية من الإحسان، يبدأ الله ﷻ بالإنعام على عبده بعلمٍ منه. فيوسف عليه السلام، عندما "رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ" (يوسف،١٢ :٢٤) كان من المحسنين:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ (يوسف،١٢ :٢٢)

...إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ (يوسف،١٢ :٣٦)

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (يوسف،١٢ :٥٦)

وكذلك أبوهُ يعقوب عليه السلام الذي كان يعلم من الله ﷻ ما لا يعلمه الناس:

قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف،١٢ :٨٦-٨٧)

وكذلك سيدنا نوح عليه السلام الذي قال:

أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ (الأعراف،٧ :٦٢)

وكذلك سيدنا محمد ﷺ وحتى في تفاصيل حياته المنزلية. يقول الله ﷻ:

وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ

بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ (التحريم،٦٦ :٣)

وهذا العِلم الذي قد يأتي من الله ﷻ لأنبيائه ورسله ليس محصوراً في الأنبياء، لأنه أُعطي إلى الخَضر:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ (الكهف،١٨ :٦٥)

ونقل ابن كثير في تفسيره أن كثيراً من العلماء[٣١٤] لم يعتبروا الخَضر نبيّاً:

"وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً. فالله أعلم"[٣١٥].

ويشير الله ﷻ إلى هؤلاء المؤمنين الذين ليسوا أنبياء ولكنهم "عارفين" بالله ﷻ:

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ (الفرقان، ٢٥: ٥٩)

ولعل هناك إشارة إلى "معرفة خاصة" من الله ﷻ في "شَاهِدٌ مِّنْهُ"، يقول الله ﷻ:

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ (هود، ١١: ١٧)

ونفهم أنه حين يملك المرء "معرفة خاصة" من الله ﷻ وحين يكون

---

٣١٤ وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري): أن هناك من خالف ابن كثير في قوله بأن كثيراً من العلماء لم يعتبروا الخَضر نبياً، منهم القرطبي، وابن عطيه. (ابن حجر، فتح الباري، المجلد:٦، ص٤٣٤).

٣١٥ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ١١٦٩.

من "العارفين" ويكون لديه "شَاهِدٌ مِّنْهُ"، فإن ذلك يعني أنه لديه معرفة روحية – معرفة تأتي من خلال الروح. ولا نعرف الكثير عن الروح (نسبياً)[٣١٦]، ولكننا نعرف أن الله ﷻ قد يلقي المعرفة على من يشاء ويعطيها منه ﷻ. يقول الله ﷻ:

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ (النحل، ١٦: ٢)

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ (غافر، ٤٠: ١٥)

يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧)

في الخلاصة، فإن الحب والإحسان يزيدان العِلم كما أن العلم والإحسان يزيدان الحب – وهذا ما رأيناهُ تماماً في فصل "نمو الحب" – وبعد أن يزيدان معرفة الله ﷻ والإحسان يُصبح الحب مباشرة وليس من خلال مثلث التزيُّن من الحب، والله أعلم. ولهذا عَبَّر يوسف[٣١٧] عليه السلام عن حبه لله ﷻ

---

٣١٦ يقول الله ﷻ:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٥)

٣١٧ ونفهم الكثير حين نلحظ أن سورة يوسف عليه السلام هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تروي قصة كاملة من بدايتها إلى نهايتها في سورة واحدة؛ وهي قصة لا يُشار إليها في سورة أخرى في القرآن الكريم، ولا تحتوي على عناصر من قصص الأنبياء الآخرين إلا موضوع السورة (قصة سيدنا يوسف عليه السلام). ونحن لم نبدأ حتى بمناقشة – كما تفعل بعض تفاسير القرآن الغامضة – الرمزية لعالَم السورة المصغر على أنها قصة العقل (سيدنا يوسف عليه السلام)؛ وابن الروح والقلب (يعقوب وزوجته)؛ وحبسه في البئر مع حواسه الجسدية (أخوته العشر)؛ وإغوائه من قِبَل النفس الأمّارة بالسوء (زوجة العزيز)؛ وسُجِن من الدنيا ثم حرّره

في قوله: "أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ" (يوسف،١٢ :١٠١)؛ والله أعلم.

✵

الملك – بعبارة أخرى فهي قصة الحالة الإنسانية نفسها في الدنيا وبالتالي فهي بتعريفها أجمل وأصدق قصة ممكنة.

٢٧. الباب الرابع؛ الفصل السابع:
مراتب الجمال والحب

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "دائرتي الحب") أنه يوجد دائرتان من الحب: دائرة عُليا ودائرة سفلى؛ دائرة حب الخير ودائرة حب السوء. ولكن ذكرنا أن الله ﷻ جعل الجمال في كل شيء خلقه. يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ (السجدة،٣٢ :٧)

فإذا كان الجمال في كل شيء، وإذا كان الحب هو حباً مهماً كان المحبوب، فلماذا يُفضّل نوع من أنواع الحب على نوع آخر، ولِمَ يُفضّل نوع من أنواع الجمال على نوع آخر؟ فيما يلي نوضِّح الأجوبة لهذين السؤالين إن شاء الله ﷻ.

المطلب الأول: مواطن ومراتب الجمال

جعل الله ﷻ الحُسن في كل شيء، كما ذكرنا:

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ (السجدة،٣٢ :٧)

والله ﷻ هو أحسن – وبالتالي أجمل – الخالقين:

ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤ (المؤمنون،٢٣ :١٤)

وأسماء الله ﷻ وصفاته هي "الأسماء الحسنى"، أي الصفات والأسماء الجميلة. يقول الله ﷻ:

قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ

وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ (الإسراء،١٧ :١١٠)

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الأعراف،٧ :١٨٠)

ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ (طه،٢٠ :٨)

وذكر الله ﷻ جمال كتابه العزيز، القرآن الكريم:

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٢ – ٢٣)

وذكر الله ﷻ جمال أجمل قصة، وهي قصة موجودة في القرآن الكريم، قصة سيدنا يوسف ﵇ والتي اقتبسنا منها الكثير في نقاشنا عن الحب. يقول الله ﷻ:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣)

وذكر الله ﷻ جمال الصلاة في العزلة (كما ناقشنا في فصل "حب الإنسان لله ﷻ"):

فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ (الشرح، ٩٤: ٧ – ٨)

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ (المزمل، ٧٣: ٨ – ١٠)

وذكر الله ﷻ جمال رسوله ﷺ:

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب،٣٣: ٢١)

قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ (المائدة،٥: ١٥)

وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ (الأحزاب،٣٣: ٤٦)

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة،٩: ١٢٨)

وذكَر الله ﷻ جمال الآخرة:

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ (القصص،٢٨: ٦٠)

وذكر الله ﷻ جمال الفضائل، كالصبر:

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (يوسف،١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسف،١٢: ٨٣)

فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴿٥﴾ (المعارج،٧٠: ٥)

وأيضاً كالكرم:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٤٩﴾ (الأحزاب،٣٣: ٤٩)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ (الأحزاب،٣٣: ٢٨)

وذكر الله ﷻ فضائل المؤمنين، وبالتالي جمالَهم، في آيات كثيرة، ومنها:

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ (الفتح،٤٨ :٢٩)

وكذلك قول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة،٢ :٢٢١)

وذكر الله ﷻ جمال صورة الإنسان وجمال تقويمه:

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ (التغابن،٦٤ :٣)

ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ (غافر،٤٠ :٦٤)

لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ (التين،٩٥ :٤)

وذكر الله ﷻ جمال النساء بالتحديد:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ (طه،٢٠ :١٣١)

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب،٣٣ :٥٢)

وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

وذكر الله ﷻ الجمال الجسدي الإيجابي، وفضل التزيّن أثناء الأفعال الروحية (كالصلاة)، والأعمال الطبيعية (كالأكل):

۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ (الأعراف، ٧: ٣١ – ٣٢)

والله ﷻ ذكر ضمنياً جمال الكلام والشِّعر:

وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢٢٤ – ٢٢٦)

وذكَر الله ﷻ جمال البهائم:

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ (النحل، ١٦: ٦)

وذكَر الله ﷻ لذة الطعام والشراب وبالتالي عن جمالهما:

قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ (الكهف، ١٨: ١٩)

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ

تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ (فاطر، ٣٥: ١٢)

وذكر الله ﷻ جمال الحياة الدنيا بشكل عام:

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ (القصص،٢٨ :٦٠)

وذكر الله ﷻ زينة الغنى المادي:

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ (يونس، ١٠: ٨٨)

وذكر الله ﷻ تزيُّن الأعمال السيئة:

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ (فصلت،٤١ :٢٥)

وذكر الله ﷻ تزيُّن أقبح الأعمال مثل قتل الأولاد والشرك:

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

(الأنعام،٦ :١٣٧)

في الخلاصة، هناك أنواع مختلفة من الجمال لكل شيء خلقه الله ﷻ. فكيف يَعرف الإنسان مراتب هذه الدرجات من الجمال؟ وكيف يُفضّل الإنسان نوعاً من أنواع الجمال على نوع آخر إذا لم يكن بينها مراتب من الجمال؟ الجواب هو أن الله ﷻ مَدَح وذَم أنواعاً من الحب، ورتبها وفضل بعضها على بعض. وتُعرف رتبة جمال الشيء من مرتبة الحب الذي يحبه. وهذا واضح فيما يلي.

المطلب الثاني: مراتب الحب

وعد الله ﷻ حُبه وفَضله لقوم يُحبونه:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ (المائدة،٥ :٥٤)

وجعل الله ﷻ هذا الحب أشدُّ وأقوى من أي حب آخر:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

وبيَّن الله ﷻ فضل حبه ﷻ وحب ذِكره على أي حب آخر:

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ (ص،٣٨ :٣٠-٣٢)

وبالطبع فإن حب ذِكر الله ﷻ يعني حب القرآن الكريم "... ﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾" (ص،٣٨ :١)، يقول الله ﷻ:

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ (الأنفال، ٨ :٢)

وبعد حبه، وحب ذكره، جعل الله ﷻ حب الرسول ﷺ أولى من حب الناس لأنفسهم:

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ

أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ (الأحزاب،٣٣: ٦)

وبعد حب الرسول ﷺ جعل الجنة أولى بحب الناس:

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (التوبة،٩: ١١١)

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ (آل عمران،٣: ١٩٥)

وبيَّن الله ﷻ فضل حب الإيمان:

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ (الحجرات،٤٩: ٧)

ومدَحَ الله ﷻ حب المؤمنين أيضاً:

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر،٥٩: ٩)

ومدَحَ الله ﷻ حب كل شيء طَيّب بشكل عام:

قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ (المائدة،٥: ١٠٠)

وكما ذكرنا أعلاه، ذكر الله ﷻ دون مدح بعض أنواع حب الخير:

وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ (ص،٣٨ :٣٠-٣٢)

وذكر الله ﷻ حب الشهوات ولكن بيّن فضل حُسن الآخرة عليها:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

وذم الله ﷻ حب الدنيا:

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ (القيامة،٧٥ :٢٠-٢١)

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ (الإسراء، ١٧ :١٨)

وكذلك ذم الله ﷻ حب المال:

وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ (الفجر،٨٩ :٢٠)

ثم حذّر الله ﷻ من الزنا والحب غير المشروع:

وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء،١٧ :٣٢)

وأخيراً، ذَمَّ الله ﷻ الشِرك وحب الأنداد من دون الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

✵

فمن هذا كله – وهناك آيات أخرى لم نذكرها – تتبيَّن لنا مراتب الحب

والتسلسل الهرمي في فضل أنواع الحب، بداية من الله ﷻ وأسمائه، والذِكر والقرآن الكريم، ثم رسوله، ثم الجنة، ثم الإيمان، ثم المؤمنين، ثم حب الخير؛ والدركات السفلى من الحب (من الأعلى إلى الأدنى) هي: حب الدنيا، ثم حب الشهوات، ثم الزنا، ثم أخيراً حب الأنداد من دون الله ﷻ. وبمعنى آخر أفضل حب هو حب الله ﷻ وبالتالي أسماؤه الحسنى وكذلك ذكره ﷻ والقرآن الكريم، ثم حب الرسول ﷺ، ثم حب الجنة، ثم حب الجمال الداخلي الخاص (الإيمان)، ثم حب الجمال الداخلي العام (المؤمنين)، ثم حب الجمال الخارجي الخاص (جمال النساء)، ثم حب الجمال الخارجي العام (حب الخير). وأسفل دركات الحب (من الأعلى إلى الأدنى) هي: حب الشهوات، ثم حب الشرّ، ثم حب الشيطان.

فهذا يعني بدوره أن أجمل الجمال هو جمال الله ﷻ وأسمائه وذكرِه، ثم جمال الرسول ﷺ، ثم جمال الجنة، ثم الجمال الداخلي الخاص (الإيمان)، ثم الجمال الداخلي العام (المؤمنين والخير)، ثم الجمال الخارجي الخاص (جمال الجنس الآخر)، ثم الأشياء الجميلة في الطبيعة، ثم الجمال الخارجي العام (حب الخير الدنيوي). وأسفل دركات الجمال (من الأعلى إلى الأدنى) هي: زينة الشهوات، ثم زينة الشرّ، ثم زينة الشيطان. وبعبارة أخرى، فإن أعلى درجات الجمال هو الجمال الإلهي؛ ثم الجمال المقدّس (ابتداءً بجمال رسول الله ﷺ)؛ ثم الجمال الداخلي؛ ثم الجمال الخارجي؛ ثم زينة الشهوات الداخلية؛ ثم زينة الشهوات الخارجية. فمن خلال ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لهذه الأنواع من الحب والجمال، فقد تَبينت مراتبهم وتسلسلهم الهرمي. فليس كل حب هو محمود وليس كل جميل يستحق الحب، كما رأينا.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى نفس هذا الترتيب الهرمي للحب في وصفه لأسباب النكاح، في حديثة الشريف التالي:

«تُنْكَحُ المرأةُ لأربعٍ، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ

يداك»[٣١٨].

"المال" هو الجمال الخارجي العام، و"جمال" المرأة هو الجمال الخارجي الخاص، و"الحسب" هو الجمال الداخلي العام، و"الدين" هو الجمال الداخلي الخاص. فكأن الرسول ﷺ يقول "أن الحب هو المَيل للجمال ولكن للحب مراتب، وحب الله ﷻ خيرٌ من حب الناس، وحب الناس خيرٌ من حب الجمال الجسدي، وحب الجمال الجسدي خيرٌ من حب المال"، والله أعلم.

✵

٣١٨ رواه البخاري رقم ٥٠٩٠، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ومسلم رقم ١٤٦٦، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين.

٢٨. الباب الرابع؛ الفصل الثامن:
نقيضا الجمال والحب

المطلب الأول: نقيض الجمال (البشاعة والقُبح)

رأينا فيما سبق أن مراتب الجمال تمتدّ من تزيين حب الأنداد من دون الله ﷻ إلى حب الله ﷻ، فكيف يكون للجمال نقيض؟ وإن لم يكن للجمال نقيض فما هي "البشاعة" أو "القبح"؟ وبما أن الله ﷻ أحسن كل شيء خلقه، فأين القبح؟ وكما ذكرنا سابقاً، يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ (السجدة،٣٢ :٧)

ويُلاحظ بالفعل أن كلمة "البشاعة" ليست موجودة في القرآن الكريم مطلقاً، الأمر الذي يدل على أن كل شيء مخلوق فيه شيء من الجمال ولو أن فيه نقصاً بالنسبة لشيء أجمل، حسب مرتبة جماله كما رأينا. وحتى كلمة "القُبح"[٣١٩] لم تطلق في القرآن الكريم على أي شيء خلقه الله ﷻ، ولكن

---

٣١٩ يعرف الراغب القبح كالتالي:

"ما ينبو عنه البصر من الأعيان وما تنبو عنه النفس من الأعمال والأحوال وقد قَبُح قَباحَةً فهو قبيح، وقوله: ... مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ۝٤٢ أي من الموسُومين بحالة مُنكرة، وذلك إشارة إلى ما وصف الله تعالى به الكفار من الرَّجاسةِ والنجاسة إلى غير ذلك من الصفات، وما وصفهم به يوم القيامة من سواد الوجوه وزُرقة العيون وسحبهم بالأغلال والسلاسل ونحو ذلك، يقال قَبَحَهُ الله عن الخير أي نحّاه، ويقال لعظم الساعد، مما يلي النصف منه إلى المرفق قبيحٌ". (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٣٩١).

ويعرَّف الرازي القبح كالتالي:

"الجمال هو الحسن .... والقبح ضد الحسن يكون في الصورة وفي الفعل". (الرازي، مختار الصحاح، ص٥٨).

ذُكرت مرة واحدة، إيماءً إلى فرعون وجنوده يوم القيامة:

وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ (القصص،٢٨ :٤٢)

فقُبح فرعون وجنوده ليس من أعمال الله ﷻ ولكن من أعمالهم، والله ﷻ لم يذكر في القرآن الكريم أنه يوجد شيء قبيح في الكون الذي خلقه. وبالتالي يمكن لنا أن نستنتج أن القُبح نقص نسبي من الجمال، وتفضيل جمال أدنى على جمال أعلى، وليس شيئاً بذاته، والله أعلم.

المطلب الثاني: نقيض الحب (الكره والبُغض)

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "حب الله للناس") أن الله ﷻ لا يكرهُ أحداً ولكن يكره أعمالاً معيّنة. لكن ذكر الله ﷻ أن المؤمنين يكرهون الأشياء السيئة. يقول الله ﷻ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ (الحجرات،٤٩ :١٢)

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ

ويعرَّف ابن منظور القبح كالتالي:

"القبحُ ضد الحسن يكون في الصورة والفعل ... قال الأزهري: هو نقيض الحسن عامٌ في كل شيء". (ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٥٥٢).

فخلاصة الأمر: أن القبح هو الذي يجعل المرء ينفُر لأن القبح ضد الحسن والجمال بالصورة وبالفعل.

ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ (الحجرات،٤٩ :٧)

وعلى العكس من ذلك، فالكافرون والظالمون يكرهون الحق والأشياء الخَيِّرة:

لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ (الأنفال،٨ :٨)

وكذلك يكرهون نور الله ﷻ:

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ (التوبة،٩ :٣٢)

ويكرهون أيضاً دين الحق:

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣ (التوبة،٩ :٣٣)

ويكرهون الجهاد:

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ۝٨١ (التوبة،٩ :٨١)

ويكرهون القرآن الكريم:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩ (محمد،٤٧ :٩)

ويكرهون حتى رضوان الله ﷻ:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٢٨ (محمد،٤٧ :٢٨)

يكرهون رضوان الله ﷻ مع أن رضوان الله ﷻ أكبر من أي خيرٍ آخر يمكن للإنسان أن يسعى إليه. يقول الله ﷻ:

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

﴿٧٢﴾ (التوبة،٩ :٧٢)

وكذلك أهل الكتاب يُبغض بعضهم بعضاً:

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ (المائدة،٥ :١٤)

ويريد الشيطان أن يجعل المؤمنين يبغضون بعضهم بعضاً:

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ (المائدة،٥ :٩١)

فهل هذا كله يعني أن المؤمنين يكرهون الأشياء السيئة فقط، والكافرين يكرهون الأشياء الخيِّرة فقط؟ الجواب هو لا، وذلك لأنه – كما قد رأينا سابقاً (في فصل "دائرتا الحب") – يوجد بين درجة الإيمان المحضة والكفر المحض أُناس يخلطون بين الاثنين؛ بين الإيمان وأعمال الكافرين (المعاصي). يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ:

وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ (التوبة،٩ :١٠٢)

وبما أن معظم الناس لهم بعض الأعمال السيئة، فمن الطبيعي أن يكرهوا بعض ما هو خيرٌ لهم. يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ:

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة،٢ :٢١٦)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ (النساء،٤ :١٩)

أما بالنسبة للرسل والأنبياء والذين تَغلّبوا على شُح أنفسهم، فيُحبون الخير ويكرهون الشر ولا يجدون في صدروهم حاجة مما أوتوا، فيُطيعون الله ﷻ تماماً:

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر،٥٩ :٩)

فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ (التغابن،٦٤ :١٦)

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة،٢ :٢٨٥)

والخلاصة أن الكُره فيما يبدو يعتمد على حالة الكَارِه الخاصة: فالمؤمنون يكرهون الشرّ، والكافرون يكرهون الخير، ولكن يمكن للمؤمنين الذين لم يتمّموا تَغلُبهم على نفوسهم أن يحبوا شيئاً شراً لهم أو يكرهوا شيئاً خيراً لهم. فهذا يعني أن الكره بحد ذاته ليس شيئاً كَريهاً، ولكن يُصبح كَرِيهاً عند الذين هم كَريهون أصلاً. فالكُره بالتالي يصدر من المحبة: فالمؤمنون يكرهون الشر من محبتهم لله ﷻ، والكافرون يكرهون الخير من محبتهم للشر ومن محبتهم لِشُح نفوسهم. وهذا يعني أنه إذا كان الكُره نقيض الحب عاطفياً، فإنه أيضاً، كالقبح، ليس شيئاً بحد ذاته، ولكنه عكس الحب ولذا فهو مكروه، والله أعلم.

٢٩. الباب الرابع؛ الفصل التاسع:

انتهاء الحب

المطلب الأول: حب الله ﷻ للناس

هل ينتهي الحب؟ وعند مَن؟ ومتى؟ وكيف؟ ولِـمَ؟

(أ) أما بالنسبة لحب الله ﷻ لخلقه الذين يستحقون حبه (كرسله وأنبيائه والمحسنين كما رأينا سابقاً في فصل "حب الله ﷻ للناس" وفي فصل "حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه")، فهذا الحب لا ينتهي لأنه من صفات الله ﷻ (كما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب")، وصفات الله ﷻ أبدية لا تتغير ولا تتبدل. يقول الله ﷻ:

.... وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ (الأنعام،٦ :٣٤)

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ (الأنعام،٦ :١١٥)

لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ (يونس،١٠ :٦٤)

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ (الكهف،١٨ :٢٧)

سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ (الأحزاب،٣٣ :٦٢)

....ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ (فاطر،٣٥ :٤٣)

سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ (الفتح،٤٨ :٢٣)

مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ (ق،٥٠ :٢٩)

سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴿٧٧﴾ (الإسراء،١٧ :٧٧)

فإن حب الله ﷻ للناس لا يتغيّر ولا ينتهي أبداً. التغيير يحدث حين يتغيّر هؤلاء الذين يحبهم الله ﷻ لدرجة أنهم يصبحون أشراراً ويرفضون حب الله ﷻ. وحتى حينئذن فليس حب الله ﷻ الذي يتغيّر، بل هؤلاء هم الذين أداروا ظهورهم لحب الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ (الأنفال، ٨: ٥٣)

... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ... (الرعد، ١٣: ١١)

المطلب الثاني: حب الناس لله ﷻ

(ب) وأما بالنسبة لحب البشر لله ﷻ، فإنّنا عرَّفنا الحب (في فصل "تعريف الحب") أنه: "مَيلٌ من بعد الإعجاب إلى الحُسن". وبما أن "حُسن الله ﷻ" أو "جماله" لا يتغير ولا يتبدَّل، فهذا يعني أن الطريقة الوحيدة التي يمكن فيها أن يتغير حب الإنسان لله ﷻ هي إذا تغير الإنسان نفسه، وبالتالي تغير إعجابه وميله إلى محبوبه الذي هو الله ﷻ. وقد رأينا سابقاً أيضاً (في فصل "طبيعة الحب") أن الحب في حالة تغير مستمرّ، وأن الإنسان نفسه في حالة تغير مستمرّ؛ وبيَّن الله ﷻ في القرآن الكريم أنه حتى الإيمان قد يتغير ويزيد ويقل إلى آخر لحظة في حياة الإنسان:

لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ (الفتح،٤٨ :٤)

وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ (الكهف،١٨ :١٣)

وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى (مريم،١٩ :٧٦)

وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ (محمد،٤٧ :١٧)

وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا (المدثر،٧٤ :٣١)

أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا (التوبة،٩ :١٢٤)

فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا (آل عمران،٣ :١٧٣)

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢٢)

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا (الأنفال،٨ :٢)

وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى (البقرة،٢ :٢٦٠)

فإذا تغير الإنسان وخف إيمانه، فسينقص أيضاً حبه لله ﷻ، كما إذا زاد إيمان الإنسان بالله فإنه سيزيد أيضاً حبه لله ﷻ (وقد ذكرنا هذين الاحتمالين في فصل "دائرتي الحب" وفي فصل "نمو الحب"). فالخلاصة هنا هي أن حب الإنسان لله ﷻ قد يتغير ليس لأن محبوبه يتغير (والله ﷻ لا يتغير أبداً) ولكن لأن الإنسان هو نفسه قد يتغير وقد يتغير قلبه ونفسه. وفي طبيعة الحال ينطبق هذا أيضاً على حب الإنسان "في الله ﷻ" كحب المؤمنين لرسول الله ﷺ وللقرآن الكريم وذكر الله ﷻ والشعائر الدينية الأخرى.

وقد ينتهي حب الإنسان لله ﷻ إذا أصبح هذا الإنسان كافراً كلياً، إلا أنه كما ذكرنا سابقاً (في فصل "الكون والحب") كل أعضائه وكل ذرة فيه ستبقى تحب الله ﷻ (ما دامت موجودة) بحب طبيعي فطري رغماً عن نفسه الكافرة التي أصبحت محجوبة عن حب الله ﷻ. وذكرنا سابقاً أننا لا نعلم شيئاً يمكن له أن لا يحب الله ﷻ إلا نفس الإنسان الكافر، فنضيف هنا أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينتهي فيه الحب لله ﷻ هو أيضاً نفس الإنسان الكافر.

*

مسألة: بناءاً على ماذا يتغير حال الإنسان وإيمانه وحبه؟

يتغير إيمان الإنسان بناءاً على تغيّر نيته وعمله: فإن كانت نيته وعمله صالحاً فإن إيمانه سيزيد، وإن كانت نيته وعمله سيئاً فإيمانه سينقص. يقول الله ﷻ:

كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ (المطففين،٨٣: ١٤)

وكذلك جاء عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول" :

((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ والأرض والآخر أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))[٣٢٠].

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:

((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ (المطففين،٨٣: ١٤) **))**[٣٢١].

ويلاحظ أنه حتى بعض أولياء الله ﷻ غير الكاملين قد ينسلخ من الإيمان والتقوى (كالمذكور في الآيات التالية وهو بلعام ابن باعوراء)[٣٢٢]:

---

٣٢٠ رواه مسلم في الصحيح، رقم ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً.

٣٢١ رواه الترمذي، رقم ٣٣٣٤، كتاب التفسير، باب سورة المطففين، وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح)).

وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ (الأعراف،٧ :١٧٥-١٧٦)

فليحذر المؤمن من أن يرتكب إثماً ويتراجع في إيمانه وبالتالي في حبه لله ﷻ لأن الشيطان ينتظر أن يزل الإنسان. قال الله ﷻ:

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ (الإسراء،١٧ :٥٣)

قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ (الإسراء،١٧ :٦٢-٦٤)

قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ (الأعراف،٧ :١٦)

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ (الحجر،١٥ :٣٩)

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ (ص،٣٨ :٨٢)

وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ (النساء،٤ :١١٩)

وهذه الزلة قد تتم باستدراجٍ خفيٍّ لا يعلم الإنسان مصدرها، فلا يحميه منها إلا اتّباع شريعة الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ. يقول الله ﷻ:

٣٢٢القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد٧، ص٣٢١.

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ (الأعراف،٧ :١٨٢)

فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ (القلم،٦٨ :٤٤)

*

المطلب الثالث: حب الناس لغير الله ﷻ

(ج) أما بالنسبة لحب الإنسان لغير الله ﷻ، فهو (كما رأينا سابقاً) أنواع كالتالي: **(١) حب الإنسان للأشياء؛ (٢) حب الإنسان للشهوات؛ (٣) حب الإنسان لأصدقائه؛ (٤) حب الإنسان لزوجته؛ (٥) حب الإنسان لعائلته وأقاربه؛ (٦) حب الإنسان للمؤمنين؛ (٧) حب أهل الكتاب؛ (٨) وحب الإنسان للناس جميعاً.**

بالنسبة للأنواع الأربعة الأخيرة المذكورة أعلاه (**حب الإنسان لعائلته وأقاربه؛ حب الإنسان للمؤمنين؛ حب أهل الكتاب؛ وحب الإنسان للناس جميعاً**)، فهذه الأنواع من الحب تتأثر حسب حب الإنسان لله ﷻ، لأن الله ﷻ أوصى بهم كما رأينا (في فصل "حب الآخرين: الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء"). فكلما زاد حب الإنسان لله ﷻ زادت أيضاً هذه الأنواع الأربعة من الحب، وكلما نقص أو خف حب الإنسان لله ﷻ نقصت أيضاً هذه الأنواع الأربعة من الحب[٣٢٣]. لكن هذا لا يعني أنه لا

٣٢٣ وبالطبع فإن حب العائلة والأقارب وحب المؤمنين وأهل الكتاب وكل البشر ينتهي في الآخرة إن لم يكن هذا الحب مبنياً على حب الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٠١)

لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾ (الممتحنة، ٦٠: ٣)

يكون للإنسان ميل خاص لأحد من عائلته أو من المؤمنين أو من أهل الكتاب أو من الناس جميعاً (بناءاً على علاقة أوتجربة خاصة أوخصوصية لا علاقة لها مباشرة في المحبة بالله ﷻ). وقد يحب الإنسان الآخرين حباً خاصاً لحاجة خاصة عنده محايدة لا علاقة لها بحب الله ﷻ. يقول الله ﷻ عن سيدنا يعقوب عليه السلام وأبنائه:

وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ (يوسف،١٢ :٦٨)

أما بالنسبة للنوعين الأولين المذكورين أعلاه: (**حب الإنسان للأشياء وحب الإنسان للشهوات**) فهما من الحب الذي قد يتغير ويزيد أو ينقص أو ينتهي في أي لحظة بما أن الإنسان وحبه في حالة تغير مستمرّ، لأنهما من أنواع الحب الأسفل (كما رأينا في فصل "مراتب الجمال والحب") ومبنية على أوهامٍ وشهواتٍ وليست متعلقة بالله ﷻ، وبالتالي لا ثبات لهما.

وبالنسبة للنوع الثالث من الحب: (**حب الأصدقاء**) فهو ينقسم إلى نوعين: **أصدقاء الخير**، و**أصدقاء الشر**.

بالنسبة **لأصدقاء الشر**، فإنه من السهل أن تتغير هذه الصداقة لأنها مبنية على وهم، والوهم أمر غير حقيقي. يقول الله ﷻ:

وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ

وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ (المعارج، ٧٠: ١٠ – ١٤)

يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ (عبس، ٨٠: ٣٤ – ٣٧)

مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ (النساء،٤ :٧٣)

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ (الممتحنة،٦٠ :٧)

وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ (فصلت،٤١ :٣٤)

وإن كانت هذه الصداقة لا تتغير في الدنيا فلا بد لها أن تنتهي في الآخرة لأن كل وَهْمٍ فانٍ في الآخرة. يقول الله ﷻ:

وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ (العنكبوت،٢٩ :٢٥)

يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ (الفرقان،٢٥ :٢٨)

وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ (البقرة،٢ :١٦٧)

لكن بالنسبة **لأصدقاء الخير**، فلا تتغير هذه الصداقة بسهولة لأنها ليست مبنية على وهمٍ، ولأن الحب الذي في هذه الصداقة الخيرة نتيجة تعلق الملكات الواحدة تلو الأخرى إلى الصديق المحبوب ولأنها نوع من أنواع الحب في الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف،٤٣ :٦٧)

أما بالنسبة للنوع الرابع من الحب (وهو **الحب الزوجي**)، فإن كان هنالك حباً حقيقياً وليس جسمانياً فقط فإن تغيره أمرٌ غير سهل لأنه كما رأينا سابقاً (في فصل "الحب الزوجي") "جعل إلهي" أو "خلق إلهي"، وقد

تم ربطه من خلال الحب في الله ﷻ وميل الملكات واحدة تلو الأخرى إلى المحبوب بشكل تدريجي وكامل.

وهذا لا يعني أن هذا الحب - إن كان حقيقياً أصلاً - لا يتغيَّر أبداً: فقد يتغيّر بسبب تَغير جمال المُحب النفسي أو جمال المحبوب النفسي. فإن ظهر من المحبوب قبح جديد لم يكن موجوداً منذ الأساس (كما يحصل بعد ارتكاب الأعمال السيئة) فربما يتأثر حب الذي يُحبه. يقول الله ﷻ:

إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ (التحريم،٦٦ :٤-٥)

ولكن من الوفاء أن لا يتغير هذا الحب بسبب تغير جسم المحبوب أو جماله أو جمالها الجسدي كما يحصل في التقدم في السن أو بعد حادث ما. فالله ﷻ أكّد على قيمة فضيلة الوفاء في نفس المؤمن:

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ (آل عمران،٣ :٧٦)

وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ (النجم،٥٣ :٣٧)

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ (الإسراء،١٧ :٣٤)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ (الفتح،٤٨ :١٠)

وقد أشار الله ﷻ إلى عظمة الوفاء في الحب الزوجي ودناءة خيانة هذا الحب والميثاق الغليظ الذي هو جزء لا يتجزأ منه في قوله ﷻ:

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٣٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ (النساء، ٤ :٢٠-٢١)

فالله ﷻ يذكِّرنا بسيِّئةِ أخذِ أو سلبِ أيِّ شيءٍ من الزوجة أو الزوج (بما فيه الحب نفسه) بعد إفضاء كل من الزوجين بعضهما لبعض. وربما هذا هو سر سبب كون الطلاق أبغض الحلال إلى الله ﷻ، كما قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق**»[٣٢٤].

فالخلاصة هو أن الحب الزوجي الحقيقي له قيمة عظيمة، وفيه ميثاق غليظ بشهادة الله ﷻ، ويجب الوفاء فيه ولا ينبغي له أن يتغيَّر أبداً في الدنيا أو في الآخرة إلا بسبب تغيّر المحبوب إلى الأسوء نفسياً، ولا بسبب تغير المحبوب إلى الأقبح جسدياً كما هي طبيعة الأجساد، والله أعلم.

---

٣٢٤ رواه أبو داود، رقم ٢١٧٨، كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق. وابن ماجه، رقم ٢٠١٨، كتاب الطلاق، باب طلاق السنة.

٣٠. الباب الرابع؛ الفصل العاشر:
طبيعة الحب

بيَّن الله ﷻ في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الحب قواعد عامة. ونبيّن فيما يلي بعضها:

المطلب الأول: الحب في تغيّر دائم

بطبيعة الحال كل شيء يتغيّر. لكن إضافة إلى ذلك التغيير العام، كُل من يعيش أحوال الحب يتغيّر بشكل دائم ومستمر (في هذا العالم على الأقل). هذا لأن الله ﷻ "كل يوم في شأنٍ يُبديه لا يَبْتديه":

يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ (الرحمن،٥٥ :٢٩)

ولأن الله ﷻ يَخلُق خلقاً جديداً:

أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ (ق،٥٠ :١٥)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ (إبراهيم،١٤ :١٩-٢٠)

ولكن التغيير ليس تغييراً فقط، وإنما فيه قبض وبسط، وذلك لأن الله ﷻ يقبض ويبسط:

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة،٢ :٢٤٥)

ويمكن لنا أن نرى في مراحل الحب (كما ذكرنا سابقاً في فصل "مراحل الحب") أثر القبض والبسط. فمن مراحل الحب مثل الحزن والألم والخوف

والبكاء والقنوت والاستغفار والتبتُّل والإخبات والإنابة والتضرّع و"وجل القلب"، كل هذه هي من مراحل "القبض". وكذلك الفرَح والسكون والشكر والسلام والاكتفاء والاطمئنان والإعجاب والمحبة والمودة والود والرضا، كل هذه هي من مراحل "البسط". فالإنسان يعيش آثار القبض والبسط بشكل طبيعي عندما يعيش مراحل الحب. ولذلك كل من يُحب هو في حالة تغيُّر مستمر، وهو بين أحوال القبض والبسط في الحب بشكل دائم، على الأقل في هذا العالم؛ يقول الله ﷻ:

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ (الشرح، ٩٤: ٥ – ٦)

❋

وربما هذا التغيُّر المستمر هو سبب عدم وجود الكلَل والمَلل في الحب الحقيقي. فالإنسان لا يسأم من دعاء الخير، وبالتالي لا يسأمُ من الدعاء (والدعاء مرحلة من مراحل الحب كما رأينا). يقول الله ﷻ:

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ (فصلت،٤١ :٤٩)

وكذلك لا يسأمُ أهل الجنة من الحب، كما سنرى إن شاء الله (في فصل "الحب والجمال في الجنة"). يقول الله ﷻ:

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ (الحجر،١٥ :٤٨)

وربما سبب هذا كله هو أن الله ﷻ لا يمسه الكَلل والمَلل. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾

(ق،٥٠ :٣٨)

فهذا كله لنقول إنّ في الحب تغيُّراً مستمراً، ولكن هذا التغيير لا يسبب مَللاً من الحب للإنسان الذي يحب، والله أعلم.

المطلب الثاني: حاجة الحب

الإنسان الذي يُحب بحاجة مستمرة إلى محبوبه، والحاجة تعني النقص. وقد ذكرنا سابقاً فقر الإنسان، وبالتالي حاجة الإنسان. يقول الله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ (فاطر،٣٥: ١٥)

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ (محمد،٤٧: ٣٨)

وبطبيعة الحال، كل شيء بحاجة لله ﷻ:

﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ (الرحمن،٥٥: ٢٩)

ولكن بما أن كل شيء يُحب الله ﷻ (كما رأينا سابقاً في فصل "الكون والحب")، يمكن لنا أن نعتبر أن السؤال المستمر لله ﷻ والفقر إليه جزء لا يتجزأ من الحب. فالحب يعني بالضرورة حاجة، والذي يحب يحتاج محبوبه.

المطلب الثالث: خصوصية الحب

للحب خصوصية خاصة. فالإنسان لا يستطيع أن يحب من كل قلبه حبيبين من النوع نفسه. ولهذا يقول الله ﷻ:

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ (النساء،٤: ١٢٩)

وسبب هذه الخصوصية هي أن للإنسان قلباً واحداً فقط، والحب يملأ هذا القلب، فلا يستطيع الإنسان أن يملأه بحبين لأنه لا يتسع لهما.

يقول الله ﷻ:

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ (الأحزاب،٣٣ :٤)

وربما تأتي الغيرة من هذه القاعدة: فكما يعلم الإنسان أن قلبه لا يستطيع أن يحب إلا حباً واحداً، يعلم أن محبوبه لا يستطيع أن يحب إلا حباً واحد، فَيَغار إذا أبدى محبوبه مَيلاً إلى أي شيء آخر غيره، والله أعلم. وعلى أية حال، فللحب خصوصية تطلب من الإنسان كل قلبه وكل مكوناته وكل مَلَكاته، ويملأها كلها بحب واحد، ولا يسمح لحب أي شيء آخر أن يدخل في هذا القلب إذا كان الحب كاملاً. ويقول الله ﷻ للرسول ﷺ:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (الأنعام،٦ :١٦٢-١٦٣)

المطلب الرابع: قدرة الحب

للحب قدرة عظيمة. فالحب يُغيّر من يُحب، وهذا ما رأيناه في الفصلين "مراحل الحب" و "نمو الحب". وبهذا التغيير يقهَر الحب الشخص الذي يُحب – والقبض الذي ذكرناه أعلاه هو عنصر من هذا القهر – ولكن هو قهر خَيِّر لأنه يُغيِّر نفس الذي يُحب إلى الأفضل، ويفصله عن طبيعته السفلى وجشعه وذاته (الأنا). وأشار سيدنا يوسف عليه السلام لهذا القهر الخيِّر، وهو في السجن وليس له إلا الله. يقول الله ﷻ:

يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ (يوسف،١٢ :٣٩)

بعبارة أخرى، فإن سيدنا يوسف عليه السلام وهو في السجن وقد قهره حب

الله ﷻ، الربّ الواحد، كان أسعد وأفضل حالاً من هؤلاء الملتهين عن الله بأمور أخرى (أَرْبَاب) وهم أحرار في الدنيا.

فنهاية الحب هو القهر الأكبر وهو الموت. فالذي يُحب يموت في محبوبه أو لمحبوبه، وسنرى هذا – إن شاء الله ﷻ – في فصل "الحب والموت". ويكفي هنا أن نشير إلى بُشرَى الموت في الحب كما ذكرها الله ﷻ في الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ (التوبة،٩ :١١١)

والخلاصة أن للحب قوة عظيمة، فالحب يقهر من يُحب، ثم يستدرجه عبر مراحل الحب إلى موته، ومن ثمَّ إلى الخلود في محبوبه، فللحب قُدرة على الإفناء والإبقاء، فما أعظم قدرة الحب! يقول الله ﷻ:

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (البقرة،٢ :١٥٤-١٥٦)

٣١. الباب الرابع؛ الفصل الحادي عشر:
الحب والسعادة

لا يوجد فرح ولا رضى ولا سلام ولا متعة من غير حب من طريقة أو من أخرى. وسبب ذلك أن الفرح والرضى والمتعة، كما رأينا سابقاً (في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب")، هي من أنواع أو مراحل الحب. فكيف يكون فرح بشيء من غير حبه؟ أو رضى بشيء من غير حبه؟ أو يجد السلام في شيء من دون أن يحبه؟ أو متعة بشيء من غير حبه أو اللذة فيه؟ وأوضح الله ﷻ هذا في قوله الكريم:

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ .... (الأحزاب،٣٣ :٤)

فبما أن الإنسان ليس له إلا قلب واحد، فلا يستطيع أن يرضى بشيء لا يحبه. يقول الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران،٣ :١٤)

فهنا نرى أن متاع الحياة الدنيا كلها وزينتها وشهواتها جميعها مرتبط بالحب. ومن ناحية أخرى، نرى أنه يوجد فرح في الفرار من شيء لا نحبه، وبالتالي يوجد فرح في الميل إلى الشيء الذي نحبه (وهو نقيض ما لا نحبه). يقول الله ﷻ:

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ (التوبة،٩ :٨١-٨٢)

فالمخلَّفون فرحوا بمقعدهم لأنهم كانوا يكرهون الجهاد ويحبون ما يظنونه أمناً، وهذا يدل على أن الفرح يأتي من الحب حتى لو كان الحب لشيء دنيئ أو سيء. وهذا يفسّر أيضاً كيف تكون المتعة في الحياة الدنيا بالرغم من الموت الذي يُنْتظر في آخرها. يقول الله ﷻ:

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (الأنعام،٦ :١٢٨)

وهذا يفسّر كذلك أيضاً كيف يكون الرضى في الحياة الدنيا والاطمئنان بها عند الغافلين:

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ (يونس،١٠ :٧)

فالغافلون يطمئنون للحياة الدنيا ويرضون بها بالرغم من أن السلام الحقيقي واطمئنان القلب الحقيقي والسكينة الحقيقية فقط في ذكر الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد،١٣ :٢٨)

وكذلك يرضون بالحياة الدنيا بالرغم من الرضى المتبادل الذي يكون بين الله ﷻ والمؤمنين في الدنيا والآخرة. يقول الله ﷻ:

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ (البينة،٩٨ :٨) (انظر إلى: المائدة،٥ :١١٩؛ التوبة،٩ :١٠٠؛ المجادلة،٥٨ :٢٢؛ الفجر،٨٩ :٢٧-٣٠).

ولكن بالرغم من الفرح والمتعة والرضى الذي قد يشعر به الكافرون والمشركون والغافلون والظالمون نتيجة ميلهم إلى ما يحبونه في الحياة الدنيا،

فإن الحياة الدنيا بدون ذكر الله ﷻ وعبادته تكون بالضرورة حياة فيها شيء من الكآبة (ربما لأن كل إنسان يعرف أنها ستنتهي آجلاً أم عاجلاً).

يقول الله ﷻ:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه،٢٠ :١٢٤)

وهنا نأتي إلى نقطة مهمة جداً يبرزها الإعجاز القرآني: وهي كلمة "السعادة" فهي لم ترد ولا مرة واحدة في القرآن الكريم في وصف الحياة الدنيا وحياة الكفار والمشركين والغافلين والظالمين. وإنما أتت كلمة السعادة مرتين في القرآن الكريم فقط، كلتاهما تشير إلى الجنة وهما في الآيات التالية من سورة هود عليه السلام:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ (هود،١١ :١٠٥-١٠٨)

فالسعداء هم الذين يكونون في الجنة خالدين فيها، ولا يكون أحد من الكفار والمشركين والغافلين والظالمين سعيداً حقيقة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك بالرغم من الفرح والمتعة والرضى الذي قد يشعروا به في الحياة الدنيا. وبمعنى آخر: لا سعادة حقيقة بدون حب الله ﷻ.

✵

مسألة: هل تنطبق كلمة "سعادة" على المؤمنين الصالحين في الدنيا في ضوء القرآن الكريم؟

يقول الله ﷻ:

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة،٢ :٢٥)

فبما أن السعادة نعمة على الإنسان وبالتالي رزق من الله ﷻ، وبما أن كل رزق يرزق المؤمن به في الجنة يذكره في رزقٍ ما في الدنيا، فهذا يعني أنه قد تكون سعادة ما للمؤمن الصالح في الدنيا ولو أن رزق الجنة ليس نفس رزق الأرض (وبطبيعة الحال أفضل منها) ولكن "مُتَشَٰبِهًا ۖ" لها فقط، والله أعلم.

✵

مسألة: لِمَ لا تكون سعادة حقيقية للكافرين والمشركين والغافلين والظالمين في الدنيا؟

قد ذكرنا سابقاً قول الله ﷻ:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ (طه،٢٠ :١٢٤)

وذكرنا أيضاً أن الفرح والمتعة والرضى والسلام كلها تعتمد على الحب. فهذا يعني بالضرورة أن حب الكافرين والمشركين والغافلين والظالمين لا يكفي لكي يؤدّي إلى درجة السعادة الكاملة. فسعادتهم يبقى فيها نقص لأن حبهم يبقى فيه نقص بالنسبة لحب المؤمن ولأنهم لا يصلون إلى حالة المعية الكاملة الدائمة مع محبوبهم لكونه ليس الله ﷻ الباقي وبالتالي فهو فانٍ. وهذا واضح في قول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

فالحب الدنيوي لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ. وكما رأينا سابقاً مراراً، أن الله ﷻ نفخ فيه من روحه (انظر إلى: السجدة،٣٢ :٧-٩؛ ص،٣٨ :٧٢؛ الحجر،١٥ :٢٨-٣٤)، وبالتالي لا يكفيه ولا يملؤه بشكل كامل إلا حب الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ (البقرة،٢ :١٢٧)

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ (الزمر،٣٩ :٣٦)

ولهذا فإن سعادة الإنسان وحبه وحياته الحقيقية هي في الآخرة أو عند الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ (العنكبوت،٢٩ :٦٤)

والله أعلم.



٣٢. الباب الرابع؛ الفصل الثاني عشر:

الحب والجمال في الجنة

هل يوجد حب وجمال في الجنة؟ بالنسبة للجمال الجواب واضح، فالجنة كُلّها جمال، وفيها النظر إلى الجميل، وهو الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ (القيامة،٧٥ :٢٢-٢٣)

وإضافة إلى ذلك فالجنة مليئة بأهل الأرواح الجميلة، بدءاً برسول الله ﷺ. يقول الله ﷻ:

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ (النساء،٤ :٦٩)

ولا يفوتنا أن نذكر جمال حور الجنة. يقول الله ﷻ:

وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ (النبأ،٧٨ :٣٣)

فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ (الواقعة،٥٦ :٣٦-٣٧)

فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ (الرحمن،٥٥ :٥٦)

حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ (الرحمن،٥٥ :٧٢)

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ (الدخان،٤٤ :٥٤)

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ (الطور،٥٢ :٢٠)

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ (الواقعة،٥٦ :٢٢-٢٣)

وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ (الصافات،٣٧ :٤٨)

وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ (ص،٣٨ :٥٢)

✵

ولكن هل هذا يعني أن في الجنة حباً[٣٢٥]؟ كما رأينا سابقاً (في فصل

---

٣٢٥ من الواضح أن الجنة هي مآب الرضى والفرح والسعادة والسلام. يقول الله ﷻ عن الرضى في الجنة:

فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ (الحاقة، ٦٩: ٢١)

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ (الغاشية، ٨٨: ٨ – ٩)

يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٧ – ٣٠)

فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ (القارعة، ١٠١: ٧)

ويقول الله ﷻ عن الفرح في الجنة:

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٧٠)

ويقول الله ﷻ عن السعادة في الجنة:

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ (هود، ١١: ١٠٥ – ١٠٨)

ويقول الله ﷻ عن السلام في الجنة:

سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ (يس، ٣٦: ٥٨)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٥ – ٢٦)

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ (الحجر، ١٥: ٤٥ – ٤٦)

۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٧)

(انظر أيضاً: ١٠: ١٠؛ ١٤: ٢٣؛ ١٦: ٣٢؛ ١٩: ٦٢؛ ٢٥: ٧٥؛ ٣٣: ٤٣؛ ٥٠: ٣٤؛ ٥٦: ٩١).

وقد رأينا في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب" أن الرضى نوع من أنواع الحب ومرحلة من مراحل الحب، وأن الفرح والسلام مرحلتين من مراحل الحب. هذا

"طبيعة الحب") يوجد في الحب قبض، ويوجد في الحب نقص، ويوجد في الحب حاجة، ويوجد في الحب حزن؛ والجنة ليس فيها هذه الصعوبات. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ (الحجر،١٥ :٤٥-٤٨)

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ (فاطر،٣٥ :٣٤-٣٥)

فالجواب على هذا السؤال هو أن كُل رزق يُرزق به الإنسان في الدنيا موجود في الجنة (والحب رزق للإنسان). يقول الله ﷻ:

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة،٢ :٢٥)

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ (الزلزلة، ٩٩: ٧)

ومع أن رزق الجنة شَبيه برزق الأرض، لكن يختلف رزق الجنة عن رزق الأرض بشيء معين. يقول الله ﷻ:

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ (الأعراف،٧ :٣٢)

يعني أنه لا بد من أن يكون هناك حب من نوع ما في الجنة؛ فمن دون الحب لا توجد سعادة وبالتالي لا تكون الجنة بغير حب.

فرزق الجنة وزينتها خالصة بينما رزق الأرض يكون فيه بالضرورة نقص ما. يقول الله ﷻ:

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ (محمد،٤٧: ١٥)

فكذلك الحب في الجنة: لا يكون في الجنة حب غير الحب الخالص والخيِّر. وهذا الحب موجود فقط عند المتقين. فحتى درجة الخُلَّة من الحب لا وجود لها في الجنة إلا إذا أتت بالتقوى:

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف،٤٣: ٦٦-٦٧)

ولذا، فالأزواج الصالحون والزوجات الصالحات مع بعضهم البعض في الجنة (ومع أولادهم أيضاً) لأنَّ الحب الخيِّر والحب في الله يخلد[٣٢٦]. يقول الله ﷻ:

هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ (يس،٣٦: ٥٦)

ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ (الزخرف،٤٣: ٧٠)

---

٣٢٦ بل أكثر من ذلك: كل غِل أو نقص في الحب الخيِّر ينزع في الجنة لكي يصبح الحب في الجنة محض وخالص. يقول الله ﷻ:

وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ (الأعراف،٧: ٤٣)

ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ (الحجر،١٥: ٤٦-٤٨)

رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ (غافر،٤٠ :٨)

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ (الرعد،١٣ :٢٣)

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ (الطور،٥٢ :٢١)

وعلى العكس من ذلك، الأزواج الظالمون والزوجات الظالمات مع بعضهم البعض في النار لأن الحب المبني على "النفس الأمارة بالسوء" ينتهي. يقول الله ﷻ:

ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ (الصافات،٣٧ :٢٢)

فخلاصة القول هنا هو أنه يوجد في الجنة كل مَا يُحبه أهل الجنة، وكل مَن يحبهم، وأنه يوجد في الجنة حب، ولكن الحب في الجنة يختلف عن الحب في الدنيا. الحب في الجنة هو فقط ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من دون معاناة وقبض، كالحب في الدنيا، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ (الزخرف،٤٣ :٦٦-٧٢)

الباب الخامس: المحبوب (الجمال واللّقاء والرضوان)

٣٣. الباب الخامس؛ الفصل الأول:
الجمال والحُسن ومكوناتهما

المطلب الأول: معنى "الجمال" ومعنى "الحُسن"

ما هو الفرق بين الجمال والحُسن؟ فيما يلي رأي العلماء في ذلك:

أما بالنسبة للجمال:

فيقول الراغب: "الجَمَال: الحُسْنُ الكثير، وذلك ضربان، أحدهما: جمال يختص الإنسانُ به في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني: ما يوصَلُ به إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما رُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله جميل يحب الجمال**» تنبيهاً أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة فَيُحِبُّ مَنْ يختصُّ بذلك، وقال ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ ...﴾ (النحل،١٦ :٦) قال ﷻ: ﴿...فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ...﴾ (يوسف،١٢ :١٨) "[٣٢٧].

ويقول الزبيدي: " والجمال الحُسن ، يكون في الخَلْق وفي الخُلُق "[٣٢٨].

وأما بالنسبة للحُسن:

يقول الراغب: "الحُسْنُ عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن

---

٣٢٧ المفردات، ص٩٧.

٣٢٨ تاج العروس، ٧/ ٢٦٣.

من جهة الحس"[٣٢٩].

وقال الزبيدي: "الحُسْنُ بالضم الجمالُ، ظاهره ترادفهما. وقال الأصمعي: الحُسن في العينين، والجمال في الأنف، وفي الصحاح الحُسْنُ نقيض القبح. وقال الأزهري: الحُسْنُ نعْتٌ لما حَسُنَ"[٣٣٠].

يَتَّضِحُ من أقوال العلماء أنه يوجد شيء من الترادف بين المصطلحين "جمال" و"حُسن"، وأن العلماء ليس لديهم دليل قطعي في هذا الموضوع. ومع هذا يلاحظ أن وصف "الجمال" يُستعمل إذا كان الجميل واحداً، فالله ﷻ جميل، والصبر جميل[٣٣١]، وفي الأنعام جمال[٣٣٢]. أما بالنسبة لوصف "الحُسن"، فهو يُستعمل إذا كان المقصود أكثر من واحد أو تعدد في أنواع جمال الموصوف: فللّه الأسماء الحسنى[٣٣٣]، و"الإحسان" يعني الفضائل كلها كما ذكرنا، وحُسن المرأة يُطلق على كُل حُسن مُجمل في شكلها الظاهري، والله أعلم.

✵

المطلب الثاني: مُكوّنات الجمال والحُسن

الجمال أو الحُسن صفة، والصفة عموماً لا تتجزأ – بذاتها – ولكن هل يوجد في هذه الصفة مكوّنات؟ بمعنى آخر، هل للجمال أو للحُسن عناصر

---

٣٢٩ المفردات، ص ١١٨.

٣٣٠ تاج العروس، ٧/ ٢٦٣.

٣٣١ يوسف،١٣ :٨٣.

٣٣٢ النحل،١٦ :٦.

٣٣٣ انظر إلى: الأعراف،٧ :١٨٠؛ الإسراء،١٧ :١١٠؛ طه،٢٠ :٨؛ الحشر،٥٩ :٢٤.

يُمكن لنا أن نسميها ونفهمها؟ يقول الله ﷻ:

ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ (الرحمن،٥٥ :١-١٣)

فنرى هنا، في بداية سورة الرحمن، أن الله ﷻ ذكر الميزان ثلاث مرات.

وجاء في تفسير الجلالين:

"﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ أثبت العدل. ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ ﴾ أي لأجل أن لا تجوروا ﴿ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴾ ما يوزن به. ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ بالعدل ﴿ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ تُنقصوا الموزون"[٣٣٤].

لكن يُلاحظ أن الله ﷻ ذكر الميزان بين ذِكره للشمس والقمر والنجم والشجر والسماء والأرض وما تُنبت الأرض، وأن الله ﷻ لم يذكر أشياء تُنسب عادة للعدل قبل وبعد ذكر الميزان. بل ذكر الله ﷻ ما في خَلقه من طبيعة الخلق قبل وبعد الميزان ولم يذكر ثواباً وعقاباً وأشياء أخرى يتوقع العقل أن يجدها مع ذكر العدل. فلذلك ربما يكون في ذِكر "الميزان" إشارة إلى "ميزان" أكبر، وهو التوازن والتناغم الطبيعي في خلق الله ﷻ. ودليلنا على هذا هو "الحسبان" الذي ذكره الله ﷻ: ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ (الرحمن،٥٥ :٥-٧)

ونعلم – كما ذكرنا سابقاً مراراً – أن الله ﷻ وضع الجمال في كل شيء خلقه:

---

٣٣٤ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٧٠٩.

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة،٣٢ :٧)

وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل،٢٧ :٨٨)

فإنه يوجد أيضاً بالضرورة جمال في السماوات والأرض وفي مكونات كل منهما التي ذكرها الله ﷻ في بداية سورة الرحمن. فهل هذا يعني أن الميزان جزء من الجمال؟ أو بالأحرى، هل هذا يعني أن الميزان هو تركيب الجمال؟

ذَكرَ الرسول ﷺ فضائل عدة لبعض سور وآيات القرآن الكريم. لكن بالنسبة لسورة الرحمن ذَكَر شيئاً فريداً من نوعه:

فعن سيدنا علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن**»[٣٣٥].

فكرة "العروس" تختلف عن فكرة "المرأة" أو "الزوجة" بشيئين: بالجمال (لأن العروس تكون عادة جميلة) وبالاحتفال (لأن العروس تختلف عن المرأة بحادث العُرس، والعُرس احتفال). فهل يوجد في حديث رسول الله ﷺ إشارة إلى جمال سورة الرحمن؟ وهل في حديث رسول الله ﷺ إشارة أيضاً إلى أنه يوجد في سورة الرحمن ذِكر وشرح للجمال؟

وهذا يجعلنا نقول بأنه يوجد في ذِكر الميزان إشارة إلى الجمال.

ذَكرَ الله ﷻ مُكوّنات الميزان، وهي: (١) إقامة، (٢) الوزن، (٣) القسط بينهما. في الإقامة شيء عمودي، وفي الوزن شيء أفقي، وفي القسط تناغم بينهما. من ناحية أخرى، يوجد في الإقامة شيء جَلالي (لأن الإقامة تتطلب الحق)، ويوجد في الوزن شيء إكرامي (لأن الوزن يتطلّب شيئاً متوفراً وموجوداً، وبالتالي رزقاً من الله ﷻ)، ويوجد في القسط شيء كمالي. فإن كان هذا الطرح صحيحاً، فيمكن لنا أن نقول إن مكوّنات الجمال هي وجود

٣٣٥ رواه البيهقي، رقم ٢/ ٤٩٠، كتاب شعب الإيمان، باب تعظيم القرآن.

الجلال والجمال والتوفيق بينهما، وبالتالي الكَمال.

وربما تكون إشارة أخرى لمكوّنات الجمال في بداية ونهاية سورة الرحمن. فأول آية في السورة هي: "ٱلرَّحۡمَـٰنُ"، والرحمن (كما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب") مصدر الحب ومصدر الخَلق، وبالتالي مصدر الجمال. وآخر آية في سورة الرحمن هي: تَبَـٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَـٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ (الرحمن،٥٥ :٧٨) . فربما نرى أيضاً في هذا الاسم من أسماء الله سِر مكونات الجمال: فمكونات الجمال هي الجلال والإكرام والبَرَكة بينهما. والله أعلم.

والإمام الفخر الرازي قسّم أسماء الله الحسنى (وبالتالي الجمال نفسه) إلى قسمين وهما الجلال والإكرام فقال:

"صفات الله تعالى نوعان سلبية وهي المسماة في القرآن بالجلال، وإضافية وهي المسماة في القرآن الكريم بالإكرام وإليه الإشارة بقوله: ... ذُو ٱلۡجَلَـٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ (الرحمن،٥٥ :٢٧) "[٣٣٦].

وكذلك صنّف بعض العلماء الآخرين (مثل الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي في كتابه "الإنسان الكامل") أسماء الله الحسنى إلى صنفين: أسماء الذات الإلهية (مثل:الأحد)، وأسماء الصفات. وصنّف أسماء الصفات إلى ثلاثة أصناف، وهي: أسماء جمال (مثل: الرحيم والجميل)، وأسماء جلال (مثل: العزيز والجبار)، وأسماء كمال (مثل:الملك والرَّب)، فهل "الحُسن" كلّه مُكوَّن من إكرام وجلال والتكامل بينهما؟ الله أعلم.

٣٣٦ الفخر الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص٣٠.

٣٤. الباب الخامس؛ الفصل الثاني:

الذَّوق

كما سنرى (في فصل "طبيعة الجمال")، فإن الجمال هو حقيقة موضوعية موجودة في الأشياء ذاتها. وبالفعل، فإن الجميع يعرف ويميّز الجمال بشكل من الأشكال. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف،١٢ :٣١)

فنسوة المدينة كلهن أجمعن على جمال يوسف عليه السلام وانبَهَرن به.

لكن يُلاحظ أنه يوجد أحياناً اختلاف بين الناس – أو تغيّر في الناس – على أكثر ما يُعجبهم فيما بين الأشياء الجميلة. وعلى سبيل المثال إبراهيم عليه السلام انتقل من الإعجاب بالكوكب وحبه إلى عدم حبه، ثم إلى الإعجاب بالقمر، ثم إلى الإعجاب بالشمس. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ (الأنعام،٦ :٧٦-٧٨)

فإعجاب إبراهيم عليه السلام تَغيَّر حسب إدراكه للجمال. وهذا يعني أن إدراك الجمال مربوط بحالة المُدرِك.

بالإضافة إلى ذلك، يوجد اختلافات وفُروقات بين الناس، مع أنهم من أصل واحد. يقول الله ﷻ:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات،٤٩ :١٣)

وإذا كان إدراك الجمال يختلف في شخص واحد حسب حالته، فهذا يعني أيضاً أنه سيختلف من شخص إلى شخص حسب الاختلافات الطبيعية بينهم. والله ﷻ يقول:

وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ (المؤمنون،٢٣ :٥٢-٥٣)

مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ (الروم،٣٠ :٣٢)

"كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ": هذا اللفظ الكريم يعني أن كل حزب فَرِح بما كان عنده، ولكن يمكن الفَهم منه أيضاً أن كل حزب يَفرح حسب طبيعته، أي بمعنى آخر كل حزب يَفرح بشيء معين أكثر من شيء آخر حسب طبيعته الخاصة. ويقول الله ﷻ:

قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلاً ﴿٨٤﴾ (الإسراء،١٧ :٨٤)

وهذه الآية الكريمة تشير أيضاً إلى أنّ كل إنسان يختار ما يرتضيه ويحبه حسب طبيعة المحب.

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[٣٣٧].

فهذا الحديث يشير أيضاً إلى أن الذوق أمر خاص فطري في روح الإنسان، والله أعلم[٣٣٨].

---

٣٣٧ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم ٢٦٣٨.

٣٣٨ يقول الله ﷻ:

وعلى أية حال، خلاصة القول هنا هو أنه بالرغم من موضوعية الجمال، فإنه يوجد في طبيعة الناس وفي الاختلافات الطبيعية بينهم شيء يؤدي إلى ذوق خاص في كل شخص. وهذا الذوق الخاص هو الذي يجعل الإنسان يُفضِّل نوعاً واحداً من الجمال على نوع آخر. فالجمال موضوعي، ولكن الذوق غير موضوعي بل نفسي ومتفرّد، والله أعلم.

وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ (الكهف،١٨ :٤٨).

يقول الرازي في تفسيره:

"ثم قال ﷻ: لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه، لأنهم خلقوا صغاراً ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد أنه قال للمشركين المنكرين للبعث المفتخرين في الدنيا على فقراء المؤمنين بالأموال والأنصار: لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ عراة حفاة بغير أموال ولا أعوان، ونظيره قوله تعالى: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ (الأنعام،٦ :٩٤) وقال تعالى: أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ... إلى قوله: ... وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ (مريم،١٩ :٧٧-٨٠)". (الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ٧/ ٤٧٠).

ولكننا نقول: بأن قول الرازي في تفسير قوله ﷻ "أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ" تعود إلى "حفاة عراة" وليس إلى "صَفًّا" لأنه يرى تناقضاً بين مسألة أن الله ﷻ خلقنا صفاً وما جاء في الآية الكريمة من أن الله ﷻ خلقنا "فرادى". أما بالنسبة لنا فإننا لا نرى تناقضاً بينهما، فربما خلقنا الله ﷻ بصفوف طويلة المدى بحيث أن كل واحد منا يأتي بمفرده، وعلى أية حال فحقائق الآخرة وأمورها ليست كحقائق الدنيا وأمورها، كما جاء في الحديث الصحيح: "ولا خطر على قلب بشر". (رواه البخاري، رقم ٣٢٤٤، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة).

والفائدة هنا من قولنا في هذا الموضوع كله هو أن الله ﷻ أشار إلى نفس ما جاء به الحديث الشريف "أن الأرواح جنود مجندة"، أي أن الأرواح خلقت صفاً ولكل روح منها طبيعة خاصة، والله أعلم.

٣٥. الباب الخامس؛ الفصل الثالث:

طبيعة الجمال

بَيَّن الله ﷻ في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الجمال قواعد عامة. وفيما يلي نُبيّن بعضها.

المطلب الأول: موضوعية الجمال

الجمال موجود في المحبوب بشكل موضوعي حقيقي، وليس كما يظن البعض أنه موجود في عين الذي يُحب. لا، إنه موجود في الأشياء ذاتها، وحتى في كل الأشياء. فالله ﷻ يقول:

ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة،٣٢ :٧)

وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل،٢٧ :٨٨)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ (الانفطار،٨٢ :٦-٨)

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ (النحل،١٦ :٦-٧)

المطلب الثاني: قدرة الجمال

للجمال قدرة عظيمة، مثل قدرة الحب. فالجمال الفتّان يستطيع أن

يُلهي من يشهده عن كل ما هو فيه، وحتى عن نفسه، وحتى عن حواسه وعن الألم وحتى عن الموت. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف،١٢ :٣١)

فنسوة المدينة انجذبن وانسَحرن بمجرد رؤية يوسف ﷺ، وقطّعن أيديهن من غير شُعورهن بحالهن. وهكذا الجمال يوقف من يُدركه، ويقطع عمله (والأيدي رمز للعمل) ويُلهيه عن أي شيء غيره. ولا نعلم قوة غير قوة الله ﷻ تستطيع هذا بهذه الطريقة.

المطلب الثالث: طريقة تأثير الجمال

يؤثّر الجمال على من يُدركه بطريقتين مختلفتَين:

الطريقة الأولى هي: سَحب من يُدركه خارج ذاته، وبالتالي جَذبه إلى حُب الشيء الجميل، وإلى حب امتلاكه – وذلك ربما حتى بقوة وبعنف. فجمال يوسف ﷺ أثّر على زوجة العزيز بحيث جعلها تُريد أن تزني معه، وحتى تُريد أن تُجبره على الزنى معها. يقول الله ﷻ:

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

(يوسف،١٢ :٢٣-٢٥)

فلهذا حذّر الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ من "مَدّ العَين" إلى الجمال.

يقول الله ﷻ:

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر،١٥ :٨٨)

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ (طه،٢٠ :١٣١)

الطريقة الثانية هي: رجوع من يُدركه إلى ذاته، وبالتالي إلى فضائل النفس، وإلى الإيمان، وإلى السكون. فيعقوب ؈، استعان بجمال الصَّبر عند معاناته، وبالتالي سَكَن وتوكّل على الله ﷻ. وهذا واضح بكلمات يعقوب ؈ في الآيات التالية:

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسف،١٢ :٨٣)

قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف،، ١٢: ٨٦ – ٨٧)

وكذلك صحابة رسول الله ﷺ، إذ يبايعون الرسول ﷺ تحت شجرة الحديبية: كانوا أمام المَشهد العظيم وهو رسول الله ﷺ – الذي كان جمال خَلقه وخُلقه أكثر حتى من جمال يوسف ؈ – وكانت "يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" (الفتح،٤٨ :١٠)؛ فرجعوا إلى ذواتهم، والله ﷻ أنعم عليهم بما هو أعمق من السكون، وهي السكينة. يقول الله ﷻ:

لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ

فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ (الفتح،٤٨ :١٨)

والله ﷻ وعد المؤمنين برؤيا لملائكة "مُسَوِّمِين" لكي "تطمئن قلوب" المؤمنين، حتى أثناء أي معركة؛ يقول الله ﷻ:

إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٢٤ – ١٢٦)

تطرقنا بشكل موجز إلى العنصر الروحي للفعل الجنسي في فصل "الحب الزوجي والحب الجنسي". يبقى أن نزيد هنا أن جمال الجنس الآخر – والهيئة البشرية هي "أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ" (التين، ٩٥: ٤) – يعيد الناظر (أو بعض الناظرين على الأقل) إلى ذاتهم الداخلية الحقيقية، بعيداً عن الدنيا وعن الشهوات، ويحوّل العالَم الخارجي نفسه إلى تذكيرٍ و"بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ". بعبارة أخرى، فإن الجمال يمكنه أن يعيد الإنسان إلى ذاته الداخلية الحقيقية، ويمكنه أيضاً أن يحوّل العالَم نفسه إلى انعكاسٍ خارجيٍ ملموسٍ لما هو داخلي، وحتى إلى أكثر شيء داخلي وهو معرفة الله ﷻ. فبالنسبة لسيدنا يوسف ﵇، فقد استبطن جمال زوجة العزيز بشكل كامل فأصبح جمالها "بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ"، وهذا على عكس زوجة العزيز التي رأت جمال سيدنا يوسف ﵇ كشيء خارج عن نفسها لدرجة أنها طاردته بقوة شديدة؛ يقول الله ﷻ :

وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ (يوسف،١٢ :٢٤–٢٥)

في هذه الحالة – حين يتحول ما هو خارجي ويتم استبطانه – يبطل العالَم دنيوياً. وهذا يذكّرنا في حالة سيدنا محمد ﷺ والتي يقول عنها الله ﷻ:

وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ (البقرة، ٢: ١١٥)

هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ (الحديد، ٥٧: ٣)

والخلاصة، فللجمال قدرة عظيمة ونوعان من التأثير: جذب من يُدركه إلى خارج ذاته، ودفع من يجذبه إلى ذاته.

وربما نرى هذين النوعين من التأثير في جمال النساء والجذب لهن أو الرحمة بهن كمؤمنات وهو مشار إليه في الآية الكريمة التالية:

لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر،١٥ :٨٨)

والله أعلم.

المطلب الرابع: فائدة الجمال (والحب)

قد ذكرنا سابقاً قول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ (يوسف،١٢ :٣١)

ورأينا قدرة الجمال على التسبب بحال لا يشعر مشاهد الجمال فيه بالألم. وسنذكر في الفصل اللاحق ان شاء الله علاقة الحب بالموت.

ويقول الله ﷻ:

وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ (النحل،١٦ :٦-٧)

وهذه الحالة الوحيدة في القرآن الكريم التي يذكر الله ﷻ فيها لفظ "بِشِقِ ٱلۡأَنفُسِ"، فهل تكون هنا إشارة إلى كيف يسهل الجمال والحب مصيبة الموت؟ ونقصد في ذلك أنه ذُكر هنا الأنعام (وهو المعنى اللفظي) وكيف تسهل السفر، ولكن ذُكِرَ أيضاً الجمال وبعده ذُكِرَ بلوغ بلد مقصود حيث لا يصله أحدٌ إلا بشق الأنفس، فهل نفهم أن الجمال والحب يجعلان الإنسان يستطيع ما لا يُستطاع عادة إلا بشق الأنفس (أي بالقهر والموت) ؟ وبمعنى آخر هل يوجد إشارة هنا إلى قدرة الجمال والحب على تلطيف مصيبة الموت – النفسي أو الجسدي (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله) – بحيث أنه من خلال الحب والجمال يصل المرء إلى ما يؤدي إليه الموت من دون معاناة وقهر ؟ فعلى سبيل المثال، نعلم تماماً أن الرسول ﷺ قد توفي في حالة شوق إلى الله ﷻ[339]، وكذلك سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما أخبرها رسول الله ﷺ بأنها ستموت بعده قريباً فرحت لأنها كانت تشتاق إلى لقاء ربها[340]، فهل

---

[339] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فأنتزع يده من يدي ثم قال:

«**أللهم إغفرلي واجعلني مع الرفيق الأعلى**» قالت: فَذَهَبت أنظر فإذا هو قد قضى. (رواه مسلم، ٢١٩١، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض).

[340] عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال لها النبي ﷺ:

«**لا أراهُ إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي**» فبكت فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين**» فضحكت. (رواه البخاري، ٣٦٢٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم، ٢٤٥٠، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام).

وعلى سبيل مثال آخر: عن أنس بن مالك ؓ قال لما طُعن حرام بن مِلحان وكان خاله يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة. (رواه البخاري، ٤٠٧٢، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ... وبئر معونة).

هنا دليل على قدرة الجمال والحب لتسهيل مصيبة الموت؟ فإن كان نعم، فهذه هي الفائدة الكبيرة من الجمال (والحب)؟ الجمال يجعلنا مثل نسوة المدينة اللاتي قطعن أيديهن ولم يشعرن بالألم إذ رأينَ سيدنا يوسف ﵇، حتى عند مصيبة الموت والقهر، والله أعلم.

٣٦. الباب الخامس؛ الفصل الرابع:

الحب والموت

المطلب الأول: موت "النفس الأمّارة بالسوء"

ذكرنا سابقاً (في فصل "مراحل الحب" وفي فصل "طبيعة الحب") أن حب الله ﷻ يؤدي بالتدريج – ولكن بالضرورة – إلى موت الذي يحب في محبوبه. وليس المقصود من هذا هو الموت الجسدي طبعاً وإنما المقصود هو الموت النفسي. وقد رأينا في قصة نسوة المدينة اللواتي قطَّعن أيديهن عند مشاهدة يوسف عليه السلام بداية عملية موت النفس في الحب. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف،١٢ :٣١)

فالحب، أو الجمال الفتَّان، يُخرج الذي يُدركه من نفسه. ففي بداية الحب لا تؤدي هذه العملية إلى موت النفس، ولكن بعد فترة، عندما يشتدُّ الحب، لا بد للذي يُحب أن يموت لأنا رأينا في (فصل "الوقوع في الحب") أن جميع مكوّنات ومَلَكات الذي يُحب تميل إلى المحبوب بحيث يتغيَّر الإنسان كلياً. فإذا تغيَّر الإنسان كلياً، وتغيَّرت نفسه "السابقة" كلياً، ماتت هذه النفس. والمقصود بهذا، بطبيعة الحال، ليس انتهاء النفس أو أن الإنسان يصبح بلا نفس، بل إن نفسه تفقد أنانيتها كلياً، بحيث يمكن لنا أن نعتبر أن نفسه "السابقة" قد ماتت.

أي نفس هي تموت؟ قد رأينا (في فصل "الوقوع في الحب") أنه يوجد "نفس" بشكل عام، بالإضافة إلى ثلاثة "أجزاء" أو "أنواع" من النفس،

وهي: "النفس الأمّارة بالسوء"، و"النفس اللوّامة"، و"النفس المطمئنة". فسنذكر هنا قول الله ﷻ بالنسبة إلى "النفس الأمّارة بالسوء":

وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ (يوسف،١٢ :٥٣)

النفس الأمّارة بالسوء هي التي تَحُثُّ الإنسان على السوء. فهذه النفس تُسوِّل له وتُطوِّعَه لعمل الشرّ. يقول الله ﷻ:

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (يوسف،١٢ :١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسف،١٢ :٨٣)

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ (طه،٢٠ :٩٦)

فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ (المائدة،٥ :٣٠)

وبالتالي فهذه النفس مِثْل الشيطان "ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾" (الناس،١١٤ :٥)، إن لم تكن هي "القَرين".

و"النفس الأمّارة بالسوء" هي النفس التي تموت، و"النفس المطمئنة" هي النفس التي تبقى بعد هذا الموت، لأن الله ﷻ يقول:

يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ (الفجر،٨٩ :٢٧-٣٠)

"النفس المطمئنة"، بعدما ترجع إلى الله ﷻ وتدخل الجنّة، لا تسمع فيها أي شيء من "النفس الأمّارة بالسوء": فلا أمر بسوء، ولا تَسويل، ولا محاولة لتطويعها، وحتى لا وسواس. بل تسمع في الجنة فقط سلاماً وتحية

السّلام. يقول الله ﷻ:

لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ (الواقعة،٥٦ :٢٥-٢٦)

لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ (مريم،١٩ :٦٢-٦٣)

وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ (يونس،١٠ :٢٥)

سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ (يس،٣٦ :٥٨)

أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ (الفرقان،٢٥ :٧٥)

دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ (يونس،١٠ :١٠)

وبالتالي فعند رجوع "النفس المطمئنة" إلى ربها، فإن "النفس الأمّارة بالسوء" تموت تلقائياً[٣٤١] وربما نرى هذا في إسلام – وبالتالي انتهاء – القرين. فقد قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ: «وَإِيَّايَ إلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلا يَأْمُرُنِي إلا بِخَيْرٍ»[٣٤٢].

فلهذا بعد إسلام القرين أو موت "النفس الأمّارة بالسوء" يكون

---

٣٤١ وربما تكون هنالك إشارة إلى هذا في قول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ (الأعراف،٧ :٤٠)

فربما في "الجمل" إشارة إلى "النفس الأمارة بالسوء"، وفي الدخول في "سم الخياط" إشارة إلى الدخول إلى الجنة، وبالتالي إشارة إلى ضرورة موت الجمل وفنائه قبل الدخول في "سم الخياط"، أي في الجنة، والله أعلم.

٣٤٢ رواه مسلم، رقم ٢٨١٤، كتاب صفة القيامة والجنة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس.

المسلم كالرجل السليم الذي يستمع فقط لصوت واحد خيّر، ويكون ميتاً بالنسبة لهمزات الشر. يقول الله ﷻ:

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ (الزمر،٣٩ :٢٩-٣٠)

وعلى أية حال، أشار الله ﷻ أن في قتل النفس السيئة أجراً عظيماً. يقول الله ﷻ:

وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ (النساء،٤ :٦٦-٧٠)

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ (البقرة،٢ :٥٤)

وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ (آل عمران،٣ :١٤٣)

فلهذا يمكن لنا أيضاً أن نفهم أن الموت أثناء الجهاد في سبيل الله ﷻ هو نوعان: الموت البدني، والموت النفسي. وربما نرى إشارة إلى الموت النفسي، بالإضافة إلى الموت البدني، في الآيات التالية:

وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ (آل عمران،٣ :١٥٧-١٥٨)

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ (النساء،٤ :١٠٠)

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ (الحج،٢٢ :٥٨-٥٩)

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ (الأحزاب،٣٣ :٢٣)

ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (التوبة، ٩: ٤١)

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (التوبة،٩ :١١١)

فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ (النساء،٤ :٧٤)

فالموت النفسي في سبيل الله هو غاية الجهاد ضد النفس، كما أن الموت البدني في سبيل الله يحصل في الجهاد ضد العدو. فلذلك قال رسول الله ﷺ: «**تحفة المؤمن الموت**»[٣٤٣].

وقال رسول الله ﷺ:

---

٣٤٣ رواه الحاكم، المستدرك، ٤/ ٣٥٥).

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[٣٤٤].

✵

المطلب الثاني: موت "النفس الأمّارة بالسوء" من خلال حب الله ﷻ

وقد رأينا آنفاً أن "النفس الأمّارة بالسوء" تموت في سبيل الله ﷻ، كما رأينا علاقة الحب في هذا الموت. وقد رأينا سابقاً (في فصل "أنواع الحب") أن الولاية نوع من أنواع الحب. وبيَّن الله ﷻ أنّ الوَلي هو الذي يتمنى الموت. يقول الله ﷻ:

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾

(الجمعة،٦٢ :٦-٧)

وقال الله ﷻ أيضاً:

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾

(البقرة،٢ :٩٤-٩٥)

فأولياء الله ﷻ يُحبونه، ومن حبهم له ﷻ يَتمنون الموت، وتموت نفوسهم "الأمّارة بالسوء" فيكونون بعد ذلك آمنين. يقول الله ﷻ:

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ (يونس،١٠ :٦٢)

وبعد ذلك يكونون بإذن الله مِثلَ رسول الله ﷺ في حُبهم الُمخلص لله ﷻ عَبر الحياة والموت:

قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ

---

٣٤٤ رواه البخاري، برقم ٦٤١٦، كتاب الرقاق، باب قول النبي كن في الدنيا كأنك غريب.

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (الأنعام،٦ :١٦١-١٦٣)

وهذه الحالة – أو حالة قريبة منها – هي حالة جميع الذين يحبون الله ﷻ حباً صادقاً ويبتغون مرضاة الله ﷻ لدرجة أنهم مستعدون استعداداً كاملاً للشهادة في سبيله من شدة حبهم لله ﷻ. وكانت هذه الحالة هي حالة سيدنا علي كرم الله وجهه إذ أخذ مكان رسول الله ﷺ في سريره عند محاولة الكفار اغتيال رسول الله ﷺ، كما هو مشار إليه في الآية الكريمة التالية حسب بعض التفاسير:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة،٢: ٢٠٧)

قال الفخر الرازي: "في سبب النزول روايات ... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن ابي طالب، بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار"[٣٤٥].

المطلب الثالث: عذاب النفس التي تُحب ولا تموت بالله

كل ما ذكرناه آنفاً صحيح بالنسبة للذين يُحبون الله ﷻ. أما بالنسبة للذين يُحبون غير الله ﷻ، فما مصيرهم إذا اشتد الحب؟ هل يموتون؟، وكيف تموت نفوسهم "الأمّارة بالسوء" إذا كان حبهم لزنى أو شرك؟ يقول الله ﷻ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

---

٣٤٥ الفخر الرازي، التفسير الكبير ، ٢/ ٣٥٠.

ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة،٢ :١٦٥)

بيَّن الله ﷻ في هذه الآية الكريمة والعظيمة أنّ الذين يصلون في حب غير الله إلى درجة الحب التي لا تنبغي إلا لله ﷻ فقط ("يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ") لا تموت نفوسهم كالذين يحبون الله ﷻ، ولكن يُصيبهم عذاب شديد ("أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ"). أما بالنسبة للذين يُحبون الله ﷻ، فحُبهم أشد من ذلك، وبما أن الله ﷻ لهُ "ٱلۡقُوَّةَ" "جَمِيعًا"، فإنهم يموتون، ثم يُحيَونَ بالله كما سنرى فيما يلي إن شاء الله.

المطلب الرابع: الحياة بالله بعد موت النفس

من المعروف أن كل إنسان سيذوق الموت. يقول الله ﷻ:

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ (الزمر،٣٩ :٣٠)

كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ (آل عمران،٣ :١٨٥)

كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةًۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ (الأنبياء،٢١ :٣٥)

كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ (العنكبوت،٢٩ :٥٧)

أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ (النساء،٤ :٧٨)

ولكن "ذوق الموت" يختلف من شخص لآخر. بالنسبة للذين ماتت أنفسهم "الأمّارة بالسوء" الموت النفسي، من قَبل فهؤلاء يموتون وهم "طيّبون" ثم يدخلون الجنة. يقول الله ﷻ:

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ (النحل،١٦ :٣٢)

ربما تكون كلمة "طَيِّبِين" إشارة لطيفة بالإضافة إلى معناها "طاهرين من الكُفر"[٣٤٦]. فكلمة "طيّب" تعني أيضاً "حَي"، وفي هذه الحالة يكون بالضرورة الموت المذكور في الآية أعلاه هو موت "النفس الأمّارة بالسوء". لكن كيف يَدخل الجنةَ الإنسانُ الذي ماتت نفسهُ "الأمّارة بالسوء" ولم يَمُت جسدياً؟

نعلم أن الرسول ﷺ دخَلَ الجنة وهو حي جسدياً في ليلة المعراج. ونعلم أيضاً أن بلالاً رضي الله عنه كان في الجنة – أو على الأقل كانت روحه في الجنة – وجسده حَي يرزق في الدنيا. قال رسول الله ﷺ:

«يَا بِلالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[٣٤٧].

ونعلم أيضاً أن سائر العباد الذين يَتقرَّبون إلى الله بالنوافل يُمكن لهم أن يُحقِقوا ما هو أعظم من الجنة. فالله جل جلاله يقول في الحديث القدسي:

«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش

---

٣٤٦ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٣٤٩.

٣٤٧ رواه البخاري، رقم ١١٤٩، كتاب الجمعة، باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء.

بها[348] ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته))[349].

ونعلم أيضاً أن عمر بن الخطاب ﵁ كان "ميتاً" فأحياه الله ﷻ وجعل له نوراً يمشي بالناس. يقول الله ﷻ:

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ (الأنعام،٦: ١٢٢)

ويقول ابن كثير في تفسيره، عن هذه الآية: "وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان، فقيل: عمر بن الخطاب هو الذي كان مَيتاً فأحياهُ الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس"[350].

وواضح من هذا كله أنه يمكن للولي – بإذن الله ﷻ – أن يكون حَيًّاً بالله بعد موت نفسه "الأمّارة بالسوء"، وبالتالي أن يدخل الجنة وجسده ما زال حَيّاً يرزق في هذه الدنيا. ففي الحُب موت في الله، وفي الحُب حياة في الله بعد الموت في الله. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ (البقرة،٢: ١٥٤)

---

٣٤٨ وهذه الحالة في طبيعة الحال، كانت حالة رسول الله ﷺ أكثر من أي مؤمن آخر، وربما نرى إشارة إلى ذلك في الآية الكريمة (التي نزلت تتحدث عن معركة بدر):

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ (الأنفال،٨: ١٧)

٣٤٩ رواه البخاري، رقم ٦٥٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع.

٣٥٠ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ٧١٨، ولكن يقول ابن كثير أيضاً أن هذا الوصف القرآني ينطبق على كل مؤمن حقيقي كان كافراً في السابق.

وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ (آل عمران،٣: ١٦٩)

وكذلك يقول الله ﷻ إن هناك "خَلْقاً جديداً" بعد الفقر (وبالتالي موت "النفس الأمّارة بالسوء") إلى الله ﷻ (وهو "ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ" وبالتالي فهو المحبوب):

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥ – ١٧)[٣٥١]

فحتى لو لم يُدركه الإنسان، فإن نهاية الحب هو الموت في الله ثم الحياة في الله والجنة[٣٥٢]، حتى أثناء الحياة الدنيا. وهذا "الفناء" و"البقاء" في الله هو أيضاً غاية الحب، وربما غاية الحياة كُلها. فلهذا أمر الله ﷻ الرسول ﷺ أن تكون حياته ومماته وكُله لله. يقول الله ﷻ:

قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ (الأنعام،٦ :١٦٢-١٦٤)

فلهذا أيضاً، يدعونا الله ﷻ لِما يُحيينا، ويُذَكِّرنا بأنه هو الذي يَحُول بيننا وبين قلوبنا:

---

٣٥١ ويشير الله ﷻ إلى هذا "الخلق الجديد" في قوله ﷻ:

أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ (ق، ٥٠: ١٥)

٣٥٢ ويمكن لنا أن نفهم ذلك أيضاً من الآية الكريمة التالية:

مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ (النحل،١٦ :٩٦)

انظر أيضاً إلى: هود،١١ :٨٦؛ الكهف،١٨ :٤٨؛ طه،٢٠ :٧٣؛ طه،٢٠ :١٣١؛ القصص،٢٨ :٦٠؛ القصص،٢٨ :٨٨؛ الأعلى،٨٧ :١٧.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤﴾ (الأنفال،٨ :٢٤)

فالدعوة إلى الحياة الحقيقية هي دعوة إلى الله ﷻ عن طريق موت "النفس الأمّارَة بالسوء" من خلال حب الله ﷻ.

٣٧. الباب الخامس؛ الفصل الخامس:
اللّقاء والرضوان

يوجد في الزواج الطبيعي بين الرجل والمرأة نوعان من اللِّقاء هما: النظر والمعيَّة[٣٥٣].

يقول الله ﷻ:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (النور،٢٤ :٣٠-٣١)

وقال رسول الله ﷺ:

«**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[٣٥٤].

ومن هنا يتبين أن في الزواج الطبيعي نوعين عظيمين من اللقاء – وهما النظر إلى المحبوب، والمعيّة (وجوهر المعيّة الزوجية هو الفعل الزوجي) – وهما أمران مهمان جداً وسرّان ويشكّلان أساس الزواج.

---

٣٥٣ وفي طبيعة الحال الجِماع هو أمر أساسي في المعية الزوجية.

٣٥٤ رواه الترمذي وحسَّنه برقم (١٠٨٧) في كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

✵

وأنه يوجد للعبد في الجنة نوعان عظيمان من اللِّقاء مع الله ﷻ:

(أ) النوع الأول هو: النظر إلى الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٢-٢٣)

(ب) أما بالنسبة للنوع الثاني، فقد ذكرناه سابقاً (في فصل "حب الله للناس" وفي فصل "مراحل الحب") أنه يوجد بين الله والعبد "معية عامة" و"معية خاصة" (و"معية خاصة جداً"). وبالنسبة "للمعية الخاصة"، ذكر الله ﷻ أنه مع المؤمنين. يقول الله ﷻ:

إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ (الأنفال، ٨: ١٩)

ولكن لم يذكر الله ﷻ ولا مرة واحدة في كل القرآن الكريم أن المؤمنين - أو حتى رسول الله ﷺ - مع الله ﷻ. بل أعظم نعمة ذكرها الله ﷻ في الجنة هي نعمة "الرضوان". يقول الله ﷻ:

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ (التوبة، ٩: ٧٢)[٣٥٥]

---

٣٥٥ انظر أيضاً إلى: آل عمران، ٣: ١٥؛ آل عمران، ٣: ١٦٢؛ آل عمران، ٣: ١٧٤؛ المائدة، ٥: ٢؛ المائدة، ٥: ١٦؛ التوبة، ٩: ٢١؛ التوبة، ٩: ١٠٩؛ محمد، ٤٧: ٢٨؛ الفتح، ٤٨: ٢٩؛ الحديد، ٥٧: ٢٠؛ الحديد، ٥٧: ٢٧؛ الحشر، ٥٩: ٨.

فقوله ﷻ "وَرِضۡوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ" وصفه الله ﷻ بأنه "أَكۡبَرُۚ"، ويُفهم من ذلك أن رضوان الله أكبر من أي شيء آخر، وبالتالي فإن رضوان الله نوع من المعية مع الله في الجنة، لأنه لا شيء أكبر من المعية مع الله. وأكدّ هذا رسول الله ﷺ في الحديث التالي:

«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[٣٥٦].

فـ"الرضوان" من "الرضا" – وبالتالي من الحب – ولكنه أعظم من الرضا. والله ﷻ يُحِلُّ على عبده "الرضوان"، فهو نهاية الآخرة التي لا نهاية لها، وهو نهاية الحب الذي لا ينتهي، ولا يمكن لنا أن نقول أكثر من هذا، والله أعلم.

❋

في الفصل السابق ("الحب والموت") ذكرنا أن الولي قد يَدخل الجنة في حياته، مثل رسول الله ﷺ في المعراج. فهل ينظر الولي إلى الله ﷻ في الدنيا؟ إذ الأبصار لا تُدرك الله ﷻ:

لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ (الأنعام،٦: ١٠٣)

وحتى الرُسل لا يرون الله ﷻ بأعينهم. يقول الله ﷻ:

---

٣٥٦ رواه البخاري، رقم ٦٥٤٩، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار. ومسلم، رقم ٢٨٢٩، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ (الأعراف،٧ :١٤٣)

لكن الفؤاد يرى آيات الله الكبرى. يقول الله ﷻ:

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ (النجم،٥٣ :١١)

مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ (النجم،٥٣ :١٧-١٨)

وبما أن هذا حصل في حياة الرسول ﷺ الدنيوية، يمكن لنا أن نستنبط أن فؤاد الولي قد يرى في حياته الدنيوية آيات الله ﷻ.

أما بالنسبة للرضوان، فهل يُحِل الله ﷻ رضوانه على الإنسان وهو حي؟ الجواب هو أننا لا نعلم ذلك، ولكن نعلم أن الله ﷻ قد يُؤتي عبده في حياته الدنيوية "رحمة من عنده" وقد يُعلِّمه "من لدنه علماً". يقول الله ﷻ:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ (الكهف،١٨ :٦٥)

وإضافة إلى ذلك، فإن الله ﷻ يُنزِّل الروح على من يشاء من عباده. يقول الله ﷻ:

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ (النحل،١٦ :٢)

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ (غافر،٤٠ :١٥)

فلنستمع إلى قول يعقوب ﵇، أن لا نيأس من روح الله ﷻ أبداً. يقول الله ﷻ:

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف،١٢ :٨٧)

ويقول الله ﷻ:

وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ (الرحمن،٥٥ :٤٦)

وقال ابن عربي في تفسيره (وقيل إنه تفسير عبد الرزاق القاشاني في الحقيقة) لهذه الآية الكريمة:

"﴿جَنَّتَان﴾ إحداهما جنة النفس والثانية جنة القلب"[٣٥٧].

فربما يكون في هذه الآية إشارة أيضاً إلى نوعين من اللِّقاء مع الرب وهما النظر إلى الله ﷻ في الآخرة، و"المعية الخاصة" مع الله ﷻ في الآخرة، والله أعلم.

٭

٣٥٧ محيي الدين بن عربي، تفسير ابن عربي، ٢/ ٢٨٣.

٣٨. الباب الخامس؛ الفصل السادس:

المقصود الحقيقي وراء كل حب

قد رأينا سابقاً (في فصل "الكون والحب") أن كل شيء يُحب الله ﷻ حباً طبيعياً فطرياً، باستثناء الكافرين والمنافقين والظالمين. ويجب أن نضيف إلى ذلك أن الإنسان في كل ما يسعى إليه فإنه يقصد الله ﷻ في الحقيقة، حتى ولولم يُدرك هذا، وهذا صحيح حتى عند الكافرين والمنافقين والظالمين. ونرى هذا حتى في جذور الكُفر والنفاق والظُلم، وذلك في وعد الشيطان الباطل لآدم عليه السلام، ليُغريه. يقول الله ﷻ:

﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾

(طه،٢٠: ١٢٠)

"البقاء" هو لله ﷻ، و"المُلك الذي لا يَبلى" هو له أيضاً. والشيطان وَعدَ آدم عليه السلام أن يَدُله عليهما، فآدم عليه السلام عندما استجاب للشيطان، كان يقصد أن يدُله الشيطان كيف له أن يتَحلَّى بصفات ومُلك الله ﷻ. ففي هذا كان يقصد آدم عليه السلام ما ينبغي لله ﷻ فقط. فخطؤهُ أنه كان يريد أن يشارك الله ﷻ فيما عنده، أو أن يكون عنده مثل ما عند الله ﷻ. لكن في كلتا الحالتين، كان آدم عليه السلام يُريد الله ﷻ في نهاية المطاف، لأنه كان يُريد صفاته، والذي يُريد الصفات يُريد ذات الصفات من غير أن يُدرك ذلك. وبالفعل لم يكن آدم عليه السلام يُريد شيئاً سوى صفات الله ﷻ.

ويقول الله ﷻ:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ (آل عمران،٣: ١٤)

من خلال حب شهوة النساء والبنين والقناطير المقنطرة والذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث، يُريد الإنسان الجمال والعز والغِنى والقوة والرزق. وهذه الأشياء كلها تأتي أصلاً من الله ﷻ، وتعكس صفاته وأسماءه الحسنى. فالذي يُريدها لا يُريد شيئاً خارج صفات الله ﷻ وأفعاله، ولو أخطأ في تفضيل حُبها لذاتها على حب الله ﷻ وحب الإيمان وما أمر به الله ﷻ.

ويقول الله ﷻ:

وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ (النمل، ٢٧: ٢٤)

فملكة سبأ كانت بسجودها للشمس من دون الله ﷻ تبحث في الحقيقة عن الله ﷻ، ولكنها كانت تظن أن الشمس هي الله. وهذا كله واضح في قصة إبراهيم عليه السلام إذ كان يُرشد عقول قومه إلى الله ﷻ، أولاً في الكوكب، ثم في القمر، ثم في الشمس، ثم عرَّفهم أن الله ﷻ هو الذي خلق السماوات والأرض وانه ليس كوكباً ولا قمراً ولا شمساً، ليكونوا من المهتدين. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ

تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ (الأنعام، ٦: ٧٦-٨٢)

فكل ما يريده الإنسان في الحقيقة هو الله ﷻ وصفاته وأسماءه الحسنى وأفعاله، لكن لا يُدرك ذلك لأنه يرى، من جهلهِ، ظاهر الأمور فقط، وهذا وضعٌ لا يكفي عند الله ﷻ . يقول الله ﷻ:

يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ (الروم، ٣٠: ٧)

فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ (النجم، ٥٣: ٢٩-٣٠)

وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ (يونس، ١٠: ٣٦)

والمدهش في هذا كله هو كيف أن الإنسان لا يعلم أنه يُريد الله ﷻ وصفاته في كل واحدة من رغباته: فما الذي يستطيع أن يحجِب الله ﷻ؟ يقول الله ﷻ:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

الجواب هو أن لا شيء يستطيع أن يُحجِب الله ﷻ، ولكن ذنوب الإنسان تَحجِب الإنسان عن الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ (المطففين، ٨٣: ١٤)

ويقول الله ﷻ:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

ويقول ابن عجيبة في تفسير هذه الآية:

" قلت: (قضى)، هنا، بمعنى حَكَمَ وأوجب وأمر، لا بمعنى القضاء، إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله "[٣٥٨].

فأثار ابن عجيبة هنا نقطة مهمة وهي معنى كلمة " َقَضَى ": فحسب تفسيره يكون معنى كلمة " َقَضَى " هنا يُخالف معناها الطبيعي، لأنه اعتبر جملة "وَقَضَىٰ رَبُّكَ" "أمراً تكليفياً"، لأنه يرى أن اعتبار هذه الجملة "أمراً تكوينياً" مستحيل، فيقول: "إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله".

ويقول الله ﷻ:

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ (المنافقون،٦٣ :١)

فقول المنافقين في هذه الآية الكريمة (إن محمداً ﷺ هو رسول الله) صحيحٌ بحد ذاته، ولكن الله ﷻ حَكم عليه بأنه كذبٌ منهم، وذلك لأنهم قالوه بنية كاذبة. قال الله ﷻ:

... يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ... (الفتح،٤٨ :١١)

وقال الرسول ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ...»[٣٥٩].

فلهذا هل يجوز لنا هنا أن نعتبر الجملة الكريمة "وَقَضَىٰ رَبُّكَ" "أمراً تكوينياً"، وليس "أمراً تكليفياً"، عكس ما قاله ابن عجيبة؟ أي بمعنى آخر، هل يجوز لنا أن نعتبر أنه يوجد في الآية الكريمة (الإسراء،١٧ :٢٣) إشارة إلى أن المقصود الحقيقي وراء كل حب هو الله ﷻ وحده؟ ففي هذه الحالة يكون

---

٣٥٨ أبو العباس احمد بن محمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ص ١٩٢، مجلد رقم ٣.

٣٥٩ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم ١؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٥٠٣٠.

المشركون لا يقصدون في شركهم إلا الشرك وليس عبادة الله ﷻ – لذلك تبقى عبادتهم شركاً – ولكن يكون الله ﷻ وصفاته وراء مقصودهم من غير أن يدركوا ذلك، والله أعلم. فعلياً هذا هو المعنى اللغوي لـ"قَضَى". ويقول الله ﷻ:

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ (يونس،١٠ :٦٦)

وجاء في تفسير الجلالين:

"﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ يعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره أصناماً ﴿ شُرَكَآءَ ۚ ﴾ له على الحقيقة، تعالى عن ذلك ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ يَتَّبِعُون ﴾ في ذلك ﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿ وَإِنْ ﴾ ما ﴿ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يكذبون في ذلك"[٣٦٠].

ولذلك فشركاء المشركين ليس لديهم أية حقيقة أو أي وجود أصلاً – ولهذا فإن عبادتهم لم تكن إلا الظن – وبالتالي فعبادتهم بالضرورة عبادة شيء مختلف بالحقيقة عما يظنون. وكل من في السماوات والأرض هو لله ﷻ، فهذا يعني أن الشيء الذي يعبده المشركون في الحقيقة هو إما الله ﷻ – وبطبيعة الحال فإن الله ﷻ "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ" (الشورى،٤٢ :١١) – أو لله ﷻ، وبالتالي صفاته أو أفعال صفاته.

ويقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ (النساء،٤ :١٤٢)

---

٣٦٠ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٢٧٦.

فربما تكون إشارة أخرى هنا لهذه الفكرة في قوله "وَهُوَ خَـٰدِعُهُمۡ"، والله أعلم.

وعلى أية حـال، فالله ﷻ هو المقصود الحقيقي وراء كل حب – سواء أدرك الإنسان ذلك أم لم يُدركه – كيف لا و:

هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ (الحديد،٥٧ :٣)

وكيف لا يكون الله ﷻ المقصود الحقيقي وراء كل حب، وهو ﷻ يقول:

وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝١١٥ (البقرة،٢ : ١١٥)

وربما هذا يكون سر من أسرار قوله ﷻ:

وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨ (التوبة،٩ :١١٨)

أي بمعنى آخر، أن الله هو المقصود الحقيقي وراء كل حب، فلا ملجأ منه بتاتاً إلا إليه، وبالتالي لا ملجأ من حبه بلا إدراك وقصد إلا إلى حبه مع إدراك وقصد، والله أعلم.

باب خاتمة الرسالة

٣٩. خاتمة واستنتاج

وفي الختام نقول: الله ﷻ هو الرحمن والرحيم والودود، خَلقَ العالم من الرحمة ومن الحب، وجعل الجمال في كل ما خلقه، والله ﷻ يحب جَماله من خلال الكون الذي خَلق فيه الجمال. وبالحب يعود الإنسان بالصراط المستقيم إلى الله ﷻ؛ وبالحب أيضاً – ولكن بحبٍ أدنى وأسفل – يأخذ الإنسان الطريق إلى النار. فالله ﷻ يقول: وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ (البلد،٩٠ :١٠). فللإنسان خيار بين الحب الأسمى والحب الأدنى وبين الحب الذي يؤدي إلى الله والى الجنة وبين الحب الذي يؤدي إلى العذاب والنار، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ (التكوير،٨١ :٢٦) ؟

فلذلك قال رسول الله ﷺ:

«**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»[٣٦١].

وكذلك قال ﷺ:

«**من أحبَّ لله وأَبغَضَ لله وأَعطى لله ومَنعَ لله فقد استكمل الإيمان**»[٣٦٢].

وقال ﷺ أيضاً:

«**وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله ﷻ:** " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١) »[٣٦٣].

فعلينا أن نختار حب الله ورجاءَه في هذه الدنيا وفي الآخرة على حب

---

٣٦١ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، ص١٠١، من حديث البراء بن عازب مرفوعاً، وهو حديث حسن.

٣٦٢ رواه أبو داود، كتاب السنة، رقم ٤٦٨١، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.

٣٦٣ رواه الحاكم، ٢/ ٣١٩، من حديث السيدة عائشة مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد.

الهوى والشهوات. يقول الله ﷻ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ (يونس،١٠ :٧-١٠)



٤٠. ملخص الفصول

(ملخص النقاط الرئيسية للحب في القرآن الكريم للتدريس والنقاش)

المقدمة

سِرّ الحبّ

❁ إنّ معظم نشاط وجهود الحياة هو في طلبٍ للحب من غير أن ندرك ماذا نعمل، ولِمَ.

تعريف الحب

❁ الحب "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن".

❁ حب الله ﷻ هو: أولاً، أنه أعطى الوجود لكل مخلوق وأفضال كثيرة أخرى (من بينها الجمال بأنواعه المختلفة)، وثانياً حب الجمال.

الحب الإلهي

الله ﷻ والحب

❁ الودود من أسماء الله ﷻ وليس فقط من أفعاله.

❁ لا يمكن فصل حب الله عن رحمته ﷻ ... فالحب يأتي مع الرحمة، والرحمة تأتي مع الحب.

❁ الرحمة الإلهية تأتي من الذات الإلهية.

❁ الحب الإلهي والرحمة الإلهية من الذات الإلهية.

❁ الحب مفهوم ضمناً مرتين – بالإضافة إلى ذِكر الرحمة الإلهية مرتين – في بداية كل سورة من سور القرآن باستثناء سورة التوبة (والتي عوضت في سورة النمل).

الحب أصل الخلق

❁ خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته.

❁ خلق الله ﷻ الإنسان لرحمته ﷻ.

❁ خلق الله ﷻ العالم والإنسان من الرحمة ومن أجلها ... هذا يعني أن الله ﷻ خلق العالم والإنسان من الحب ومن أجل الحب أيضاً.

الكون والحب

❁ كل ما في السماوات وما في الأرض يسبّح بحمد الله تسبيحاً وحمداً فطرياً، والحمد يطلب الحب.

❁ الكون كله يحب الله ﷻ.

❁ في كل الخلق، وبين جميع المخلوقات، فقط الإنسان العاصي لا يحب الله ﷻ في نفسه العاصية لكن كل أجزائه الْمُسَبِّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه.

❁ الله يحب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين) قبل وأكثر مما تحبه مخلوقاته.

حب الله ﷻ للناس

❁ فَضْلُ الله الكبير ﷻ على الإنسان هو نتيجة حب الله ﷻ للإنسان بشكل عام.

❁ الله ﷻ يحبُ الذين يتحَلَّون بالنفوس الجميلة بدرجات معينة.

❁ فالله ﷻ يحب من كانت نفسه جميلة وبحسب درجة جمال نفسه.

❁ رحمته وسعت كل شيء وعطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بِغَضِّ النظر عن هل تستحق ذلك أم لا، هبة منه ﷻ بلا مقابل.

حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه

۞ فضّل الله ﷻ أنبياءه ورسله على كل الخلق، والله ﷻ فضّل رسله على أنبيائه، والله يحب أولي العزم من الرسل – وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام) وسيدنا محمد ﷺ هو "حبيب الله".

الذين لا يحبهم الله ﷻ

۞ الله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً، أو حتى أنه يكره أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يكرهُ فقط العمل السيء، أو شرَّهُ. وأقرب ما يصل إلى كره الله ﷻ هو فعل معين سيء.

حب الرسول ﷺ

حب الرسول لله ﷻ

۞ فاق حُب رسول الله ﷺ لله ﷻ كل العواطف ... فكان غارقاً تماماً في بحر حب الله ﷻ ... الله ﷻ حبيب رسوله.

حب الرسول ﷺ للمؤمنين

۞ كاد رسول الله ﷺ أن يُهلك نفسه الشريفة هَمّاً على الناس ... وكان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ... وكان الرسول ﷺ يَحنُّ على المؤمنين لدرجة أنه كان يستحيي منهم ... وكان رسول الله ﷺ يحب المؤمنين خاصة والناس جميعاً عامة حباً عظيماً.

حب الإنسان

حب الإنسان لله ﷻ

۞ ومن صفات الله ﷻ الجمال المطلق، والرحمة المطلقة، والكرم المطلق؛ وقد أنعم الله على الإنسان بِنِعَم لا تُعدّ ولا تُحصى؛ والله يجيب دعاء الإنسان. فكيف لا يحب الإنسانُ الله ﷻ؟

۞ حب الإنسان لله ﷻ يبدأ كعاطفة، ومن خلال اتّباع الرسول ﷺ بالعمل الصالح وبالخُلق الفاضل يُصبح حالهُ كياناً لنفس المؤمن ... ويصبح هذا الحب أشدُّ وأقوى من أي حب دنيوي آخر، وأشد وأقوى من أي حب يمكن لغير المؤمن أن يَشعره أو حتى يتخيّله.

۞ حب الله ﷻ يوجب حب ما يؤدي إلى الله ﷻ أيضاً.

حب المؤمن للرسول ﷺ

۞ فهم وحب الرسول ﷺ هما الخطوة الأولى لفهم وحب الفضائل والخُلُق الحسن لأن الرسول ﷺ كان يجسّد الإحسان ومكارم الأخلاق، وفَهمُ وحُبُّ الفضائل هما الخطوة الأولى لممارسة الفضائل والتحلي بمكارم الأخلاق والخلق الحسن.

۞ عاطفة حب المؤمن لرسول الله ﷺ بذاته قد لا يكون كافياً ... يجب أن يصلّي على النبي ﷺ أيضاً.

حب قربى الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار

۞ حب أهل بيت رسول الله ﷺ وقرابته حسب درجة قرابتهم إليه ﷺ واجب. هذا الحب لذوي قربى رسول الله ﷺ واجب على كل من يحب رسول الله ﷺ، وبالتالي هو واجب على كل من يحب الله ﷻ.

أثر حب الله ﷻ على الإنسان

۞ الذين يُحبهم الله ﷻ ويحبونه هم المؤمنون الأبرار الذين يتواضعون

ويتذلّلون للمؤمنين ويعتزّون بإيمانهم أمام الكافرين، ويجاهدون جهاداً مستمراً ضد النفس بإخلاص ولا يلتفتون إلى ما دون الله ﷻ. وبالإمكان أن نعرفهم من خلال هذه الصفات لأن الله ﷻ قال: "... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ...".

الحب العائلي

❁ الله ﷻ جعل حباً طبيعياً مشروعاً ومحموداً بين الإنسان وعائلته – وجعل هذا الحب حسب درجة القُرب – ولكنه ﷻ أكَّد على أنه يجب أن يبقى حب الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحب العائلي.

حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء)

❁ الله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض احترام الآخرين، وعدم الاعتداء عليهم، والقسط، والرحمة، والتعاطف والمغفرة، والصفح، وعدم البُغض، وحتى أن نحسِن عند الإساءة إلينا وأن ندفع بالتي هي أحسن مع أيٍّ كان مهما كانت ديانته (وحتى إن لم يكن له دين)، طالما لم يكن يحارب المسلمين.

❁ الله ﷻ فرضَ – إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة بشكل عام – الإحسان نحو أهل الكتاب بشكل خاص، وأخبر عن مودةٍ خاصة بين المسلمين والنصارى.

❁ بالإضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والمودة والإحسان، يطلب الله ﷻ الحب بين المؤمنين، وهذا هو الحب الذي نسميه أحياناً "الحب في الله".

❁ في القرآن الكريم ذكرَ وشَرّع وبارك الله ﷻ أربع درجات مختلفة من "الصداقة" والتي هي فوق الحب الموجود بين المؤمنين وهي: (١) الصحبة، (٢) الصداقة، (٣) الصداقة الحميمة، (٤) الخُلّة. وقد ذكرناها بالترتيب

التصاعدي وتشكّل السلسلة الكاملة للصداقة بين المؤمنين وأعلى درجات الحب (غير الجنسي) بين الذين لا تربطهم صلة القرابة.

الحب الزوجي والحب الجنسي

❁ الطبيعة المشتركة بين البشر تعني أنهم ليسوا مكتملين من دون بعضهم البعض. الذكر يحتاج الأنثى والأنثى تحتاج الذكر، وعموماً نبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض في النسل؛ (ب) في الحب الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحب الزوجي والجنسي بين الزوجين.

❁ لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو (كـ"جَعْل" إلهي) خاص فيما بعد الخَلْق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا – أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً.

❁ بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يُكمل بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة – وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس" – بينما نجد بين بعض الناس سكوناً ومودّة ورحمة من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين زوج وزوجة متزوّجين منذ فترة طويلة.

❁ في الزواج حُبٌّ يمكن له أن يكون مجرّداً من كل علاقة جسمانية، وأنّ الزوجين كليهما بحاجة لهذا الحب من ناحية نفسية طبيعية.

❁ الله ﷻ أشار إلى أسرار العلاقة الزوجية بشكل رمزي في آيات مختلفة.

❁ الله ﷻ يبيّن أن العلاقة الجنسية تولد صلة لا يمكن إبطالها حتى بعد انتهاء العلاقة نفسها أو الزواج وأن هذه الصلة تستوجب المعروف والاحترام

للأبد.

❁ هل في الجِماع ناحية روحية وليس فقط جسدية؟

❁ في النظر إلى جمال الجسم حالة روحية في بعض الأحيان.

❁ هل هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ، وأنّ في الجِماع – وفي نشوة الجِماع و "الإفضاء" – نوعاً من أنواع الهلاك؟

❁ يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى حالة ذكر الله ﷻ في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، كما أنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في الجماع، والله أعلم.

الحب والزنا

❁ يوجد حب بالإضافة إلى الشهوة والرغبة الجسمانية في الزنا.

❁ الحب غير المشروع قد يصبح أحياناً حباً غامراً كأنه عبادة، ومع هذا لا يمكن لهذا الحب أن يصل إلى درجة العبادة الحقيقية لله ﷻ.

الحب والنظر

❁ هناك شيء خاص وسر عظيم في عينَي الإنسان يمكنه أن: (١) يُعَبِّر عن الحبِّ؛ أو (٢) يولِّد الحب عند الناظر نفسه؛ أو (٣) أن يُولّد الحب فيمن ينظر في عينَي الآخر. وبمعنى آخر فإنه يمكن أن: (١) يرى الآخرون الحب في عينَي الإنسان؛ (٢) أن يدخل الحب إلى نفس وقلب الإنسان من خلال عينيه؛ و(٣) ربما تُوَلِّد العينان حباً في شخص آخر إذا التقت العيون.

الحب

أنواع الحب

❁ الله ﷻ يذكرثمانية وثلاثين نوعاً من الحب في القرآن الكريم. وكل نوع

من الحب يختلف قليلاً عن الأنواع الأخرى، فلا ترادف في اللغة العربية، ولكل كلمة معنى فريد ومحدد مع اختلاف بسيط في المعنى. وأنواع الحب المختلفة المذكورة في القرآن الكريم هي: (١) الحب؛ (٢) المحبة؛ (٣) الاستحباب؛ (٤) الرحمة؛ (٥) الرأفة؛ (٦) الوُد؛ (٧) المودّة؛ (٨) الوداد؛ (٩) الإرادة؛ (١٠) الشغف؛ (١١) الهوى؛ (١٢) الاستهواء؛ (١٣) الغوى؛ (١٤) الهَم؛ (١٥) الرَغَب؛ (١٦) التقارب، المقاربة، القرب؛ (١٧) الغرام؛ (١٨) الهيام؛ (١٩) الخُلّة؛ (٢٠) الصداقة؛ (٢١) الصحبة؛ (٢٢) الإيثار؛ (٢٣) الضلال؛ (٢٤) الرضى؛ (٢٥) الحنان؛ (٢٦) الإعجاب؛ (٢٧) الميل؛ (٢٨) الشهوة؛ (٢٩) الصَبَا؛ (٣٠) الابتغاء؛ (٣١) التفضيل؛ (٣٢) الزنا؛ (٣٣) الحفاوة؛ (٣٤) الشفقة؛ (٣٥) الولاية؛ (٣٦) الصغى؛ (٣٧) الوليجة؛ (٣٨) الألفة.

مراحل الحب

۞ ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم مائة مرحلة من مراحل الحب البشري:

(أ) مراحل حب الناس لله ﷻ وحب الناس للناس؛ وهي: (١) الفراغ؛ (٢) الفقر؛ (٣) التزيّن؛ (٤) الإعجاب؛ (٥) الحب؛ (٦) الرّضا؛ (٧) التقرّب؛ (٨) الإرادة؛ (٩) الابتغاء؛ (١٠) الرّغَب؛ (١١) الولاية؛ (١٢) الخُلّة؛ (١٣) الفرح؛ (١٤) السكن؛ (١٥) الرّجاء؛ (١٦) العمل؛ (١٧) الذِكر؛ (١٨) النجوى؛ (١٩) الابتلاء؛ (٢٠) الاطمئنان؛ (٢١) العلم؛ (٢٢) المعرفة؛ (٢٣) المشيئة؛ (٢٤) الخوف؛ (٢٥) الحزن؛ (٢٦) الألم؛ (٢٧) البكاء؛ (٢٨) التغيير؛ (٢٩) القبض؛ (٣٠) البَسط؛ (٣١) الحاجة إلى الخلوة؛ (٣٢) الصبر؛ (٣٣) الأمل؛ (٣٤) الغيرة؛ (٣٥) اللقاء؛ (٣٦) المعية؛ (٣٧) قرّة العين.

(ب) مراحل حب الناس لله جَلَّ جَلَالُهُ؛ وهي:

(٣٨) الود؛ (٣٩) الشفقة؛ (٤٠) الاستئناس، الأنس؛ (٤١) السلام؛ (٤٢) الاكتفاء؛ (٤٣) الشكر؛ (٤٤) التوكل؛ (٤٥) انشراح الصدر؛ (٤٦) لين الجلد؛ (٤٧) لين القلب؛ (٤٨) قشعريرة الجلد؛ (٤٩) وجل القلب؛ (٥٠) التبتّل؛ (٥١) الإخبات؛ (٥٢) الإنابة؛ (٥٣) التضرّع؛ (٥٤) التوبة؛ (٥٥) الاستغفار؛ (٥٦) العَجَل للترضية؛ (٥٧) الدعاء؛ (٥٨) التذكّر؛ (٥٩) الاتباع؛ (٦٠) تمحيص القلب؛ (٦١) الشكّ؛ (٦٢) الريب؛ (٦٣) الظن؛ (٦٤) النظر؛ (٦٥) التفكّر؛ (٦٦) التدبّر؛ (٦٧) استعمال العقل؛ (٦٨) التبصر؛ (٦٩) اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين)؛ (٧٠) الطمع؛ (٧١) الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة؛ (٧٢) التأوه؛ (٧٣) الأُوب؛ (٧٤) القنوت؛ (٧٥) القهر؛ (٧٦) الإسلام؛ (٧٧) الإيمان؛ (٧٨) الإحسان؛ (٧٩) الإخلاص.

(ت) مراحل حب الناس للناس؛ وهي:

(٨٠) المحبة؛ (٨١) وجود الجمال؛ (٨٢) التعارف؛ (٨٣) الميل؛ (٨٤) المودة؛ (٨٥) الرأفة؛ (٨٦) الشهوة؛ (٨٧) الهوى؛ (٨٨) الهمّ؛ (٨٩) المتعة؛ (٩٠) الاستمتاع؛ (٩١) الكرم؛ (٩٢) الرحمة؛ (٩٣) اللطف؛ (٩٤) المغفرة، الغفران؛ (٩٥) العفو؛ (٩٦) الصفح؛ (٩٧) المعروف؛ (٩٨) المراودة؛ (٩٩) الاستحياء؛ (١٠٠) عدم الإحساس بالحال.

۞ فالحب البشري مكوّن من هذه المراحل جميعاً ... فالحب البشري الكامل مكون من جميع هذه المراحل وتعطينا صورة واضحة لعملية مسار الحب واستنباط سر ما يجري في وقوع الحب أيضاً.

الوقوع في الحب

۞ الوقوع في الحب هو "مَيل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسن،

من بعد الإعجاب به" . وكل مراحل الحب ما هي إلا مَلَكات الجسم والنفس والروح في عملية ميلها وارتباطها بمحبوب معين.

نمو الحب

❁ عاطفة الحب تزداد من خلال مَيل المَلَكَات الأخرى إلى المحبوب، والحب لله ﷻ بالإضافة إلى اتِّباع السنة يُكَافَأ من الله ﷻ بحب منه للعبد.

❁ مفتاح تقوية الحب الحَسَن لأمر نافعٍ هو الأعمال الصالحة، وبالتالي فهي التصرف بإحسان. فالإحسان هي جائزة ومكافأة بحد ذاتها ... ومن ناحية أخرى فإن إضعاف حب ما لا ينفع الإنسان ليس أمراً سهلاً ولكنه ممكن بعون الله ﷻ ويتطلَّب التغيير الداخلي ثلاث فضائل رئيسية هي: (١) الصبر؛ (٢) التواضع؛ (٣) الصلاة وذِكر الله ﷻ.

دائرتا الحب

❁ كلاً من الذين آمنوا والذين كفروا في ازدياد دائم لما هم فيه. فالمؤمنون في حالة ترقٍ دائم وصعود في الدرجات العُلى من مقام إلى مقام، والكافرون بعكس ذلك لأنهم في نزول وهبوط دائم في الدركات السفلى ... هناك دائرتان مغلقتان ومستديمتان للحب واحدة منهما عُليا وهي: دائرة الحب المشروع حب الله ﷻ، والأخرى: سُفلى وهي دائرة الحب غير المشروع.

مثلث الحب

❁ الإنسان لا يعلم شيئاً عند ولادته ... وبالتالي يحتاج الإنسان للتزيُّن لكي يحب.

❁ الإنسان في بداية الحب يُحب صورة مزيَّنة (في عقله أو في نفسه أو في قلبه) عن المحبوب بنفس القدر الذي يُحب "المحبوب" حقيقةً، فبالتالي يُحب

محبوبه من خلال صورته الخاصة عن هذا المحبوب بغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة تمثِّل حقيقة المحبوب أم لا.

❁ معرفة الله ﷻ تزداد من خلال الإيمان والتواضع والحب والأعمال الصالحة والتأمل والتفكير في كل شيء داخل النفس وفي العالَم. وبعبارة أخرى فإن معرفة الله ﷻ تنمو بالطريقة نفسها التي ينمو فيها حب الله وذلك من خلال التركيز والممارسة التدريجية للقلب والنفس وكل مَلَكَاتِهِما ومكوّناتهما نحو الله ﷻ.

❁ الإنسان يحب الله ﷻ أولاً من خلال الإيمان الذي زيَّنهُ الله ﷻ في قلبه. بعد هذا يبدأ الإنسان بمعرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته من خلال أفعال الله ﷻ وآياته. بعد العلم والإحسان يُصبح الحب مباشرة وليس من خلال مثلث التزيُّن من الحب.

مراتب الجمال والحب

❁ أعلى درجات الجمال هو الجمال الإلهي؛ ثم الجمال المقدّس (ابتداءً بجمال رسول الله ﷺ)؛ ثم الجمال الداخلي؛ ثم الجمال الخارجي؛ ثم تزيّن الشهوات الداخلية؛ ثم تزيّن الشهوات الخارجية. وليس كل حب هو محمود، وليس كل جميل يستحق الحب.

نقيضا الجمال والحب

❁ كلمة "القُبْح" لم تطلق في القرآن الكريم على أي شيء خلقه الله ﷻ وبالتالي يمكن لنا أن نستنتج أن القُبح نقص نسبي من الجمال، وتفضيل جمال أدنى على جمال أعلى، وليس شيئاً بذاته.

❁ الكُره فيما يبدو يعتمد على حالة الكَارِه الخاصة: فالمؤمنون يكرهون الشرّ، والكافرون يكرهون الخير، ولكن يمكن للمؤمنين الذين لم يتمّموا

تَغَلُبهم على نفوسهم أن يحبوا شيئاً شراً لهم أو يكرهوا شيئاً خيراً لهم. فهذا يعني أن الكُرْه بحدِّ ذاته ليس شيئاً كَرِيهاً، ولكن يُصبح كَرِيهاً عند الذين هم كَريهون أصلاً. فالكُرْه بالتالي يصدر من المحبة: فالمؤمنون يكرهون الشر من محبتهم لله ﷻ، والكافرون يكرهون الخير من محبتهم للشر ومن محبتهم لِشُح نفوسهم. وهذا يعني أنه إذا كان الكُرْه نقيض الحب عاطفياً، فإنه أيضاً، كالقُبْح، ليس شيئاً بحدِّ ذاته، ولكنه عكس الحب ولذا فهو مكروه.

انتهاء الحب

۞ حب الله ﷻ للناس لا يتغيّر ولا ينتهي أبداً. التغيير يحدث حين يتغيّر هؤلاء الذين يحبهم الله ﷻ لدرجة أنهم يصبحون أشراراً ويرفضون حب الله ﷻ. وحتى حينها فليس حب الله الذي يتغيّر بل هؤلاء الذين أداروا ظهورهم لحب الله ﷻ.

۞ إذا تغير الإنسان وخفَّ إيمانه، فسينقص أيضاً حبه لله ﷻ، كما إذا زاد إيمان الإنسان بالله فإنه سيزيد أيضاً حبه لله ﷻ. فالخلاصة هي أن حب الإنسان لله ﷻ قد يتغير ليس لأن محبوبه يتغير (والله ﷻ لا يتغير أبداً) ولكن لأن الإنسان هو نفسه قد يتغير وقد يتغير قلبه ونفسه.

۞ الحب الزوجي الحقيقي له قيمة عظيمة، وفيه ميثاق غليظ بشهادة الله ﷻ، ويجب الوفاء فيه ولا ينبغي له أن يتغيَّر أبداً في الدنيا أو في الآخرة إلا بسبب تغيّر المحبوب إلى الأسوأ نفسياً، ولا بسبب تغير المحبوب إلى الأقبح جسدياً كما هي طبيعة الأجساد.

طبيعة الحب

۞ كل مَنْ يُحِبُّ هو في حالة تغيُّرٍ مستمر، وهو بين أحوال القبض والبسط في الحب بشكل دائم، على الأقل في هذا العالَم ... إنّ في الحب تغيُّراً مستمرًّاً،

ولكن هذا التغيير لا يسبب مَللاً من الحب للإنسان الذي يحب.

❁ الحب يعني بالضرورة حاجة، والذي يحب يحتاج محبوبه.

❁ الحب يملأ القلب، فلا يستطيع الإنسان أن يملأه بِحُبَّيْنِ لأنه لا يتسع لهما.

❁ للحب قوة عظيمة، فالحب يقهر من يُحِب، ثم يستدرجه عبر مراحل الحب إلى موته، ومن ثمَّ إلى الخلود في محبوبه، فللحب قُدرة على الإفناء والإبقاء، فما أعظم قدرة الحب!

الحب والسعادة

❁ لا سعادة حقيقة بدون حب الله ﷻ ... الحب الدنيوي لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ ... وبالتالي لا يكفيه ولا يملؤه بشكل كامل إلا حب الله ﷻ.

الحب والجمال في الجنة

❁ يوجد في الجنة كل مَا يُحبه أهل الجنة، وكل مَنْ يحبهم، وأنه يوجد في الجنة حب، ولكن الحب في الجنة يختلف عن الحب في الدنيا. الحب في الجنة هو فقط ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من دون معاناة وقبض، كالحب في الدنيا.

المحبوب

الجمال والحُسن ومكوناتهما

❁ إن مكوّنات الجمال هي وجود الجلال والجمال والتوفيق بينهما، وبالتالي الكَمال.

الذوق

❁ الجمال موضوعي، ولكن الذوق غير موضوعي بل نفسي ومتفرّد.

طبيعة الجمال

❁ الجمال موجود في الأشياء ذاتها، وحتى في كل الأشياء.

❁ الجمال الفتّان يستطيع أن يوقف من يشهده عن كل ما هو فيه، وحتى عن نفسه، وحتى عن حواسه وعن الألم.

❁ للجمال قدرة عظيمة ونوعان من التأثير: جذب من يُدركه إلى خارج ذاته، ودفع من يجذبه إلى ذاته.

❁ لعل للجمال والحب قدرة على تسهيل مصيبة الموت.

الحب والموت

❁ الموت النفسي في سبيل الله ﷻ هو غاية الجهاد ضد النفس، كما أن الموت البدني في سبيل الله ﷻ يحصل في الجهاد ضد العدو.

❁ أولياء الله ﷻ يُحبونه، ومن حبهم له ﷻ يَتمنون الموت، وتموت نفوسهم "الأمّارة بالسوء" فيكونون بعد ذلك آمنين.

❁ الذين يصلون في حبٍّ غير الله ﷻ إلى درجة الحب التي لا تنبغي إلا لله ﷻ فقط لا تموت نفوسهم كالذين يحبون الله ﷻ، ولكن يُصيبهم عذاب شديد.

❁ يمكن للولي – بإذن الله ﷻ – أن يكون حَيًّا بالله ﷻ بعد موت نفسه "الأمّارة بالسوء"، وبالتالي أن يدخل الجنة وجسده ما زال حَيًّا يرزق في هذه الدنيا. ففي الحُب موت في الله ﷻ، وفي الحُب حياة في الله ﷻ بعد الموت في الله ﷻ.

اللقاء والرضوان

❁ رضوان الله ﷻ أكبر من أي شيء آخر، وبالتالي فإن رضوان الله ﷻ نوع من المعية مع الله ﷻ في الجنة، لأنه لا شيء أكبر من المعية مع الله ﷻ.

المقصود الحقيقي وراء كل الحب

❁ الله ﷻ هو المقصود الحقيقي وراء كل حب، فلا ملجأ منه بتاتاً إلا إليه، وبالتالي لا ملجأ من حبه بلا إدراك وقصد إلا إلى حبه مع إدراك وقصد.

خاتمة واستنتاج

❁ الله ﷻ هو الرحمن والرحيم والودود، خَلقَ العالَم من الرحمة ومن الحب، وجعل الجمال في كل ما خلقه، والله ﷻ يحب جَماله من خلال الكون الذي خَلق فيه الجمال. وبالحب يعود الإنسان بالصراط المستقيم إلى الله ﷻ؛ وبالحب أيضاً – ولكن بحبٍ أدنى وأسفل – يأخذ الإنسان الطريق إلى النار. فالله ﷻ يقول: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ (البلد،٩٠ :١٠). فللإنسان خيار بين الحب الأسمى والحب الأدنى وبين الحب الذي يؤدِّي إلى الله ﷻ وإلى الجنة والحب الذي يؤدي إلى العذاب وإلى النار.



٤١. المراجـع

صفوة المراجع التي قرأتها أو استعملتها في هذه الرسالة هي:

القرآن الكريم

من كتب التفسير

١. البروسوي، الإمام العالم الفاضل مولانا ومولى الروم الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، (توفي سنة ١١٣٧)، تفسير روح البيان، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ١٠).

٢. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (توفي سنة ٥١٦هـ)، معالم التنزيل، (دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، الرياض، عدد المجلدات: ٨).

٣. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (توفي سنة ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٨).

٤. البيضاوي، الإمام القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (توفي سنة ٧٩١هـ)، تفسير البيضاوي، (دار الفكر، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٥. التستري، الإمام أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، (توفي سنة ٢٨٣هـ)، تفسير التستري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٦. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي، (توفي

سنة ٨٧٥هـ)، الجواهر الحِسان في تفسير القرآن، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٧. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، (توفي سنة ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١٠).

٨. ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (توفي سنة٣١٠هـ)، تفسير الطبري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١٢).

٩. ابن جزي الكلبي، الإمام الحافظ أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، (توفي سنة ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١٠. ابن الجوزي، الحافظ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (توفي سنة ٥٦٧هـ)، زاد المسير، (دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).

١١. ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، (توفي سنة ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار الفكر، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١٤).

١٢. الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر، (توفي سنة ٣٢٠هـ)، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، (عدد المجلدات: ١).

١٣. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (توفي سنة ٧٥٤هـ)، البحر المحيط في التفسير، (دار الفكر، ١٤١٢هـ، ١٩٢٩م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

١٤. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (توفي سنة ٧٥٤هـ)، تفسير النهر الماد، (دار الجنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

١٥. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (توفي سنة ٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).

١٦. أبو السعود، القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (توفي سنة ٩٢٨هـ)، تفسير أبي السعود، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد المجلدات: ٦).

١٧. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (توفي سنة ٣٧٥هـ)، بحر العلوم، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

١٨. السيوطي، العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، (دار المعرفة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١٩. السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (توفي سنة ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٧).

٢٠. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (توفي سنة ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٢١. الشيرازي، الشيخ أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن، (مخطوطة).

٢٢. الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (دار الصابوني، الطبعة التاسعة، القاهرة، عدد المجلدات: ٣).

٢٣. الصاوي، أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي، (توفي سنة ١٢٤١هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٦).

٢٤. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (توفي سنة ٣٦٠هـ)، التفسير الكبير للطبراني، (دار الكتاب الثقافي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، الأردن، إربد، عدد المجلدات: ٦).

٢٥. ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، (توفي سنة ٨٨٠هـ)، اللُّباب في علوم الكتاب، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٢٠).

٢٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، معاصر، التحرير والتنوير، (مؤسسة التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٣٠).

٢٧. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، (توفي سنة ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، القاهرة، عدد المجلدات: ٦).

٢٨. ابن عربي، محيي الدين بن عربي، تفسير ابن عربي، (المكتبة التوفيقية، القاهرة، عدد المجلدات: ٢) (وكاتبه الحقيقي عبد الرزاق القاشاني).

٢٩. العز ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السُلمي الدمشقي الشافعي، (توفي سنة ٦٦٠هـ)، تفسير القرآن – اختصار النكت للماوردي، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٠. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، (توفي سنة ٥٤١هـ)،

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (طُبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٧م، الدوحة، عدد المجلدات: ١٥).

٣١. الإمام الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، (توفي سنة ٥٠٥هـ) ، جواهر القرآن، مكتبة الجندي، ١٩٦٤م، القاهرة، عدد المجلدات:١).

٣٢. فخر الدين الرازي، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني الرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

٣٣. الفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، (توفي سنة ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، (دار السرور، عدد المجلدات :٣).

٣٤. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (توفي سنة ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (دار الحديث، الطبعة الأولى،١٤١٤هـ،١٩٩٤م، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ،١٩٩٦م، القاهرة، عدد المجلدات: ٢٢).

٣٥. القشيري، الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، (توفي سنة ٤٦٥هـ)، تفسير القشيري المُسمى لطائف الإشارات، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عـدد المجلدات: ٣).

٣٦. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (توفي سنة ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٧. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (توفي سنة ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، عدد

المجلدات: ٦).

٣٨. مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي، (توفي سنة ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٩. مقاتل بن سليمان، الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، (توفي سنة ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٤٠. النسفي، الإمام الجليل عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي/ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤١. الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (توفي سنة ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤٢. الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (توفي سنة ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار القلم، دمشق، والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، عدد المجلدات: ٢).

من كتب السنة

١. البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، صحيح البخاري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، بيروت، عدد المجلدات: ٨).

٢. الإمام البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (توفي سنة ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

٣. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (توفي سنة ٤٥٨هـ)، كتاب الزهد الكبير، (مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، بيروت، عدد الأجزاء:١).

٤. الإمام الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (توفي سنة ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، (دار الكتب العلمية، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٥. الحاكم، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، (توفي سنة ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٦. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، (توفي سنة ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، بيروت، عدد الأجزاء: ١٨).

٧. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (توفي ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، بيروت، عدد الأجزاء: ١٤).

٨. ابن حنبل، الإمام أحمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، عمان، عدد المجلدات: ٨).

٩. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (توفي سنة ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، (دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء:١٣).

١٠. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (توفي سنة ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، (دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١١. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (توفي سنة٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، الموصل، عدد الأجزاء:٢٠).

١٢. الطيالسي، ابو داود سليمان ابن داود الطيالسي، (توفي سنة ٢٠٤هـ)، مسند الطيالسي، (دار المعرفة، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١٣. الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، (مطبعة الأمن العام، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، عمان، عدد المجلدات: ١).

١٤. الإمام مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (توفي سنة ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م ، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١٥. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، (توفي سنة ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، (دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، مصر، عدد المجلدات: ٢).

١٦. الإمام مالك، إمام دار الهجرة مالك بن أنس، (توفي سنة ١٧٩هـ)، الموطأ، (دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١٧. النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي، (توفي سنة ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، (مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، حلب، عدد المجلدات: ٥).

من كتب السيرة

١. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (توفي سنة ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).

٢. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (توفي سنة ٢٠٧هـ)، كتاب المغـازي، (مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، عدد المجلدات: ١).

من كتب علوم القرآن

١. الذهبي، الدكتور محمد حسين الذهبي، الأستاذ في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، التفسير والمفسرون، (١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، عدد المجلدات: ٣).

٢. الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (توفي سنة ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).

٣. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (توفي سنة ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، (دار ابن كثير، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م، دمشق، عدد المجلدات: ٢).

٤. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (دار الفكر ودار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٥. ابن النَّحاس، الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النَّحاس، (توفي سنة ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

من كتب المعاجم اللغوية

١. الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، معاني القرآن، (عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

٢. الرازي، محمد ابن أبي بكر ابن عبد الله الرازي، (توفي سنة ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، (دار البصائر، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت، عدد الأجزاء:١).

٣. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (توفي سنة ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، (دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤. الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الفكر، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٢٠).

٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (توفي سنة ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٦. ابن منظور، الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، (توفي في سنة ٧١١هـ)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، عدد المجلدات: ١٥).

كتب أخرى لعلماء المسلمين

١. الأسكداري، محمود بن فضل الله الأسكداري، (توفي سنة ١٠٣٨هـ)، حبة المحبة، (مخطوطة).

٢. إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (توفي سنة ٤٧٨هـ)، الإرشاد، (مطبعة السعادة، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م، القاهرة، عدد الأجزاء:١).

٣. التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، (توفي في حدود ٤٠٠هـ)، الإمتاع والمؤانسة، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ،٢٠٠٧م، بيروت، عدد المجلدات:١).

٤. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، (توفي سنة ٧٢٨هـ)، النبوات، (دار القلم، بيروت، عدد الأجزاء:١).

٥. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، (توفي سنة ٧٢٨هـ)، التحفة العراقية، (مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، الأردن– الزرقاء، عدد الأجزاء:١).

٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (توفي سنة ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات:٢).

٧. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، (توفي سنة ٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد الأجزاء:٤).

٨. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، (توفي سنة ٥٩٧هـ)، ذم الهوى، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد الأجزاء:١).

٩. الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، (توفي سنة ٥٠٨هـ)، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١٠. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (توفي سنة ٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والأُلاَّف، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات:١).

١١. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، (المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة جديدة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، القاهرة، عدد الأجزاء:١).

١٢. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، (توفي سنة ٤٢٨هـ)، رسالة في العشق، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، دمشق، عدد الأجزاء:١).

١٣. ابن أبي شريف، كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي شريف المري المقدسي الشافعي، (توفي سنة ٩٠٥هـ)، المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية من الآخرة، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ،

٢٠٠٢م، بيروت، عدد الأجزاء:١).

١٤. شهاب الدين الحلبي، شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي، (توفي سنة ٧٢٥هـ)، كتاب منازل الأحباب ومنازه الألباب، (دار صادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد الأجزاء:١).

١٥. أبو طالب المكي، الإمام أبي طالب محمد بن أبو الحسن علي بن عباس المكي، (توفي سنة ٣٨٦هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، (دار الفكر، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١٦. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي الحنفي، صحيح شرح العقيدة الطحاوية بشرح حسن السقاف، (دار الإمام النووي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١٧. عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، (توفي سنة ٤٢٩هـ)، الفَرْق بين الفِرَق، (دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء:١).

١٨. العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، (توفي سنة ١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد الأجزاء:٢).

١٩. ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، (توفي سنة ٦٣٨هـ)، الفتوحات المكية، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، عدد المجلدات:٤).

٢٠. ابن العريف، الشيخ احمد بن محمد ابن العريف الصنهاجي، (توفي سنة ٥٣٦هـ)، كتاب النفائس ومحاسن المجالس، أخرجه نهاد خياطة،حلب، (مجلة المورد، بغداد، المجلد التاسع، ١٩٨٠م، ص٦٨١–٧٠٦).

٢١. ابن عطاء الله السكندري، ابن عطاء الله السكندري أحمد بن محمد بن

عبد الكريم، (توفي سنة ٧٠٩هـ)، الحِكم العطائية/ شرح وتحليل، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، دمشق، عدد المجلدات: ٤).

٢٢. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، (توفي سنة ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٢٣. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، مقاصد الفلاسفة، (دار المعارف، ١٩٦١م، القاهرة، عدد المجلدات: ١).

٢٤. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، (توفي سنة ٥٠٥هـ) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات:١).

٢٥. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، (توفي سنة ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، (دار الخير، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، دمشق/ بيروت، عدد المجلدات:١).

٢٦. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، الروح، (دار ابن كثير، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، دمشق/ بيروت، عدد المجلدات:١).

٢٧. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، مدارج السالكين، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات:٣).

٢٨. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (دار البيان العربي، مصر، عدد الأجزاء:١).

٢٩. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (توفي سنة ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، (مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،

١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، القاهرة، عدد الأجزاء:١).

٣٠. مخلوف، مفتي الديار المصرية حسنين محمد مخلوف، معاصر، من وحي القرآن الكريم فيمن يحبهم الله تعالى، وفيمن يكرههم الله تعالى من عباده، (مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ،١٩٧٦م، القاهرة، عدد الأجزاء:١).

٣١. النِّفْري، محمد بن عبد الجبار بن الحسن النِّفْري، كتاب المواقف، (دار الكتب المصرية، ١٣٥٢هـ، ١٩٣٤م، القاهرة، عدد الأجزاء:١).

٣٢. الهجويري، كشف المحجوب، (مخطوطة).

٣٣. الهروي، عبد الله الأنصاري الهروي، (توفي سنة ٤٨١هـ)، منازل السائرين، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد الأجزاء:١).

مراجع أخرى

١. العجلوني، كامل محمد صالح العجلوني، الجنس في اليهودية والمسيحية والإسلام/ المرأة والرجل وعلاقتهما، (مطبعة الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، عمان، عدد المجلدات: ١).

٢. غازي بن محمد بن طلال، الحقيقة والمعرفة (كتاب الثقافة العامة للمرحلة الثانوية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، وزارة التربية والتعليم، الأردن).

٣. وداد ناصر لوتا، سرّي للغاية: المعاشرة الزوجية، أصول وعادات، ٢٠٠٩م، دبي.

٤. مجموعة من العلماء، الحب في القرآن الكريم، (طبع مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الأردن/ عمان، عدد الأجزاء:٢).

❃

(A) PRIMARY SOURCES ON LOVE IN ENGLISH AND FRENCH:

(A) (i-ii) (Religious and Secular) Ancient Sources on Love in English and French:

Ficino, Marsilio, *Commentary on Plato's Symposium of Love*, trans. Sears Jayne (2nd ed.) (Dallas 1985)

Plato, *Phaedrus* and *The Seventh Letter*, trans. Walter Hamilton (London, 1973)

Plato, *Phaedo*, in *Five Dialogues*, trans. G.M.A.Grube (Indianapolis, 1984)

Plato, *The Republic*, trans. G.M.A.Grube (Indianapolis, 1984)

Plato, *The Symposium of Love*, trans. A.Nehemas and P.Woodruff (New York, 1989)

Plotinus, *The Enneads*, Intro. J.Dillon, trans. S.Mackenna (London, 1991)

Rumi, Jalaludin, *The Mathnawi*, Volumes I-VI, trans. Reynold Nicholson, (Reprinted Great Britain, 1960)

(A) (iii) (Religious) Modern Sources on Love in English and French:

Lewis, C.S., *The Allegory of Love*, (London, 1972)

Lewis, C.S., *The Four Loves*, (London, 1972)

Nasr, Seyyed Hossein, *The Garden of Truth, The Vision and Promise of Sufism, Islam's Mystical Tradition*, (New York, 2007)

(A) (iv) (Secular) Modern Sources on Love in English and French:

De Rougemont, Denis, *L'Amour et L'Occident*, (Paris, 1939)

Ghazi Ben Mohammed, *What is Falling in Love?*, (Cambridge University, U.K., Ph.D, 1993)

Stendhal, *De L'Amour*, (Paris 1965); Stendhal, *De L'Amour*, Intro. Jean Stewart, trans. Gilbert and Suzanne Sale (London, 1975)

(B) SECONDARY SOURCES ON LOVE IN ENGLISH AND FRENCH:

(B) (i) (Religious) Ancient Sources on Love in English and French:

The Holy Bible, King James Translation (H.M. Printers, London)

Aquinas, St. Thomas, *Summa Theologia*, in *Great Books of the Western World*, Volume XIX and Volume XX, trans. W.O.Ross (Chicago, 1989)

Climacus, John, *The Ladder of Divine Ascent*, trans. Colm Luibheid and Norman Russell (The Classics of Western Spirituality, NJ, 1982)

St. Augustine, *Confessions*, trans. R.S.Pine-Coffin (Middlesex, U.K., 1985)

St. Bernard of Clairvaux, *On the Song of Songs*, in 4 Volumes, trans. K.Walsh and I.M.Edmunds (Kalamazoo, Michegan, 1979)

St. John of the Cross, *Dark Night of the Soul*, trans. E.Allison Peers (New York, 1990)

St. Julian of Norwich, *Showings*, trans. E.Colledge and J.Walsh (New York, 1978)

Maimonides, Moses, *The Guide of the Perplexed*, in 2 Volumes, trans. Shlomo Pines (Chicago, 1963)

Mechthild of Magdeburg, *The Flowing Light of the Godhead* (selected writings from), trans. Lucy Menzies in *German Mystical Writings* ed. Karen Campbell (New York, 1991)

St. Nicholas of Cusa, *The Vision of God*, trans. E.Gurney-Salter (London, 1928)

The Philokalia, (*Writings from the Philokalia on the Prayer of the Heart*) trans. E.Kadlouboudsky and G.E.H.Palmer (London, 1992)

Porphyry, *On the Cave of the Nymphs*, trans. Thomas Taylor, (Grand Rapids, Michigan, 1991)

Proclus, Diadochus, *Commentary on the First Alcibiades of Plato*, trans. L.G.Westernick (Amsterdam, 1954)

Pseudo-Dionysius Aeropogite, *The Divine Names and Mystical Theology*, trans. J.D.Jones (Milwaukee, 1980)

Rolle, Richard, *The Fire of Love*, trans. Clifton Walters (London, 1972)

St. Teresa of Avila, *The Life of St.Teresa of Avila by Herself*, trans. J.M.Cohen (London, 1957)

Theologia Germanica (selected writings from), trans. Bengt Hoffman in *German Mystical Writings* ed. Karen Campbell (New York, 1991)

The Zohar, Moses de Léon, attributed to Rabbi Simeon ben Yohai, trans. H.Sperling and M.Simon (London, 1949)

(B) (ii) (Secular) Ancient Sources on Love in English and French:

Aristotle, *Nicomachean Ethics*, in *Great Books of the Western World*, Volume IX, trans. W.O.Ross (Chicago, 1989)

Capellanus, Andreas, *The Art of Courtly Love*, trans. John Jay Parry, (New York, 1969)

Capellanus, Andreas, *On Love*, trans. P.G. Walsh, (U.K., 1982)

De Lorris, Guillaume, and De Meun, Jean, *The Romance of the Rose*, trans. Charles Dahlberg (Hanover, New Hampshire, 1983)

(B) (iii) (Religious) Modern Sources on Love in English and French:

Burckhardt, T., *Moorish Culture in Spain*, trans. Alisa Jaffa (New York, 1972)

Burckhardt, T., *Alchemy. Science of the Cosmos, Science of the Soul*, trans. William Stoddart (Dorset, U.K., 1986)

Chittick, William C., *The Sufi Path of Love: The Spiritual Teachings of Rumi*, (New York, 1983)

Coomaraswamy, A.K., *Traditional Art and Symbolism*, Volume I, ed. Roger Lipsey (Oxford, U.K., 1977)

Evola, Julius, *Eros and the Mysteries of Love*, (Rochester, Vermont, 1991)

Greeley, Andrew M. and Mary G. Durkin, *The Book of Love*, (New York, 2002)

Happold, F.C., *Mysticism: A Study and an Anthology*, (London, 1990)

Mahmutcehajic, Rusmir, *On Love in the Muslim Tradition*, (New York, 2007)

Schuon, Frithjof, *The Essential Writings of Frithjof Schuon*, ed. S.H.Nasr (New York, 1986)

Schuon, Frithjof, *Esoterism as Principle and Way*, (Kent, U.K., 1981)

Schuon, Frithjof, *Gnosis – Divine Wisdom*, (Middlesex, U.K., 1959)

Schuon, Frithjof, *Logic and Transcendence*, (London, 1975)

Schuon, Frithjof, *Roots of the Human Condition*, (Bloomington, Indiana, 1990)

Schuon, Frithjof, *Spiritual Perspectives and Human Facts*, (Middlesex, U.K., 1987)

Smith, Huston, *The World's Religions*, (New York, 1986)

Staveley, Lilian, *The Golden Fountain*: *On the Soul's Love for God*, (Bloomington, Indiana, 1982)

Underhill, Evelyn, *Mysticism*, (London, 1957)

Vaughn-Lee, Llewellyn, *The Paradoxes of Love*, (California, 1996)

Arthur Verslius, *The Mysteries of Love*, (Minn., USA, 1996)

Warren, Rick, The Purpose Driven Life, (Michegan, 2002)

The Way of a Pilgrim and The Pilgrim Continues his Way, trans. J.M.French (San Francisco, 1991)

(B) (iv) (Secular) Modern Sources on Love in English and French:

Bell, Joseph Norment, *Love Theory in Later Hanbalite Islam*, (New York, 1979)

Boase, Roger, *The Origin and Meaning of Courtly Love*, (Manchester, U.K., 1977)

Campbell, Joseph, *The Hero with a Thousand Faces*, (London, 1988)

D'Arcy, M.C., *The Mind and Heart of Love*, (London, 1954)

Dawkins, Richard, *The Selfish Gene*, (London, 1979)

Fisher, Helen E., *Anatomy of Love*, (New York, 1992)

Freud, Sigmund, *On Sexuality: Three Essays on the History of Sexuality and Other Works* trans. James Strachey (London, 1987)

Fromm, Erich, *The Art of Loving*, (New York, 1956)

Girard, René, *Deceit, Desire and the Novel,* trans. Yvonne Freccero (London, 1984)

Hazo, Robert G., *The Idea of Love* (New York, 1967)

Menocal, Maria Rosa, *The Arabic Role in Medieval Literary History*, (Philadelphia, 1990)

Morris, Desmond, *The Naked Ape*, (London, 1967)

Nygren, Anders, *Agape and Eros*, trans. P.S.Walton (London, 1953)

Parker, A.A., *The Philosophy of Love in Spanish Literature, 1480-1680*, (Edinburgh, 1985)

Peck, Scott M., *The Road Less Travelled: A New Psychology of Love, Traditional Values and Spiritual Growth* (New York, 1978)

Raglan, Lord Fitzroy, *The Hero*, (London, 1936)

Solovyev, Vladimir, *The Meaning of Love*, (London, 1945)

Singer, Irving, *The Nature of Love*, Volumes I-III, (Chicago, 1984)

Wolf, Naomi, *The Beauty Myth*, (New York, 1992)

٤٢. أقوال علماء الأمة في هذه الرسالة

قال العلماء في هذه الرسالة "الحب في القرآن الكريم" ما يلي:

"رسالة متميزة، جديرة بالثناء والتقدير: منهجاً ومضموناً ولغة".

مشرف الرسالة في جامعة الأزهر الشريف،

فضيلة الإمام الأكبر أ. د. أحمد محمد الطيب، شيخ الأزهر

"إن الحب هو الأساس المتفرِّع من الرحمة التي بدأ الله بها كتابه، فهو العلاقة بين الخالق وخلقه، وبين الوالد وولده من بني الإنسان، وفي عالم الحيوان، وفي كل الأكوان، والحب في القرآن اسم لبحث جميل جليل خطه يراع الأمير الحبيب المحبوب غازي بن محمد جزاه الله خيراً، بيَّن فيه ما يجب على العالم أن يسمعه وهو يتلقى القرآن، فأجاد وأفاد، نسأل الله تعالى أن ينفع به العالمين، آمين".

مفتي الديار المصرية، فضيلة الشيخ أ.د. علي جمعة

"فألفيته كتاباً غاص في أعماق الحقيقة واستخرج منها درها المكنون، إذ أخرج للناس ما كان عازباً عن إفهامهم من كون الحب له قداسة ومكانه في القرآن ... فقد أتيتم في مؤلفكم هذا بما لم يأتِ به من قبلكم، ولا غرو إذ الشيء من معدنه لا يُستغرب والدُر إنما يجود به البحر الغزير، وحسبكم أنكم ارتقيتم بالحب إلى أوج الفضيلة، وقَدّستموه من أن تدنسه الرذيلة بأدرانها، وهذا فضل يعترف به لكم من قرأ كتابكم وأجال فيه نظره".

مفتي عام سلطنة عمان،

معالي الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

"رسالة الحب في القرآن الكريم، .... رسالة جاءت في وقتها، في هذه الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية. وهي رسالة لا مثيل لها في الماضي، ومستقبلها خير ما يكون في الحب بين أبناء الأمة الواحدة من جهة، وبينهم وبين الآخرين .... جاءت هذه الرسالة نتيجة فهم الحب في القرآن الكريم، ووجود الحب في قلب مؤلفها، الذي استطاع عرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كاشفاً سر حب الله للإنسان، وحب الإنسان لله، وحبه لجاره، وكل هذا جاء من قلب سليم محب للإنسانية، فلذا ينبغي لكل إنسان أن يقرأ هذا الكتاب، من أجل أن يتعرف على الحب في القرآن، ومن أجل المحبة التي في هذه الرسالة".

رئيس العلماء والمفتي العام في البوسنة والهرسك،
فضيلة الشيخ د. مصطفى تسيريتش

"هي رسالة ذات طابع ... فلسفي، فَوَجَدْتُ فيها معاني ذوقية جميلة استنبطها المؤلف حفظه الله من الجمع بين الآيات في المواضيع التي طرقها لعله لم يُسبق إليها، ولكنها لم تُخالف ثوابت العقيدة الإسلامية".

المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية،
سماحة الشيخ أ. د. نوح علي سلمان القضاة

"الحب كلمة من حرفين، الحاء في نطقها سعة، والباء في لفظها جمع، فبعد أن تعلق الفؤاد بالمحبوب، وأحاط به على قدر معرفته، ضمه إليه، وعندها ينمو كسنابل الخير يضاعف لمن يشاء، وما أعظمه عندما يكون الحب الدائم الذي لا يموت، والقائم الذي لا يفوت .... فالحب في القرآن هو منهج العلاقة بين الإنسان وبين خالقه، فلا ركن من أركان الإسلام يصل إلى الله إلا عن طريق القلب كما قال رسول الله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت

صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله"، وإذا كان القلب هو محل تجليات الله عز وجل فإن الحب هو إشراقة النور النابع من ذلك القلب.

وبحثكم يا سمو الأمير عن الحب في القرآن قد جمع درر معاني الحب في سعتها، وضمها بسلك محبتكم، فكان الأَنْفَسَ في العقود، والأجمل على الجيد، والأرسخ في القلب، والأقرب إلى الفكر، والأكمل في التأثير. ولقد رأينا في بحثكم أفق العلم وقوته، وحب العالِم وتواضعه، وجلال المعرفة وجمال الكلمة، وكمال الأسلوب، وحُسن الخطاب. بُوْرِكَتْ أعمالكم، وتكللت بالخير مساعيكم، ونفع الله بكم العباد، وأسبغ ربي عليكم نعمه ظاهرة وباطنه".

المفتي العام رئيس مجلس الإفتاء الأعلى في الجمهورية العربية السورية، فضيلة الشيخ أ. د. أحمد بدر الدين حسون

"كتابكم "الحب في القران الكريم" ثمرة جهدكم الفكري المبارك، وخلاصة سياحتكم القلبية المنيرة، بإشراقات المعارف الوهبية؛ وإنه لعمل مبارك مشكور ومأجور إن شاء الله، سينهل منه كل مؤمن صادق النية والعزم على إذكاء حبه لله ولرسوله ﷺ، فجزاكم الله عن كل من قرأ كتابكم المبارك هذا فانتعشت روحه واغتنى وجدانه بما حواه من كنوز المعارف ودقيق اللطائف والرقائق".

وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية،
معالي أ.د. بو عبد الله غلام الله

"أنه رَحْبُ مناط سعادة الدارين، وكتاب الله دليل هذه السعادة وقائد مبتغيها، وإن المتصفّح لإصداركم ليجد إيفاء لحق الموضوع، وتفصيلاً لكافة جوانبه بأسلوب يتسم بالسلاسة والقرب من القارئ".

وزير الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عُمان،
معالي الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي

" في غمرة بحثي دون جدوى عمن قد أهمه حديث الحب في كتاب الله فكتب فيه أو تحدث عنه، تلقيت البشرى. وافاني البريد بما أبحث عنه: "الحب في القرآن" تأليف سمو الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي. تركت عندئذ كل ما أنا بصدده وباشرت بقراءته. إن قيمة هذا الكتاب بل الموضوع لكبيرة .... كتابكم رائع .... أهنئك بالحب الذي دعاك إلى ما كتبت، ذاك الذي اتخذته دليلاً إلى معرفة الله والكون، ثم استقر بك المقام في محرابه. وأسأله سبحانه أن يجعل قلوبنا أوعية لحبه، حتى نؤخذ من أنفسنا إليه ونستدل به عليه " .

عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق،
فضيلة الشيخ أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾ (النمل، ٢٧ :٦٠)

﴿ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ ﴾ (ق، ٥٠ :٩-١٠)

" رحلة في أعماق النفس، ميدانها بستان الحب، سقيت أصوله بماء الحكمة، امتدت فروعه في سماء المعرفة، أزهاره معطرة بأنفاس الشريعة، ثماره الجنية السعادة. عمل نافع، ترتيب رائع " .

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورئيس ومؤسس المركز العالمي للتجديد والإرشاد، معالي الشيخ أ.د. عبدالله بن محفوظ بن بيّه

" فقد سعدت بمطالعة كتابكم الرائع (الحب في القرآن الكريم) بما فيه من تتبع جميل للآيات الشريفة التي يكمل بعضها البعض الآخر.... والجميل تركيزه على الحب المتبادل بين الله جل وعلا وعباده وبين المخلوقين أنفسهم، بل بين كل المخلوقات، ورائع ما طرحته آية البسملة من أن الكون كله ينطلق بسم الله، وله الأسماء الحسنى، وبمقتضى رحمته الواسعة " .

سماحة أية الله محمد علي التسخيري،

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

" إن من دواعي سعادتي أن الأستاذ الفاضل غازي بن محمد بن طلال، ذلك الرجل الذي تتجلى أسمى مفاخره في انحدار نسبه إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، قد شمَّر عن ساعد الجد للبحث في هذا الموضوع في القرآن الكريم وخصص أطروحته في الدكتوراه في الأزهر الشريف بالقيام بدراسة حول هذا الموضوع. وقد تصدى لهذه المهمة بكل نجاح وجدارة وأضاف معطىً قيماً إلى تراث الأدب الإسلامي من خلال إمعان النظر والاهتمام بأسس الحكمة في الإسلام " .

سماحة آية الله أ.د. السيد مصطفى محقق الداماد،

الأستاذ في فرع القانون والفلسفة الإسلامية، جامعة الشهيد بهشتى، طهران؛

رئيس قسم الدراسات الإسلامية في مجمع العلوم، إيران

"لقد اعتبرته من الذخائر النفيسة لما تضمنه من معالجة دقيقة لواحدة من أهم القيم والمشاعر الإنسانية المشتركة بين الأفراد والشعوب ... لقد جمعت دراستكم القيمة الأبعاد الأخلاقية والفلسفية والروحية، وهي في الغالب غير

متناولة فيما صدر من أبحاث لقضية حياتية معاصرة تشكل محوراً مهماً في حياتنا العامة، فقد احتوى الكتاب على منارات وضاءات من البيان جاءت بشكل ترابطي يسهل على القارئ فهم الموضوع والتفاعل معه وجدانياً. عند تأمل التعبيرات والتأويلات للآيات القرآنية الحكيمة يستكشف القارئ المخزون الوجداني والعمق العاطفي والفهم الفلسفي الذي تحتويه تلك الآيات المباركة، مجسدة لبني البشر أهمية هذا المرتكز الإنساني مما يعمق العلاقة الترابطية بينهم وما هو موجود حولهم من مخلوقات المولى عزّ وجلّ ولتضيف تأصيلاً جمالياً لرسالة الإسلام ... يجد فيه ما يغني الباحث ويقنع الحائر ويزيد من إيمان المؤمن، ويشعر الجميع أهمية التذوق الوجداني للحب وللمشاعر الإنسانية العليا".

سماحة المرجع الديني آية الله الفقيه السيد حسين إسماعيل الصدر

"هي بحمد الله وفضله دراسة مشرقة بأنوار القرآن الكريم ومصابيح السنُة المطهرة في موضوع حيوي هام يعتبر من أمهات المسائل، قائمة على تأصيل قرآني شامل واستقصاء دقيق للأحاديث النبوية الشريفة، لتثبت أن الحب كما بين معناه وأوضح آفاقه وحدد أبعاده الوحي الإلهي العظيم يعتبر أهم المحاور الناظمة لمختلف العلاقات في الوجود بما يشمل العلاقات بين الله تعالى وخلقه ومخلوقاته، وبين الخلق بعضهم مع بعض، وقد وظفت كل ذلك أوفى توظيف ببيان آثار هذا الحب وفق المنهج القرآني على وجود الإنسان وسلوكه في كل آفاق حياته. فهي بحق رسالة فريدة في بابها، أصيلة في منهجها وأسلوبها، عظيمة في فوائدها وآثارها، جديرة بكل إشادة وتقدير".

أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي، معالي أ.د. عبدالسلام العبادي

"هذه الرسالة التي اتسمت بالعمق والتحليل والتوثيق يزيدها جمالاً ذلك الأسلوب السلس الجذاب فما أن شرعت في قراءتها حتى شدتني، فاسترسلت فيها حتى الخاتمة. وحري بهذه الرسالة القيمة أن يتداولها الإعلام والناس، جميع الناس حتى تنتشر المحبة فيما بينهم، وحتى تقوى صلاتهم بالله الرحمن الرحيم، ويا حبذا لو قامت مؤسسة معنية بنشر هذه الرسالة بعد ترجمتها إلى اللغات الإنسانية الحية لما تحويه من معانٍ سامية تستحق أن يطلع الآخرون عليها".

إمام وخطيب المسجد الأقصى المبارك، رئيس الهيئة الإسلامية العليا، رئيس هيئة العلماء والدعاة- القدس، سماحة الدكتور عكرمة سعيد صبري

"هذا الكتاب احتوى على وجه من أوجه الخطاب الرباني تحتاجه الأمة في هذا العصر يهدي إلى كريم التعامل ويمد جسور التواصل و يمهد سبيل التكامل بمقتضى توجيه عُلْوِيٍّ ومنهج سَوِيّ".

عميد دار المصطفى للدراسات الإسلامية، اليمن،
فضيلة الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ

"إضافة هامة للفكر الإسلامي في الواقع المعاصر لأنها تعالج قضية الحب والجمال بعمق شديد في ضوء القران الكريم وبما لا يصادم احتياجات الإنسان المعاصر، وبالتالي فالرسالة تساهم في إزالة إشكالية الصدام بين الدين والحب وبين الإيمان وتذوق الجمال".

رئيس مجلس أمناء مؤسسة رايت ستارت الدولية،
الداعية الإسلامي د. عمرو خالد

"وجدت أنه تأليف مبتكر أوضحَ معاني الحب وأنواعه وجزئياته وأسراره المستنبطة من القرآن الكريم وما يُمدح منه وما يُذمّ، ودرجات الحب بالنظر إلى من يتعلق به، والمآلات التي يؤدي إليها الحب، وكل ذلك بأسلوب بديع رائع. ونسأل الله سبحانه أن يقبل منه هذا الجهد ويقدّر فيه النفع للبلاد والعباد".

نائب رئيس دار العلوم، كراتشي، باكستان،
فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني

"إن هناك فراغاً فلسفياً واسعاً في الدرس القرآني؛ فلقد ظل علماء المسلمين يتنافسون على مدى قرون في بحث النص القرآني، قراءةً وعقيدة وفقها وتفسيراً وقصصاً ونِعْم التنافس هذا، لكنهم واأسفاه ضربوا صفحاً عن كثير من المفاهيم والمعاني والقيم والحقائق والأدلة التي قد تكون مَحَلّ استشكالات واستدلالات فلسفية غاية في الأهمية، على الرغم من أن هذا الجانب المهمل يشكّل الجزء الأكبر من هذا النص المنزل؛ .... فإني أقول: يتجلَّى فضلُ هذه الرسالة في كونها اقتحمت مجال الموضوعات القرآنية الفلسفية المسكوتِ عنها، إذ تناولت، بترتيب دقيق، مفهوماً جليلاً في الفلسفة الأخلاقية، مُركّزة على منزلته الخاصة في القرآن الكريم، رفعةً وسَعةً، وفاتحةً لآفاق غير مرتادة في الاستشكال الفلسفي الإسلامي تستنهض الهِممَ إلى تجديد قراءة كتاب الله، استناداً إلى هذا المفهوم الأخلاقي الأساسي".

رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في المغرب؛ مدير مجلة الأمة،
الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فضيلة أ.د. طه عبدالرحمن

"هذا الكتاب الأول من نوعه فريد في أسلوبه ومنهجيته دقيق في تفاصيله ملتزم بفكره يجب أن يكون مرجعاً لكل دارس على المستوى الجامعي

والبحثي في موضوع الحب بكل جوانبه ومعانيه وقيمه المستقاة من كتاب الله".

صاحب كتاب "الجنس في اليهودية والمسيحية والإسلام، المرأة والرجل وعلاقتهما"، معالي أ.د. كامل العجلوني

"رسالة "الحب في القرآن الكريم" رسالة موضوعية قَيِّمة جامعة نافعة لكل قارئ مَزَجَتْ بين الأصالة والحداثة بعقيدة راسخة صافية وفكر ثاقب مستنير ووسطية سديدة، لذا أدعو كل مؤمن بل كل إنسان لقراءتها لأنها تُهِمُّهُ وتفيده حقاً".

المفتي السابق للمملكة الأردنية الهاشمية،

سماحة الشيخ سعيد عبدالحفيظ حجاوي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾
وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ملاحظات: